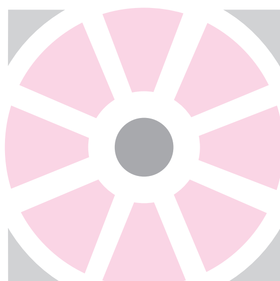


مآثر وآثار

ريان بن عبد الله الموسى رحمه الله

عبق سيرة .. وثمار مسيرة

ح عبدالرحمن فهد القاضي، ١٤٤٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاضي، عبدالرحمن فهد

مآثر وآثار ريان بن عبدالله الموسى رحمه الله/ عبدالرحمن بن فهد القاضي- ط١- الرياض ١٤٤٦هـ

٠٠ ص ؛ ٠٠×٠٠سم

ردمك: ٠-٤٣١٢-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

رقم الإيداع ١٤٤٦/٦٣١٢

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٦٣١٢

ردمك: ٠-٤٣١٢-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م



المملكة العربية السعودية - الرياض

daralhadarah@hotmail.com

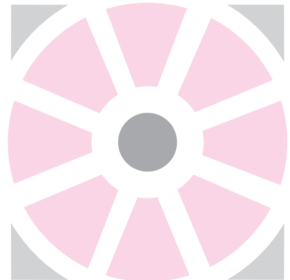
الرقم الموحد : 920000908 الفاكس : 2702719 – 011

 @daralhadarah 0551523173

زوروا متجر الحضارة

daralhadarah.net





الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ ـ ٢٠٢٤م

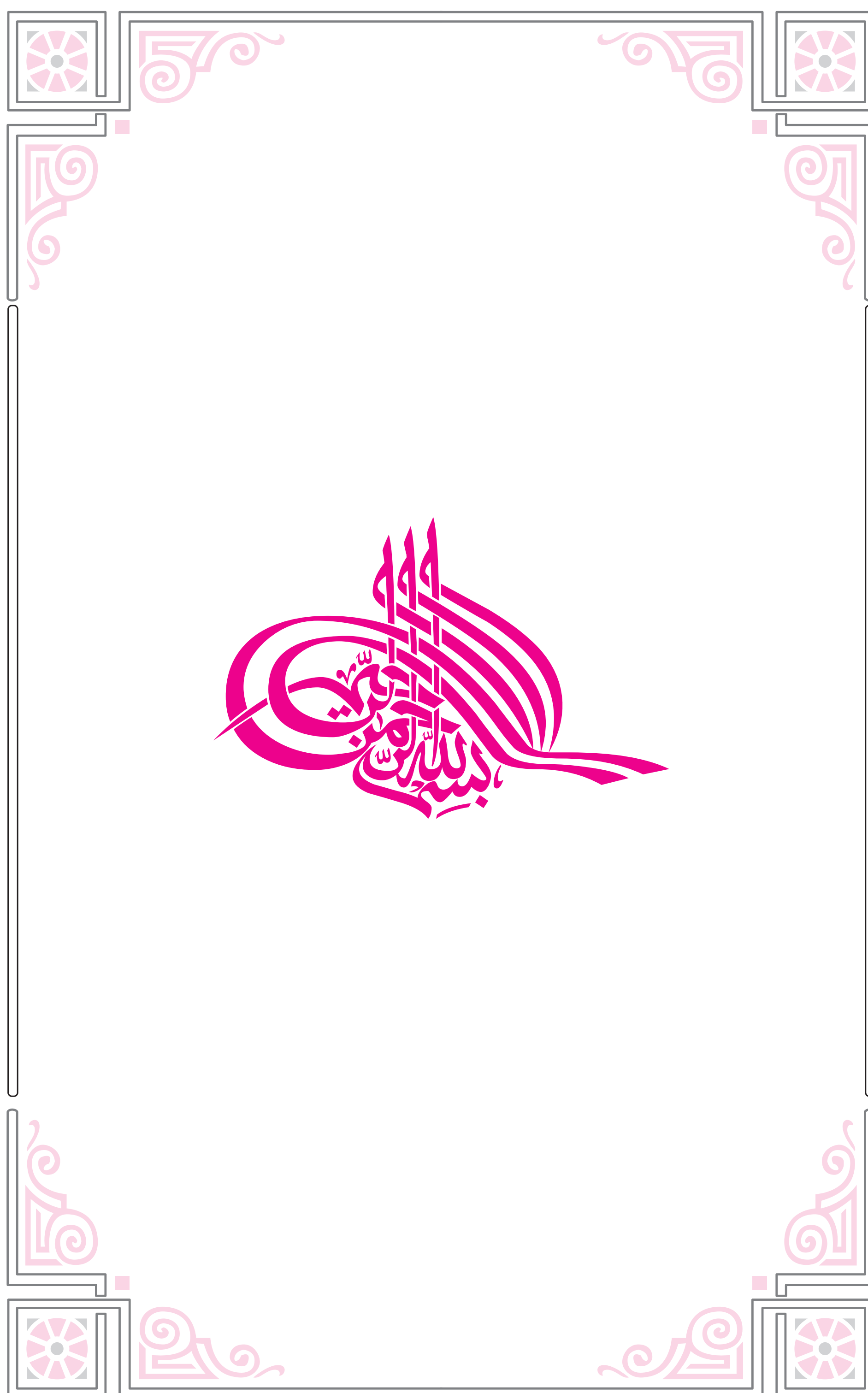
مآثر وآثار

ريان بن عبد الله الموسى رحمه الله

عبق سيرة .. وثمار مسيرة

إعداد

د. عبد الرحمن بن فهد القاضي


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى ابني من الرضاع، وابن أختي من النسب:

(فهد بن ريان بن عبد الله الموسى)

أَيْ بني!

أكتبُ لك هذا الإهداءَ ودمعُ المحاجر يسابِق مِدادَ المحابر

وأقول:

يُعرف العظماء بأعمالهم لا بأعمارهم..

فاعتنِ بما تَعمر به وقتك، فهو حقيقةُ ذاتك..

لـم يفـارق والـدُك الدنيا حتى ترك أثرًا بفعله، وأثرًا بقلمه..

فليكن لك به أُسوة حسنة

هذه الـمُقَيَّدات التي بين يديك كَتَبها والدُك ليستفيد منها بنفسه،

وأنت أغلى عليه من نفسه؛ فأَفِدْ منها مـا أمكنك،

وذلك مَغْنَمٌ لوالدك لم يَخطر له على بال!

والله يتولانا ويتولاك وجميعَ ذراري المسلمين..



أبوك

د. عبد الرحمن بن فهد بن سليمان القاضي

محرم/ ١٤٤٦هـ

تقديم والد ريان الموسى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قَدَّرَ الأعمار والآجال، وكتب الآثار والأعمال، وَقَسَّم المعايشَ والأموال، وخلق الموت والحياة لِيَبلُوَنا أيُّنا أحسنُ عملًا، وهو العزيز الغفور.

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، وخيرتُه من بريَّته، وصفوتُه من خَليقته، وأصبَرُهم لِحُكم الله، وأَشكرُهم لِنِعَمِ مولاه، القائلُ:

«يا أيها الناس! أيُّمَا أحدٍ من الناس ـ أو من المؤمنين ـ أُصيبَ بمصيبةٍ فَلْيَتَعَزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحدًا من أمتي لن يُصاب بمصيبةٍ بعدي أشدَّ عليه من مصيبتي».

أما بعد:

فما من شَكٍّ في أن الولد فِلْذَة كبد، وقطعة من الجسد.. عليه تُعقد الآمال، فإذا ما اخترمته المنيةُ فذلك هو المصابُ العُضَال، والحمد لله على كل حال.

اصبرْ لكلِّ مصيبةٍ وتَجَلَّدِ ... واعلمْ بأنَّ المرءَ غيرُ مُخلَّدِ
فإذا ذَكرتَ مصيبةً تَسْلُو بها ... فاذكرْ مُصابَك بالنبيِّ مُحمَّدِ

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسَلَّم.

ثم إني أقول ـ بين يدي هذا الكتاب ـ: إن ابني ريان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان من الأبناء البررة الصالحين ـ أحسبه والله حسيبه ولا أزكيه على الله ـ، ولا أشهد إلّا بما

علمت، فقد كان له من الأخبار ما بمثلها يُقتدَى، مع صِغَر سِنِّه حين وفاتِه، عَوَّضه الله في الجنة عن شبابه وما فاتَه.

كما كان ابني ريان رَحِمَهُ اللهُ شغوفًا بالعلم وطَلَبِه، كثير القراءة والتدوين والحرص على التحصيل، مداومًا على حضور الدروس، حافظًا للقرآن والسنة وعددٍ من المتون العلمية.

وقد جاء هذا الكتاب بعنوان: (مآثر وآثار) لِيُطْلِع القُرَّاء على بعض تلك الجوانب من حياته.. جعلها الله في ميزان حسناته، وحسنات من سعى في الجمع والإخراج والنشر.

رحم الله ابني ريان، ورفع منزلته، وجمعنا به وبسائر أحبابنا في الفردوس الأعلى من الجنة، آمين. والحمد لله رب العالمين.

كتبه

عبد الله بن سعد الموسى (أبو ريان)

٢٠/ محرَّم/ ١٤٤٦هـ

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فبعدما توفّي والدي الشيخ (فهد بن سليمان القاضي) رحمه الله رحمة الأبرار ـ وذلك في منتصف شهر ربيع الأول من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف ـ؛ اتجهتُ بجدية إلى جمع تراثه العلمي، وكان معي ثُلة من محبي الشيخ الوالد يشاركونني في ذلك المشروع، أجزل الله لهم الأجر والمثوبة.. وها قد أَيْنَعَتْ بعضُ ثمار تلك الجهود، ولله الحمد والمنة، جعلها الله مباركة متقبلة.

وقد كان من تلك الثُّلة التي شاركتني هَمَّ مشروع تراث الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخي ريان بن عبد الله الموسى، زوج إحدى أخواتي..

ثُمَّ لم تَمضِ سنتان على وفاة والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى توفي (ريان رَحِمَهُ ٱللَّهُ) إِثرَ مرض مفاجئ أَلَمَّ به أيامًا معدودة، ولم يكن حينها قد أتم من العمر اثنتين وثلاثين سنة، والحمد لله على كل حال، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

فلم أَحتجْ إلى كثيرٍ من التفكير؛ وقررت أن أزور مكتبة (ريان) لأَسْتَلَّ منها مُقَيَّداتِه التي تَصلح للنشر؛ مما ينفع المسلمين، ويكون عملًا يجري أجره لريان.

لا تَعْجَل عليَّ أيها القارئ الكريم!

لا تَظننَّ أني فعلتُ ذلك لعاطفة مجردة!!

وستَعلم السبب وأنت تُقلب صفحات هذا الكتاب..

مَن يُجالِسْ (ريان ﵀) يستنشقْ منه ريح الصدق والإخلاص، ويجدْ طِيب الحديث وإمتاعه. فهذان جانبان ظاهران في (ريان ﵀).

أما الأول: فهو الجانب الإيماني والتربوي في حياة (ريان)، وستقرأ شيئًا منه ـ إن شاء الله ـ في القسم الأول من هذا الكتاب، فيما أسميتُه بـ(مآثر ريان).

وأما الثاني: وهو جانب الأدب والحكمة، فإن حديث (ريان) لا يُمل، حيث إنه لا يخلو من استشهاد ببيت من الشعر، أو مقولةٍ حكيمة، أو خبر فيه عِظَة.. وسوف تجد ذلك في القسم الثاني، وهو ما أُطلق عليه عنوان: (آثار ريان).

إن هذين الجانبين هما السبب الرئيس للانطلاق في هذا المشروع المبارك إن شاء الله تعالى.

وقبل أن تُرسل طَرْفك وفِكرك معًا في جَنَبات هذا الكتاب؛ أُحب أن أتقدم بالشكر ـ بعد شكري لله المنعِم ـ إلى من كان لهم إسهام وإحسان في هذا العمل، وأَخصُّ منهم:

ـ الشيخ عادل بن عبد العزيز الجهني، الذي بادر بكتابة طَرَف من سيرة ريان، وطَبَع تلك الكتابة، ونشرها، وعنوانُها:

(ريان بن عبد الله الموسى ﵀ صدقُ التديّن واستقامةُ الحياة ـ سيرة راحل ـ)

وقد أفدتُ مما كتبه، وذلك في القسم الأول من هذا الكتاب (مآثر ريان)، أسأل الله أن يجزيه على مبادرته خيرًا.

ـ وكذلك أخي وصديقي عبد الرحمن بن عبد الله الشُّبيلي، الذي تَجَشَّم عَناءَ نَسخِ دفاتر (ريان)، وأفادني برأيه ومشورته، وذلك في القسم الثاني من هذا الكتاب (آثار ريان).

ـ واللبيب الأريب عبد الرحمن بن عبد الرحمن الجُمَّيزي، الذي اعتنى

بالمدونة الشعرية؛ تحقيقًا وتدقيقًا، وتصويبًا وترتيبًا، وضبطًا للشَّكل وتعليقًا على الـمُشكل.

وإن تَعْجَب؛ فاعجبْ من كون هؤلاء الفضلاء جميعًا لم يَجتمعوا بريان قط! لكنهم أَحَبُّوه في الله من خلال ما بلغهم من ذِكره الطيّب، وسيرته العَطِرة.

أسأل الله أن يجمعنا وإياهم ووالدينا ومن له حقٌّ علينا تحت ظل عرشه، آمين.

وأختم ببعض التنبيهات:

١ ـ جعلت الكتاب قسمين:

ـ أولهما: (مآثر ريان رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وفيه إطلالة على بعض الجوانب اللافتة في حياة ريان.

ـ ثانيهما: (آثار ريان رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وجمعتُ فيه كتابات وتقييدات ريان؛ مما يُرجى في نشره الخير. وغالب ما انتقيتُه يتصل بالرقائق والمواعظ وإصلاح القلوب والسَّير إلى الله، وإلا فله كتابات ونُقول في المسائل العلمية؛ لكني لم أُثْبِتْ منها هنا إلا القليل.

٢ ـ لم أرَ القسم الأول (مآثر ريان رَحِمَهُ ٱللَّهُ) بحاجة إلى إطالةِ الكلام فيه، وذلك لما أشرت إليه؛ من وجود كتابة سابقة، ولذلك فإني اكتفيت بإشارات هي عبارة عن خلاصات.

٣ ـ مدونة أقوال السلف والصالحين وأخبارهم، وكذلك المدونة الشعرية، لم تكن معنونًا لها، فرأيتُ من الحَسَنِ وَضْعَ عناوين لها، وإدراجَ تلك النُّقول والمختارات تحت العنوان المناسب.

٤ ـ كل ما في الهوامش من تعليقات أو إحالات أو غيرها فليس من كتابة ريان رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥ ـ بعد أن شرعتُ في هذا العمل المبارك ـ إن شاء الله ـ وجدتُ في السيرة التي كتبها الشيخ عادل الجهني ما نصه: «يقول أحدهم: كنت أتجاذب أطراف الحديث مع ريان، ونحكي عن أهمية نفع الآخرين، فأخبرني أنه عازم ـ أو بصدد العمل ـ على إعداد دفتر يجمع فيه فوائد مختصرة ونافعة وشيّقة؛ ليطرح كل مرة واحدةً منها في مَجالسه؛ لكي تكون عادة له ألا يغادر مجلسًا إلا وقد أفاد ولو باليسير».

أقول: لعل في القسم الثاني من هذا الكتاب (آثار ريان رحمه الله) وفاءً وتحقيقًا لهذه العزيمة الصادقة، والغرض النبيل.

واللهُ المسؤول أن يجعل هذا العمل متقبلًا لصاحبه، ومِن أجره المذخور، ولكل من شارك فيه، ولو بدعوة صادقة، آمين.. [1].



(١) أسعد بتواصلك عبر هذا البريد: (A.f.s.Alqadi@gmail.com)، أو عبر الجوال: (+٩٦٦٥٤٢٨٨٢٨١٦).

مآثرُ ريَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مدخل

ذَكر أهل اللغة أن «المآثر» جمع «مأثرة» بفتح الثاء وضمها، وهي: المكرُمة؛ لأنها تُؤْثَر، أي: تُذْكر، ويَأْثُرها قرن عن قرن يتحدثون بها، فهي ـ كما قال بعض أهل اللغة ـ: المكرُمة المتوارثة.

وهذا غرضي من هذا القسم؛ أنْ أَذكر تلك الخصال الحميدة، والخلال الجميلة، التي تَحَلَّى بها (ريان رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، لعلها تلامس القلوب، وتُقَوِّم الأخلاق، فيتناقلها أبناء هذا الجيل ويتوارثونها، فَتَسُود بيننا المكارم، وتنمحي ـ بعون الله ـ المآثم، وتغلب القدواتُ الصالحة التي تُحَلِّق عَزَمَاتُها في السماء، وتتضاءل أمامها الهمم التي تَحُوم حول مستنقعات الأرض..



تعزية

ما إنِ انتشر بين الناس نبأ وفاة (ريان رَحِمَهُ ٱللَّهُ) ظُهْرَ يوم السبت (١٩/ ١/ ١٤٤٣هـ) حتى انهالت التعازي؛ رسائلُ ومهاتفات، وكان منها: تعزيةٌ قيّمةٌ بعث بها أحد الفضلاء، جزاه الله عنا خيرًا، وقد رأيتُ إثباتَها هنا بحروفها؛ ليعم الانتفاع بما تحمله من معانٍ عميقة، وهذا نصها:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُحسن عزاءكم، وأن يغفر له، وأن يرفعه في أعلى الجنة، وأن يجعل آخرته خيرًا من دنياه.

والحمد لله على قضائه وقدره..

«إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلُّ شيء عنده بأجل مسمى».

هذه الجمل الثلاث نسمعها كثيرًا في مثل هذه المناسبة، قد جاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولو أن المؤمن تأمل هذه الجمل الثلاث لَاستراح قلبُه.

«إن لله ما أخذ»؛ يعني أخذ ما يملك، فنحن ملك لله عَزَّ وَجَلَّ، فهذا الذي قبضه الله عَزَّ وَجَلَّ ليس بملك لنا، ليس بملك لزوجته، ولا بملك لأمه، ولا لأبيه، وإنما هو ملك لله، ونحن جميعًا إنما نحن عَبيدُه ومماليكُه، فله ما أخذ.. أخذ ملكه، ما ظَلمنا.

«وله ما أعطى»؛ فالعطايا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي مِلكه، أعطانا، فهو عَارِيَّةٌ في أيدينا، ثم لما أراد المالك أن يأخذ ملكه؛ أخذه في الوقت الذي أراد، وبالطريقة التي أراد، وفق علمه وحكمته.

«وكل شيء عنده بأجل مسمى»؛ فهذا في توقيت محدد، ولا يمكن أن يقال: فلان اخترمته المنية قبل أوانه ـ مثلًا ـ!

لا لا! هذا وقته.

والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾، ويقول: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

جاء عن بعض السلف ـ مثل ابن عباس رضي الله عنهما ـ: ﴿يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾؛ يعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

فالذي يكون من الله تبارك وتعالى: رِضَى.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ يعلم الوقت الذي يَقبض العبدَ فيه، ويعلم ما هو أصلح له، وأنفع له.

والله ﷻ يقول: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ من قبل أن تُخلق، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾، فهذا كله يدل على هذا المعنى الذي نُؤمن به ونتيَقَّنه.

والجميع سيمضي، فالله نَعَى إلينا أنفسَنا جميعًا حينما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

الكل سيمضي؛ لكنْ هي مسألةُ وقت، متى؟ لا يدري الإنسان؛ بعد لحظة، بعد لحظات، بعد ساعة، بعد يوم، «إذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساء، وإذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصباح».

فيكون حال المؤمن كما قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾، إنا لله وإنا إليه راجعون.

فهذا سَلوة المؤمن، والآخرة خير للمؤمن، خير وأبقى، وما الدنيا؟! وما متاع الحياة الدنيا؟! دار الكبد والتعب والأمراض والعناء.

ومِثله رَحِمَهُ اللَّهُ يُرجى له خير كثير؛ نشأةٌ صالحةٌ، وعلى حال مَرْضِيَّة ـ نحسبه والله حسيبه ـ، على صلاح واستقامة وطاعة وسُنة، ومات على هذا ـ نحسبه ـ، هذا فضل كبير ونعمة عظيمة؛ ما مات مفتونًا، ولا مات على حال من التضييع، وإنما مات على حال وحياة طيبة ـ نحسبه والله حسيبه ـ.

وحياة الإنسان لا تقاس بكونه عاش ثلاثين سنة، أو أقل أو أكثر.. العبرة بما عاش الإنسان عليه، قد يعيش الإنسان ثلاثة أضعاف عُمُر ريان رَحِمَهُ اللَّهُ، من الناس من يعيش تسعين سنة! لكن في ماذا؟ لا شيء! وآخر يعيش ثلاثين سنة، يكافئ عُمُر هذا الذي عاش تسعين سنة أو مئة سنة أضعاف المرات.

العبرة بما يكون عليه الإنسان في حياته، في سَيره لله عَزَّوَجَلَّ وسَفره إليه.

فالحمد لله على قضائه وقدره، هو الذي أعطاه، وهو الذي أخذه، وفي الوقت الذي حدده، قدَّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كل هذا مقدر، وكل هذا محسوب، كل هذا مكتوب.

فليس أمام المؤمن إلا التسليم لقضاء الله عَزَّوَجَلَّ، وليس هذا هو المثوى الأخير، وإنما اللقاء هناك في الآخرة.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجمعكم به في مقعد صدق عند مَلِيكٍ مقتدر، في جنات ونهر، هناك دار الراحة، وإلا فإذا فارق المؤمن هذه الدنيا وكان على خير وسُنة؛ فقد يقال: ذهب الظمأ، وابْتَلَّتِ العروق، وثبت الأجر إن شاء الله.

ذهب التعب، وذهبت الأجهزة والأدوية والمحاليل، واستراح من هذا كله.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنى أن يجعله مستريحًا في روضات الجنات، إنه سميع مجيب.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يحسن عزاء الجميع

من مآثر ريان رَحِمَهُ اللَّهُ

- كان **تَعلُّقه بالصلاة** باديًا عليه منذ صغره، فقد ذكرتْ والدته - حفظها الله - أنه أحب الصلاة وحافظ عليها من قبل سِن السابعة - قبل أن يؤمر بها شرعًا -، وما تركها حتى لقي ربه عَزَّ وَجَلَّ .

ولعل هذا من أعظم أسرار نجاحه في شؤون الحياة، ومن أهم أسباب ثباته حتى الممات، رَحِمَهُ اللَّهُ .

- كان ذا **هِمة عالية** حتى وهو في طفولته، تقول والدته - حفظها الله -: أذكر - في طفولته - أننا حينما نسأله عما يتمنى أن يكون إذا كبر؟ كان يجيب: أتمنى أن أكون المفتي!

شرع في حفظ القرآن وهو في السادسة من عمره، وأتمه بإتقان في الصف الثالث المتوسط، ثم التحق بعد ذلك بالدورات المكثفة لحفظ سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما حفظ العَدِيد من المتون العلمية.

- **الجدية** في حياته سِمَة لا تخفى على من يصاحبه، فمن ذلك: إقباله على طلب العلم بجد وقوة، فكان كثير الجلوس في مكتبته لا يكاد يفارقها! وسافر في طلب العلم وتحصيله والقراءة على أهل العلم وملازمتهم.

ومن ذلك: جِدُّه في العبادة ومداومته عليها وعدم انقطاعه عنها، ولذلك شواهد كثيرة، أكتفي بذِكر أعجبها إليَّ، وذلك أنه كان في يوم زفافه صائمًا، وكان يومَ خميس.

ومن العجيب - أيضًا - مما يتصل بجديته رَحِمَهُ اللَّهُ : أنه وضع لنفسه جدولًا، ليس لتنظيم البرامج العلمية، ولا للخطط المستقبلية، ولا لتنفيذ مهامّ العمل،

وإن كان يفعل ذلك؛ لكنه ليس بمستغرَب، بل وضع لنفسه جدولًا مختصًّا بالذكر والعبادة!!

التزم في ذلك الجدول بقراءة وِرد من القرآن، وقولِ عدد من الأذكار، والمحافظةِ على السنن الراتبة، وصلاةِ الضحى، وقيامِ الليل، والصدقةِ اليومية، وصيامِ بعض الأيام.

كما ألزم نفسه في ذلك الجدول بالذهاب إلى المسجد قبل مضي خمس دقائق إلى عشر دقائق من الأذان، وإدراك الصف الأول، وتكبيرة الإحرام، وألزم نفسه ـ أيضًا ـ بالتبكير إلى صلاة الجمعة، والتركيز على العمل أثناء القيام به وعدم الانشغال بأي أمر كان.

كل ذلك قد رسم له جدولًا، وذلك الجدول يُحدِّثه في كل مدة، ويَكتب أمام كل فقرة منه نِسبةَ الإنجاز من مئة.

ومما يتصل بالجدية في العبادة ـ أيضًا ـ: أن لديه دفترًا يَحمل عنوان: (دفتر محاسبة الجوارح).

مَن منا يُعامِل نفسه بهذا الحزم؟!

ومن مظاهر جديته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حزمه مع نفسه في التعامل مع جهاز الجوال وما فيه من برامج وتطبيقات، فكان إذا جلس في المكتبة أخرج الجوال حتى لا يشغله أو يتشاغل به، وكان إذا جلس في الدور العُلوي من بيته ترك الجوال في الأسفل، والعكس! كما منع نفسه من الدخول إلى مواقع التواصل الاجتماعي من جواله؛ بل إذا احتاج إلى ذلك دخل إليها من جهاز الكمبيوتر؛ لئلا يتمادى ويسترسل..

ومما رأيته متكررًا في الجداول المشار إليها سابقًا: مقولات للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإليك نصها:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي يملك به ذلك كلَّه: خروجُه عن العادات والمألوفات، وتوطينُ النفس على مفارقتها، وما على العبد أضرُّ من ملكِ

العادات له، وما عارضَ الكفّارُ الرُّسلَ إلّا بالعادات المستمرّة الموروثة لهم عن الأسلاف. فمن لم يوطِّن نفسَه على مفارقتِها والخروجِ عنها والاستعدادِ للمطلوب منه، فهو مقطوعٌ، وعن فلاحه وفوزه ممنوعٌ. ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِلاك ذلك: الخروج عن العوائد؛ فإنها أعداء الكمال والفلاح، فلا أفلح من استمر مع عوائده أبدًا، ويستعين على الخروج عن العوائد بالهرب عن مظان الفتنة والبُعد عنها ما أمكنه، وقد قال النبي ﷺ: «من سمع بالدجال فَلْيَنْأَ عنه»، فما استعين على التخلص من الشر بمثل البُعد عن أسبابه ومظانه».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتقدمُ والسبقُ إلى الله سبحانه إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعلومٌ أنَّ شجرة الثبات والعزيمة لا تقوم إلا على ساق الصبر».

ـ كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب **عبادة وزَهَادة**، يزكي العلم بالعمل، يكثر القراءة في أخبار الصالحين.. وستجد ـ أيها القارئ الكريم ـ شيئًا مما قيده هو من أقوال السلف والصالحين وأخبارهم، وذلك في القسم الثاني من هذا الكتاب.

ـ أخلاقه العالية **وتواضعه**، مع الكبير والصغير، والقريب والبعيد، من المِنَن التي امتنَّ الله بها عليه، قال ﷺ: «ما من شيء أثقلُ في الميزان من حُسن الخُلق».

كان يستحضر قول النبي ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة»، يقول أحد أصحابه: قال لي ريان: إني أنادي المُمَرِّض بـ (يا دكتور) حتى أُفرحه.

ومما يتصل بهذا: سلامة صدره على المسلمين، وطِيب نفسه، نحسبه والله حسيبه أنه مخموم القلب.

ـ حاله مع **القرآن الكريم** يلفت النظر، ويثير العجب، فقد كان مصاحبًا لكتاب الله تعالى في أغلب أوقاته.. تقول أختي ـ زوجتُه ـ: كان مصاحبًا للقرآن، لاسيما في الأشهر الأخيرة من حياته، حيث كان يقضي أكثر وقته مع القرآن، وعندما فتحنا جهازه «الكمبيوتر» بعد وفاته، وجدنا الشاشة مفتوحة على «تطبيق المصحف»، فكان كتاب الله تعالى آخر شيء فتحه في هذا الجهاز.

ويقول أحد زملائه في العمل: كنت أجده في ساعات متفرقة عندما يجد فراغًا في العمل يفتح المصحف، حتى إني من شدة تعجّبي حاولت أن أعرف عدد الأجزاء التي يقرؤها، فوجدتها ثلاثة أجزاء تقريبًا، هذا في أثناء أوقات الفراغ في العمل فقط!

ـ كان رحمه الله يجتهد في **إخفاء العمل الصالح** ما استطاع.. يغلق الباب عندما يريد أن يصلي! وعندما يهم بالقيام بعمل خيريّ يحتاج فيه إلى المشورة فإنه يُوَرّي!

لعل هذا الجانب العظيم من أسباب ثباته حتى مماته رحمه الله.

ـ من مآثره الجميلة والجليلة: **بِرُّه بوالديه**، فقد قال عنه والده ـ حفظه الله ـ: واللهِ لم أسمع من ريان طوال حياته كلمةً تُضَيِّق صدري، وكان يخفض صوته إذا كلمني تأدبًا واحترامًا؛ حتى إني كنت أَسْتَفْهِمُه أحيانًا عما يقول، من شدة خفض صوته لي، وكان يداريني ويعاملني أنا ووالدته بلطف شديد، وكنتُ كلما رأيته أُسَرُّ وأفرح.

ومن لطيف بره بوالدته: أنه كان يرسل لها رسائل في بعض المناسبات، كما في أول مرة حج فيها، وكذا في يوم زواجه، حيث أعدَّ لها هدية، وكتب لها رسالة طويلة مؤثرة، يشكرها فيها على حُسن تربيتها له، واهتمامها به طيلة حياته، ويعتذر إليها عن التقصير، ومما جاء فيها:

أمي الحبيبة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. . .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يُعليَ ذِكركِ، وأن يبارك فيكِ، وأن يرفع قدركِ. . .

أمي الحبيبة: لقد عشتُ معكِ في البيت الذي جَمَّله اللهُ بكِ. . وأناره بصلاحكِ وتُقاكِ أيامًا لا تُنسى طول عمري وحياتي. .

لقد ربيتيني فأحسنتِ تربيتي، وأدبتيني فأحسنتِ تأديبي، وزرعتِ في قلبي حُبَّ الخير، وغرستِ في قلبي تعظيمَ الصلاة والحرصَ عليها والتبكيرَ إليها، فجزاكِ الله كل خير يا أمي الغالية. .

أمي الحبيبة:

لا أدري كيف أشكركِ ولا أعلم بأي الكلمات أبدأ. .

أشكركِ يا أمي من أعماق قلبي وفؤادي عدد ذرَّات أنفاسي على كل ما بَذَلْتيهِ في حقّي. .

أمي الحبية:

لقد قصرتُ في حقكِ كثيرًا. . فأرجو منكِ يا أمي الحبيبة أن تعذريني على تقصيري وإهمالي، وأن تسامحيني وأن تصفحي عن ابنكِ الذي يتقطع قلبه لفراقكِ. . .

اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن ترضى عن أمي. . .

اللهم ارضَ عنها، وبارك فيها، وأسعد قلبها، وجازِها عني خير الجزاء، واشكر سعيها، يا رب العالمين، يا رب العالمين.

ابنكِ المحب لك: ريان.

وقد بعث (ريان رَحِمَهُ ٱللَّهُ) إلى والده برسالة قريبة من هذه. .

ومما يتصل بهذا: **صِلَتُه لِرَحِمه**، فقد كان حريصًا على حضور

الاجتماعات العائلية، حتى إنه عُقِد اجتماع لأقاربه في أيام تعبه ـ قبل وفاته بأيام يسيرة ـ، فتحامل على نفسه وحضر.

ـ ومن دَقِيق **وَرَعِه** الذي لا يُجاريه فيه إلا قِلَّةٌ من الناس: ما حكاه مسؤول في مقر عمله قائلًا: كان ريان بين فترة وأخرى يسألني عن رقم حساب الشركة، فأقول له: ليس عندي، حتى علمتُ بعدُ أنه حصل عليه، وأنه كان يُحَوِّل جزءًا من راتبه عليه في بعض الشهور مقابل الأوقات التي يرى أنه لا يستحق عليها الراتب!

وقال مديره في العمل: إنه كان حريصًا على تنقية راتبه الذي يأخذه، فقد أتاني يستأذن في قراءة بعض الكتب النافعة في الساعات التي يفرغ فيها أثناء دوامه.

ـ **قِصَر الأمل، والاستعداد للموت**، كان أمرًا حاضرًا لا يكاد يغيب عنه رحمه الله، فقد كتب وصيَّته وهو في العشرينات من عمره!

كما علَّق فوق مكتبه مقولة ابن الجوزي رحمه الله: «أيها المشغول باللذات الفانيات! متى تستعد لِمُلِمَّات الممات؟ متى تستدرك هفوات الفوات؟ أتطمع مع حُب الوسادات في لحاق السادات؟! وأنَّى تجعلك مثلهم أنَّى وهيهات».



مقال: ريان فطرة سكنت في إنسان

بقلم الأستاذ: أحمد بن عبد المحسن العساف، الجمعة

١٤٤٣/١/٢٥هـ

ثلاثون عامًا فقط هي عمر هذا الشاب الذي توفي يوم السبت: التاسع عشر، من شهر الله المحرم، وصُلي عليه عصر الأحد، في جنازة مهيبة، واجتماع كبير، لم يكن باعثها دعوة رسمية، ولا أمل في رضا أو قرب أو ميراث أو دعوى بالوفاء، وغيرها من أسباب قد تحفز البعض لشهود الجنائز،

وهو أمر صعب عند قوم، ومكروه لدى آخرين، ويخشاه قسم ثالث، وإنما الذي ساقهم إليه زرافات ووحدانًا شأن آخر، وأمر غاب عن البشر، واطلع عليه ربّ البشر سبحانه، الذي يعلم عن نقاء الفطرة، وإقبال القلب عليه بإخلاص ومحبة ورجاء وخوف.

فرحمة الله ومغفرته وعفوه لفتى الكهول، الشيخ الشاب: ريان بن عبد الله الموسى، وأحسن الكريم الودود عزاء والديه وإخوانه وأسرته وجميع آله، والعزاء كلّ العزاء مع المواساة لزوجِه سليلة بيت الفضل والتربية والإصلاح والتاريخ، ولنجله الرضيع الذي سيفتح عينيه فلا يرى حوله الأب الشفيق، فاللهم أحطهما بإحسانك، واحرسهما بعينك وركنك، وارزقهما من عندك، واخلف عليهما بخير إلى خير غير منقطع ولا ممنون ولا فيه لمخلوق عليهما مِنَّة.

إن هذا الشاب الفقيد المغادر لِدُنيانا البالية قد مضى بثلاثين عامًا فقط في الحساب العددي، ولعلها أن تكون عند الله أكثر من هذا بكثير، فكم من ليلةِ قَدْرٍ أدركها فأحياها ثمّ قُبلت منه، والواحدة منها بألف شهر، وكم من عَشْرٍ أواخرَ في رمضان اعتكف فيها وانخلع عن الدنيا وما فيها، وكم من عَشْرٍ أوَل في ذي الحجة صرمها؛ مغتنمًا عظيم أجرها، وإن أجرها لعظيم كبير.

وكم من أيام فاضلة أمضاها صائمًا في هجير وبرد؛ متحريًا الثواب ورضا الرب، وكم من ليالٍ أحياها تاركًا دفء الفراش ولذيذ الرقاد؛ مفضلًا الخلوة بمولاه ساعة السحر، والمناجاة مع التلاوة، وكم من أعمال صالحة في مواضع مضاعفة مثل مكة والمدينة، وكم من باقيات صالحات اكتسبها وطوى عليها خبر نفسه، وتلك مما يجعله أوفر حظًّا ونصيبًا بفضل الله وتوفيقه من أيِّ مُعَمَّر مفتون، أو كبير مخذول.

ومن أخباره العذبة: وَرَعُه منذ صغره، فإذا ما شك في مدة المسح خلع الجورب وغسل أقدامه، ومنها: حفظه للقرآن الكريم حفظًا متقنًا ضابطًا وهو في الصف الثالث المتوسط، وهذا يدل على منبت كريم، وموئل شريف، في

بيتٍ مؤمن عند أبوين لهما عناية وحرص، وفي مسجد معمور ومدرسة نابهة، وإلا فبعض أبناء جيله فمَن بعدهم لا يأبهون لإتمام الوضوء؛ فضلًا عن الاحتياط، ومن المؤكد أن الأوقات الثمينة لدى فئامٍ منهم هدرت فغدت بلا قيمة بين أيادي أجهزة الألعاب القتالية والكروية وأضرابها، وضاعت الجدية مع أخواتها بين طبقات صرخاتهم الفارغة.

ثمَّ فتح الله عليه في التعبد والضنانة بالوقت، ويا له من بُخل يُعدُّ ضمن المحامد؛ خلافًا لكثير من البخل والبخلاء، فكان ريان صاحب صلاة تطوعية غير المفروضة والرواتب، وذا استخفاء عن الأعين قدر المستطاع، مع انكباب على القراءة وطلب العلم، والانقطاع في مكتبته، تلك المكتبة الغاصة بالكتب على الرفوف وفوق الأرض، وأكرم بالعيش مع الكتب؛ فإنه نعيم يجوّد الحياة، ويخفف من لأواء الأيام وضنكها.

ولربما أن كُتب مكتبته تَنتظر يديه الكريمتين كي ترفعها أو تقلبها، وتشتاق لعينيه الوادعتين أن تَنظر فيها، وكأني بالمكتبة وجدرانها وأرففها وكتبها تنادي أين صاحبي التقي النقي؟ وهل لي من ريان نصيب فأرتوي به لِيَرْوَى مني ويُرْوِي مجالَه الخيري والدعوي الخصيب! ولعمركم إن الفراق كله لموجع ممضٌّ، وفراق المكتبة من أوجع أنواع الفراق المتخيّل والحقيقي.

ولم يقف الشاب الصالح عند حدود العبادات كما يفعل آخرون فُتح عليهم باب العبادات وأغلقوا على أنفسهم الأبواب دون المعاملات بأبوابها؛ حتى صار الواحد منهم في حال تصف التناقض، وهي حال البشر بعامة لمن فهم النفس البشرية على طبيعتها بما فيها من نزعات مختلفة وأحوال متباينة، والتوفيق للصالحات في كل شيء بيد الله بعد سعي المرء إليه، وكم نحزن كثيرًا من أقوام أتقياء في العبادات وهم في المعاملات دون ذلك، ولا أقول أزيد!

أما ريان فهو حريص على إطابة مطعمه كي لا يأتيه قرش من راتب عمله وهو ليس بحلال، ولذا يتحرز من أوقات تمضي دون عمل، مع أنه وضع

طبيعي في الحدود المعقولة، ويتحرج من القراءة العلمية والثقافية في أوقات الفراغ، مع أن القراءة في لحظات الفراغ أجدى من العبث أو تضييع أوقات الآخرين من زملاء العمل، وله في هذا الباب مواقف؛ من استئذان مديره، وإرجاع قدرٍ من المال تحوطًا، ويا ليت أن قطرات من نزاهة ريان تنزل على قلوب وعقول وأطراف أقوام آخرين؛ وحينها سوف ترتاح أجهزة الرقابة والتتبع والتحري.

كما عُرف بحسن الصحبة لوالديه، وهذا المنتظر من كل شاب صالح وشابة صالحة، واشتهر برفق في الزمالة، وكمال في الصداقة، ومن المؤكد أنه كان خَيْرًا من ذلك مع زوجِه وأصهاره وعدلائه الذين تفطروا حزنًا عليه، وإن المرء لَيَأْسر بأخلاقه الذين حوله من أحباب وغيرهم، وإن المرء ليدرك بحسن الخلق أجر الصائم القائم، ويقترب من مجلس الرسول الأعظم ﷺ، فهنيئًا لريان أن كان صائمًا قائمًا في الواقع، وهنيئًا له أن صيرته أخلاقه الرضية الحسنة، ومحياه الهادئ الصبوح في منزلة الصائمين القائمين.

وهنيئًا له ذلكم الثناء والمحبة من قوم يغلب عليهم الصلاح والتقوى؛ حتى إنهم لم يبرحوا قبره ولم يغادروا مثواه البرزخي مع اشتداد الحر وطول النهار؛ رجاء أن تُقبل منهم دعوة لصاحبهم وهو موسد في قبره، منفرد في لحده، ومن اللافت أنه كان في حياته يقف عند قبور لا يعرف ساكنيها بعد منصرف أهلها عنها، ولا يمضي قبل أن يؤانس وحدتهم الوحيشة بدعوة وابتهال، والجزاء أتاه بعضه من رفاقه وإخوانه، ولعل أكثره مدخر له عند مولاه يوم أن يلقاه.

وإنْ أغفل فلن أغفل عن ملمح باهر في حياة الفتى القصيرة، ذلك أنه حين رُزق بنجله الأول اختار له اسمًا يوافق اسم جدِّ الطفل لأمه؛ الشيخ المحتسب: فهد بن سليمان القاضي، رحمة الله ورضوانه عليه، وكان ميلاد فهد السِّبطِ بُعَيد رحيل جدِّه الشيخ عن الحياة بقليل، ولربما أنه دعوة استجابها الله للشيخ الذي

يَسُره أن تَسعد بُنيته الكريمة بالذرية، وهذه التسمية وفاء يُحسب لريان ولوالديه الشهمين، والله يجعل فهدًا كأبيه وأجداده الكرام من الجانبين، ويحفظه وينبته نباتًا حسنًا حتى يكون لهم ذكرًا وأجرًا وأثرًا من آثارهم.

فيا فهد بن ريان، إذا ما قرأتَ شيئًا مما قيل عن آبائك من مآثر ومناقب، فاعلم علم اليقين الراسخ الذي لا يزلزله شيء: أن أبناء الأصول الكريمة لا تضيع منهم الدروب الصائبة، وأن الأواخر يسيرون على النهج الرشيد لمن سبقهم، ولقد كان آباؤك من ذوي المحامد والمحاسن في شؤونهم كلها، وإنك لكذلك وخير من ذلك بإذن الله القدير، وهذا المرجو والمأمول، فكم من يتيم أشرقت به الدنيا، وكم من فقيدِ أبٍ أصبح من العظماء، ولك الدعوات بالنماء والرواء والبقاء وبكل خير عاجل وآجل حتى تغدو كأسلافك للمتقين قدوة وإمامًا.



مقال: رحيل ريان

بقلم ابن خال (ريان رحمه الله): عبد الرحمن بن محمد بن صالح العجلان

بتاريخ: (١٠/٢/١٤٤٣هـ)

غادر الشابُّ (ريان الموسى) بعد أن أَفنى زهرةَ شبابه ورَبيع عُمُره في طلب العلم ونَشْرِه والبذلِ والتطوعِ لخدمة دِينه ومجتمعه.

ما زالت تَعلق في سماء ذاكرتي مواقفُ لا تُنسى لابن خالي الفقيدِ رحمه الله في مُعظم مراحل حياته.

فمنذ أن كان صبيًّا صغيرًا وهو يُحب الناسَ ويُحب وَصْلَهُم، ولما كبر الفتى ريان أصبح واصلًا لرَحِمِه لدرجةٍ كبيرة، فكان دائمًا ما يتصل لتنسيق الزيارة لعماته مع إخوته، وربما رأيتُه وحدَه يزورهم من دون أيِّ مناسبة، رُغم انشغاله بأمور العمل وواجبات الأسرة.

فَصِلَةُ الرَّحِم من أَجَلِّ الصفات التي زَيَّنَتْ حياته، وأخلدتْ ذِكره في قلوب أهله وقرابته ومحبيه.

أما حياته مع كلام الله؛ فحياةٌ أخرى، وعالَم آخر، وصفحة جميلة في تاريخ هذا الشاب، وذلك بفضل الله، ثم التربيةِ الطيبة من قِبَلِ والديه اللذَينِ كانا يُشجعانه على حِفْظ القرآن الكريم منذ طفولته، فقد كان هذا الشاب حريصًا على الالتحاق بحلقات التحفيظ والانضباط فيها؛ لتحقيق الهدف السامي، والمقام العالي، وهو حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب.

ولما كبر وأتمَّ حفظ كلام الله؛ اِلتحقَ بإحدى البرامج الصيفية، ونال الإجازة من أحد كبار القراء.

وبسبب أن القرآن قد مَلأ شِغَافَ قلْبِ هذا الشاب؛ فقد قرر أن يُكْمِلَ دراسته الأكاديمية في تخصص القرآن وعلومه؛ لينال بركة القرآن وتدبر كلام الله.

وقد عرفتُ الشابَّ الفقيد زاهدًا ورِعًا في زمن كثرت فيه الفتن، وغَيَّرَتْ فيه كثيرًا من حياة الناس وعاداتهم.

أَذكرُ أنه استشارني ذاتَ مرة في تَعَلُّم اللغة الإنجليزية واستعمالِها في الدعوة إلى الله، وسألني عن إمكانية تَعَلُّمِها بدون ارتكاب أيِّ مخالفات شرعية، كسماع صوت الموسيقى، والنظر الى المرأة الأجنبية وغيرها؟

أَجَبْتُه من خلال خبرتي المتواضعة: بأن مَن أراد تَعَلُّم أيِّ لغة فَعَلَيْهِ أن يتعلم ثقافة الناس الذين يتكلمون بها، ولهذا فَقَلَّ مَن يَسْلَمُ مِن المخالفات الشرعية أثناء دراسة اللغات الأجنبية.

فكانت رَدَّةُ فِعْلِه تنبض إيمانًا وورعًا، وقال فورًا: إنه مادام الأمر كذلك فلا حاجة لي بها.

فتعجبتُ مِن قوة إيمانه عندما لم تُسوّغ له نفسُه سلوكَ هذا الطريق؛ بِحُجَّة الدعوة إلى الله، فضلًا عن الحُجج الأخرى؛ لأنه يَعلم أنها ربما تكون وسيلة

لهدم القِيَم الدينية، وَجَرِّ كثيرٍ من الشباب لفتن متلاطمة في أخلاقهم ودينهم وقِيَمِهم.

وهذه المواقف فَيْضٌ مِن غَيْضٍ مِن سيرته العطرة.

أسأل الله العظيم أن يغفر للفقيد، وأن يرفع درجته في المهديين، وأن يَخلفه في عقبه في الغابرين، وأن يُنَوِّر له في قبره، ويَفسح له فيه، كما أسأله أن يُلهم أهلَه وذويه الصبرَ والاحتسابَ، وأن يجمعنا به في دار كرامته، ومستقرِّ رحمته؛ إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قصيدة رثاء في ريان الموسى رحمه الله

كتبها الشيخ الأديب: باسل بن سعود الرشود، (عَدِيل) ريان رحمه الله

بتاريخ: (١٤٤٣/١/٢٠هـ)

أراحلٌ من قَبلِ أن تودّعا؟ ... وتاركاً قلبَ أخيك مُوجَعا؟
وتاركاً للاحقينَ عِبرةً ... وقِصةً وغُصَّة وأدمعا؟
وتاركاً خلفَك أماً وأباً ... لولا رجاءُ ربنا تصدعا؟
أقولها تفجُّعاً؛ ثمَّ إذا ... مرَّ الأسى لُمتُ الذي تفجَّعا
ماذا إذا ماتَ على صالحةٍ ... وكفَّنوه بالثناء والدُّعا؟
راحَ كما نحسبُه ونرتجي ... لروضة مدَّ المَدى وأوسعا
لم تبقَ إلا ذكرياتُ صاحبٍ ... في مَرْبَعٍ من الهدى ترعرعا
يُفضي إلى القلبِ بلا تكلفٍ ... من جلسة تغدو أخاً مشفّعا
تراهُ في توقُّدٍ وبسمةٍ ... كأنّه الصبحُ إذا تشعشعا
يكادُ أن يقفزَ من مقعدِهِ ... حماسةً لدينه ومفزعا

لا كِبر في كلامِه أو ثوبِه   أو طبعه .. لو غيره تطبَّعا
يأنسُ بالقرآنِ في فراغهِ   من الصِّبا كان به ممتَّعا
يردُّ فضلَ أَجرِه تورعاً   وقلّ في الأموالِ من تورّعا
في وجهِه سيما من الصدق، وإن   صحبتَه رأيتَ قلباً أروعا
نبكي علينا لا عليه إننا   نرجو له من الجنانِ موضعا
فإنْ يكنْ يحصِدُ ما يزرعهُ   فما انتظارُ من نوى أن يزرعا؟
أقول يا نفسُ هنا مُودِّعٌ   فاجأه الموتُ وما توقَّعا
مات شباباً في غِنى وصحةٍ   يا من يرى في كلِّ يومٍ مصرعا
هل لكَ إن خفتَ المآب يقظةٌ   وأن تقومَ تائباً وتركعا
هل لكَ أن تترك إرثاً صالحاً   ما المرءُ إلا إرثُه لا ما ادّعى
يا ربَّ ريان إذا قبضتَهُ   فأنتَ خيرُ من نرى مستودَعا



آثار ريان رحمه الله

❖ **مدخل:**

من المسالك الرشيدة التي انتهجها (ريان رحمه الله) في طريقه العلمي: كتابتُه ما يَعِنُّ له من خواطر، وتدوينُه للفوائد التي تَعْرِض له أثناء قراءة كتاب أو سماع درس، وتقييدُه لأبيات من الشعر ذات معنى..

ذلك المنهج السديد أثمر ـ بفضل الله ـ هذا القسم الشيّق المليء بالفوائد الحِسان.

وهذا القسم يحوي أربع مدونات:

❖ **المدونة الأولى:** أقوال السلف والصالحين وأخبارهم في السلوك والوعظ.

وقد اعتُمد في هذه المدونة على دفتر صغير، كَتب (ريان رحمه الله) على طُرته هذا العنوان: (مدونة: أُدوّن فيها أقوال السلف والصالحين وأخبارَهم في السلوك والوعظ)، وقد بلغتْ تلك المدونة سبعًا وأربعين ورقة، من القطع الصغير، وفيها من أقوال السلف ما يجاوز مئتي مقولة.. لكنني اقتصرتُ على أهمها في نظري.

❖ **المدونة الثانية:** كتابات وخواطر.

ستقرأُ ـ بمشيئة الله تعالى ـ في هذه المدونة الوجيزة ما كتبه (ريان رحمه الله) من خواطر ومقولات وبحوث متنوعة المواضيع، وهي مع قلتها؛ فإنها كثيرة الفائدة إن شاء الله.

❖ **المدونة الثالثة:** الفوائد.

في هذه المدونة الحافلة كَمٌّ كبير من الفوائد المنتقاة، منها ما نُقل بالنص، وبعضها نُقل بالمعنى.

وقد استخرجت هذه المدونة من عِدة دفاتر، فبعض تلك الدفاتر أسماها (ريان رحمه الله): (دفتر الفوائد والشوارد)، وأخرى كَتب على طُرتها: (مدونة علمية، أكتب فيها الفوائد المتعلقة بآداب الطلب وفضائل العلم)، ودفتر ثالث وَسَمَه بـ: (صيد الفوائد)، ورابعٌ عنوانه: (دفتر مُقيَّدات الفوائد للكتب العامة)، وأما أعجبها، فهو ذلك الدفتر ـ وهو من القطع الكبير ـ الذي كتب في أول صفحاته: (دفتر حِفظ المقيدات).

فلقد كان (ريان رحمه الله) يَتَحَفَّظُ تلك الفوائد، ولا يَكتفي بمجرد التقييد.. وفي هذا دَرْس!

❖ **المدونة الرابعة:** أشعار منتقاة.

اعتُمد في هذه المدونة على دفترٍ جَمَع فيه (ريان رحمه الله) مختاراتٍ شعرية.. وقد ذكرتُ بعضَ نبأِ ذلك الدفتر الصغير في محله!

ومن اللطيف هنا: ما ذَكره الأخُ الذي اعتنى بهذه المدونة، فقد أشار إلى أن أول بيت كُتب في ذلك الدفتر هو بيت المتنبي:

لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلُّهُمُ ... الجودُ يُفقِرُ والإقدامُ قتَّالُ

وآخر ما كُتب في المدونة:

لَا تَصْحَبِ الْكَسْلَانَ فِي حَالَاتِهِ ... كَمْ صَالِحٍ بِفَسَادِ آخَرَ يَفْسُدُ

عَدْوَى الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةٌ ... كَالْجَمْرِ يُوضَعُ فِي الرَّمادِ فَيَخْمُدُ

ففيما ابتدأ به وخَتم رسالةٌ لكل طالب علم، وصاحب همة عالية، وغاية شريفة.. وهذا من الموافقات التي يُستأنس بها.

هذا؛ وأُنبه إلى أن ما ستراه ـ إن شاء الله ـ من المقيَّدات ليس هو كل ما دونه (ريان رحمه الله)؛ بل وضعتُ بين يديك الأنسبَ ـ في نظري ـ، مما أَفرد له (ريان رحمه الله) كُراسًا خاصًّا..



المدونة الأولى

أقوال السلف والصالحين وأخبارهم في السلوك والوعظ

هذه الأقوال والأخبار مَبْثُوثَة في كتب السلف، والظاهر أن (ريان رحمه الله) اعتمد هاهنا على كتب العلامة ابن القيم، ككتاب روضة المحبين، وبدائع الفوائد، وعدة الصابرين، وعلى كتب الحافظ ابن رجب، كجامع العلوم والحِكَم، ولطائف المعارف، ومجموع رسائل ابن رجب.

ولما كان الأمر كذلك؛ رأيت من المناسب الاكتفاءَ بذكر المصادر هاهنا إجمالًا، وعدمَ عزو كل نقل مما يأتي..



الأُنسُ بالله تعالى ومحبتُه والشوق له

١ ـ عن رِيَاحٍ قال: كان عندنا رجل يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة حتى أُقعد من رجليه، فكان يصلي جالسًا ألف ركعة، فإذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة، ثم قال: عجبتُ للخليقة كيف أَنِسَت بسواك! بل عجبتُ للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك!

٢ ـ قال أبو أسامة: دخلت على محمد بن النضر الحارثي، فرأيته كأنه منقبض، فقلت: كأنك تكره أن تؤتى؟ قال: أجل، فقلت: أوَما تستوحش؟! فقال: كيف أستوحش وهو يقول: «أنا جليس من ذَكَرني».

٣ ـ قيل لمالك بن مِغول وهو جالس في بيته وَحْدَه: ألا تستوحش؟ فقال: ويستوحش مع الله أحد؟!

٤ ـ كان حبيبٌ أبو محمد يخلو في بيته ويقول: من لم تَقَرَّ عينُه بك فلا قَرَّت عينُه! ومن لم يأنسْ بك فلا أَنِسَ!

٥ ـ قال غزوان: إني أَصبتُ راحة قلبي في مجالسة مَن لديه حاجتي.

٦ ـ قال مسلم بن يسار: ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بالله ﷻ.

٧ ـ قال مسلم العابد: ما يجد المطيعون لله لذةً في الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم، ولا أحبَّ لهم في الآخرة من عظيم الثواب أكبرَ في صدورهم وألذَّ في قلوبهم من النظر إليه.

٨ ـ وقال إبراهيم بن أدهم: أعلى الدرجاتِ أن تنقطع إلى ربك، وتستأنس إليه بقلبك وعقلك وجميع جوارحك، حتى لا ترجو إلا ربَّك، ولا تخاف إلا ذنبَك، وترسخَ محبتُه في قلبك حتى لا تُؤْثِرَ عليها شيئًا.

٩ ـ قال معروفٌ لرجل: توكل على الله حتى يكون جليسَك وأنيسَك وموضعَ شكواك.

١٠ ـ قال ذو النون: من علامات المحبين لله: أن لا يأنسوا بسواه،

ولا يستوحشوا معه، ثم قال: إذا سكن القلبَ حبُّ الله: أَنِسَ بالله؛ لأن اللهَ أَجَلُّ في صدور العارفين أن يحبوا سواه.

١١ ـ قال بعض العارفين ـ في قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ...﴾ ـ: لما علم اللهُ شوق المحبين إلى لقائه ضَرَب لهم موعدًا للقاء تَسْكُن به قلوبُهم.

١٢ ـ قال ابن القيم: فإنه ليس للقلب والروح ألذُّ ولا أطيبُ ولا أحلى ولا أَنْعَمُ من محبة الله والإقبال عليه وعبادتِه وَحْدَه وقُرَّةِ العين به والأنسِ بقُرْبِه والشوقِ إلى لقائه ورؤيته، وإنَّ مثقال ذرة من هذه اللذة لا يُعْدَل بأمثال الجبال من لذات الدنيا، وكذلك كان أدنى مثقال ذرة من إيمان بالله ورسوله يُخَلِّص من الخلود في دار الآلام؛ فكيف بالإيمان الذي يمنع دخولها؟

١٣ ـ قال بعض العارفين: من قَرَّتْ عينُه بالله قَرَّتْ به كلُّ عين، ومن لم تَقَرَّ عينُه بالله تَقَطَّعَت نفسُه حسراتٍ على الدنيا.

١٤ ـ قالت رابعةُ: شغلوا قلوبَهم بحب الدنيا عن الله، ولو تركوها لَجَالَتْ في الملكوت ثم رجعت إليهم بطرائف الفوائد.

١٥ ـ وقال بعض المحبين: إن حُبَّه ﷻ شَغل قلوب محبيه عن التلذذ بمحبة غيره، فليس لهم في الدنيا مع حُبِّه ﷻ لذةٌ تُداني محبتَه، ولا يُؤَمِّلون في الآخرة من كرامة الثواب أكبرَ عندهم من النظر إلى وجه محبوبهم.

١٦ ـ وقال بعض السلف: ما من عبد إلا وله عينان في وجهه يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبد خيرًا فتح عينيه اللتين في قلبه، فأبصر بهما من اللذة والنعيم ما لا خطر له؛ مما وَعَد به من لا أصدقَ منه حديثًا، وإذا أراد به غير ذلك تركه على ما هو عليه، ثم قرأ: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾.

١٧ ـ قال ابن القيم: ولو لم يكن للقلب المشتغل بمحبة غير الله

المُعْرِضِ عن ذِكره من العقوبة إلا صَدَؤُه وقسوتُه وتَعَطُّلُه عما خُلق له؛ لكفى بذلك عقوبة.

١٨ ـ قال أيضًا: ولو لم يكن في محبة الله إلا أنها تُنجي مُحِبَّه من عذابه؛ لكان ينبغي للعبد ألا يتعوَّض عنها بشيء أبدًا.

١٩ ـ وقال ابن القيم: وأبعدُ القلوب من الله القلبُ القاسي، ولا يُذهِب قساوتَه إلا حُبٌّ مقلق، أو خوفٌ مزعج.

٢٠ ـ وقال ابن القيم أيضًا: ومِلَاكُ الأمر كلِّه: الرغبةُ في الله، وإرادةُ وجهه، والتقربُ إليه بأنواع الوسائل، والشوقُ إلى الوصول إليه ولقائِه.

٢١ ـ وقال أيضًا: وأما الرغبةُ في الله، وإرادةُ وجهه، والشوقُ إلى لقائه؛ فهي رأس مال العبد، ومِلَاكُ أمره، وقوام حياته الطيبة، وأصل سعادته وفلاحه، ونعيمه وقُرَّة عينه، ولذلك خُلق، وبه أُمر، وبذلك أُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، ولا صلاح للقلب ولا نعيم إلا بأن تكون رغبته إلى الله عز وجل وَحْدَه، فيكون هو وَحْدَه مرغوبَه ومطلوبَه ومرادَه، كما قال الله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾.

٢٢ ـ قال ابن القيم: أَقَرُّ شيء لعين المحب خلوتُه بِسِرِّه مع محبوبه. حدثني من رأى شيخنا عُنْفوان أمرِه، خرج إلى البرية بكرةً، فلما أصحر تنفس الصعداء، ثم تمثل بقول الشاعر:

وأَخرجُ من بين البيوتِ لعلني ... أُحَدِّثُ عنك النفسَ في السِّرِّ خالِيَا

٢٣ ـ وقال بعض العارفين: إن الحديد إذا لم يُستعمل غَشِيَه الصَّدَأ حتى يُفسده، كذلك القلبُ إذا عُطِّل من حب الله والشوقِ إليه وذِكره غَلَبَه الجهل حتى يُمِيتَه ويُهْلكه.

٢٤ ـ وقال سمنون: ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة؛ لأن النبي ﷺ قال: «المرءُ مع من أحبَّ»، فَهُم مع الله في الدنيا والآخرة.

٢٥ ـ وقال ابن القيم: رضيتَ لنفسك بالحبس في الحُشّ، وقلوبُ محبيه تَجُول حول العرش.

٢٦ ـ وقال: ومنها ـ أي: من علامات المحبة ـ: الإسراعُ إليه في السير، وحثُّ الركاب نحوَه، وطَيُّ المنازل في الوصول إليه، والاجتهادُ في القرب والدنوِّ منه، وقطعُ كل قاطع يقطعُ عنه، واطِّراحُ الأشغال الشاغلة عنه، والزهدُ فيها، والرغبةُ عنها، والاستهانة بكل ما يكون سببًا لغضبه ومَقْتِه وإن جَلَّ، والرغبةُ في كل ما يُدني إليه وإن شَقَّ.

٢٧ ـ قال ابن رجب: فأما الرضا بالقضاء فهو من علامات المخبتين الصادقين في المحبة، فمتى امتلأتِ القلوب بمحبة مولاها؛ رضيت بكل ما يقضيه عليها مِن مُؤْلم ومُلَائم.

٢٨ ـ وقال: ففي الحقيقة؛ النعيمُ الذي لا يَنْفَدُ هو: طاعة الله، وذكره، ومحبته، والأُنس به، والشوق إلى لقائه، فإن هذا نعيمٌ لأهله في الدنيا.

٢٩ ـ وقال: قلوب المحبين كالجمرة تحت فحمة الليل، فإذا هَبَّ عليهم نسيم السَّحَر التهبتْ بالأشواق، فلولا أن أريق عليها من ماء العيون، وتعدل ببرودة الذكر؛ لَسَرَى الحريقُ إلى أجسادها.

٣٠ ـ كان داود الطائي ينادي بالليل: هَمُّك عطّل عليَّ الهموم، وحال بيني وبين السُّهَاد، وشوقي إلى النظر إليك أوثقَ مني اللذات، وحال بيني وبين الشهوات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب.

٣١ ـ قال الحسن: لا تَغْتَرَّ بقولك: المرءُ مع من أحبَّ. إنه من أحب قومًا اتبع آثارهم، ولن تَلحق الأبرارَ حتى تتبع آثارهم، وتأخذَ بهديهم، وتقتديَ بسُنتهم، وتمسيَ وتصبح وأنت على مناهجهم، حريصًا أن تكون منهم، وتسلكَ سبيلهم، وتأخذ طريقتهم، وإن كنت مقصّرًا في العمل فإن

مِلاك الأمرِ أن تكون على استقامة، أما رأيت اليهود والنصارى وأهلَ الأهواء الردية يحبون أنبياءهم وليسوا معهم؟ لأنهم خالفوهم في القول والعمل، وسلكوا غير طريقهم، فصار موردُهم النارَ، نعوذ بالله من النار.

٣٢ ـ قال ابن القيم: لو استنشقتَ ريحَ الأسحار؛ لأفاق منك قلبُك المخمورُ.

٣٣ ـ قال بعض العارفين: مساكينُ أهلُ الدنيا! خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيبَ ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبةُ الله، والأُنْسُ به، والشوق إلى لقائه، والتنعمُ بذكره وطاعته.

٣٤ ـ قال ابن القيم: غَرْسُ الخلوةِ يُثمر الأُنْس.

٣٥ ـ وقال: لو صَحَّتْ محبتُك لاستوحشتَ ممن لا يُذكرك بالحبيب.

٣٦ ـ وقال أيضًا: واعجبًا ممن يَدَّعي المحبةَ، ويحتاج إلى من يُذكِّره بمحبوبه، فلا يَذكرُه إلا بِمُذَكِّر.

٣٧ ـ وقال: ومن علامات المعرفة: الهيبةُ، فكلما ازدادتْ معرفةُ العبد بربه ازدادت هيبتُه له وخَشْيَتُه إياه، ومن عرف الله: صفا له العيش، وطابت له الحياةُ، وأَنِس بالله، وأَوْرَثَتْه المعرفةُ الحياءَ من الله والتعظيمَ له والإجلالَ والمراقبةَ والمحبةَ والتوكلَ عليه والإنابةَ إليه والرضا به والتسليمَ لأمره.

٣٨ ـ وقال ابن القيم أيضًا: الخوف يُبْعِدُك عن معصيته، والرجاءُ يُحَرِّكُكَ إلى طاعته، والحُبُّ يُشَوِّقُك إليه شوقًا.

الخوف من سُوْءِ الخاتمة

٣٩ ـ كان سفيان يشتد قلقه من السوابق والخواتم، فكان يبكي ويقول: أخاف أن أكون في أُمِّ الكتاب شقيًّا، ويبكي ويقول: أخاف أن أُسلب الإيمان عند الموت.

٤٠ ـ قال عبد الحق الإشبيلي: واعلم أن سوء الخاتمة ـ أعاذنا الله منها ـ

لا تكون لمن استقام ظاهرُه، وصلح باطنه، ما سُمِع بهذا ولا عُلِم به ـ ولله الحمد ـ، وإنما تكون لمن له فساد في العقيدة، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، فربما غَلَب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة؛ فيأخذه قبل إصلاح الطوية، ويُصْطَلَم قبل الإنابة، فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة ـ والعياذ بالله ـ.

الخوف من الله ﷻ

٤١ ـ قال سهل التستري: المريد يخاف أن يُبتلى بالمعاصي، والعارف يخاف أن يُبتلى بالكفر.

٤٢ ـ قال مالك بن دينار: البكاء على الخطيئة يَحُط الخطايا كما تحط الريح الورق اليابسَ.

٤٣ ـ وكان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضًا على لحيته، ويقول: يا رب! قد علمتَ ساكنَ الجنة من ساكن النار؛ ففي أي الدارين منزل مالك؟

٤٤ ـ قال الحسن: أدركت أقوامًا لو أنفق أحدهم ملءَ الأرض ما أَمِنَ؛ لِعِظم الذنب في نفسه.

٤٥ ـ قال ابن عون: لا تَثِقْ بكثرة العمل؛ فإنك لا تدري أَيُقبل منك أم لا؟ ولا تأمنْ ذنوبك؛ فإنك لا تدري كُفِّرت عنك أم لا؟ إنَّ عملك مغيبٌ عنك كله.

٤٦ ـ قال أبو علي الدقاق: من ملك شهوته في حال شَبِيبَتِه؛ أعزه الله في حال كهولته.

٤٧ ـ خَرَج ابن مسعود رضي الله عنه فاتّبعه ناس، فقال: واللهِ لو تعلمون ما أُغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان.

٤٨ ـ قال محمد بن واسع: لو كان للذنوب رِيحٌ ما قدَرَ أحدٌ أن يجلس إليَّ.

٤٩ ـ قال الحسن البصري: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مُشفق وَجِلٌ خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمِنٌ.

٥٠ ـ وقال الحسن: ابنَ آدم! هل لك طاقةٌ بمحاربة الله؟ فإن من عصاه فقد حاربه.

٥١ ـ قال أحمد: الخوف قد منعني أكلَ الطعام والشراب فما أشتهيه.

٥٢ ـ قال أبو سليمان: من ترك لله شهوةً من قلبه، فالله أكرم أن يُعذب بها قلبَه.

عقوبة الذنوب

٥٣ ـ قال الحسن: هانُوا عليه فعصَوه، ولو عَزُّوا عليه لَعصمَهم.

٥٤ ـ قال ابن القيم: وأشد العقوبات ـ أي: عقوبات الفواحش ـ: العقوبةُ بسلب الإيمان، ودونها: العقوبةُ بموت القلب ومَحْوِ لذةِ الذِّكر والقراءةِ والدعاءِ والمناجاةِ منه.

٥٥ ـ وقال ابن القيم: واعلم أن الجزاء من جنس العمل، والقلبُ المعلَّق بالحرام كُلما هَمَّ أن يفارقه ويَخرج منه عاد إليه، ولهذا يكون جزاؤه في البرزخ وفي الآخرة هكذا.

٥٦ ـ قال الفضيل: من استحوذَ عليه الهوى واتباعُ الشهوات؛ انقطعتْ عنه مواردُ التوفيق.

٥٧ ـ قال ابن رجب: المحنة العظمى أن أَمْرَك كلَّه بيد من لا يُبالي بوجودك ولا عدمك، كم أهلك قبلك مثلَك؟!

الكَفُّ عما لا يَعْنِي

٥٨ ـ قال سهل التستري: من تكلم فيما لا يَعنيه حُرم الصدق.

٥٩ ـ وقال معروفٌ: كلام العبد فيما لا يَعنيه خذلان من الله عز وجل.

٦٠ ـ قال مُوَرِّق العجلي: أمرٌ أنا في طلبه منذ كذا وكذا سنة لم أَقدر عليه، ولستُ بتاركٍ طلبَه أبدًا، قالوا: وما هو؟ قال: الكف عما لا يعنيني.

٦١ ـ دخلوا على بعض الصحابة في مرضه ووجهه يتهلل، فسألوه عن سبب تهلل وجهه؟ فقال: ما من عمل أوثق عندي من خصلتين: كنت لا أتكلم فيما لا يَعنيني، وكان قلبي سليمًا للمسلمين.

٦٢ ـ روى أبو عبيدة عن الحسن قال: من علامة إعراض الله عن العبد: أن يجعل شُغله فيما لا يَعنيه.

٦٣ ـ قال الشافعي: من أحب أن يَفتح الله قلبَه أو يُنَوِّرَه؛ فعليه بترك الكلام فيما لا يَعنيه، واجتنابِ المعاصي، ويكون له خَبِيئةٌ فيما بينه وبين الله تعالى من عمل.

حِفْظُ اللسان

٦٤ ـ كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأخذ بلسانه، ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

٦٥ ـ قال عمر رضي الله عنه: من كَثُر كلامه كَثُر سَقَطُه، ومن كَثُر سَقَطُه كَثُرت ذنوبه، ومن كَثُرت ذنوبه كانت النار أولى به.

٦٦ ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه: إياكم وفضولَ الكلام، حسبُ امرئٍ ما بلغ حاجته.

٦٧ ـ وقال: والله الذي لا إله إلا هو! ما على الأرض أحق بطول سجنٍ من لسان.

٦٨ ـ قال ابن بريدة: رأيتُ ابن عباس رضي الله عنهما آخذًا بلسانه وهو يقول: ويحك! قُلْ خيرًا تَغْنَم، أو اسكتْ عن سُوءٍ تَسْلَم، وإلا فاعلم أنك ستندم. قال: فقيل له: يا ابن عباس! لِمَ تقول هذا؟ قال: إنه بلغني أن الإنسان ـ أُراه قال ـ ليس على شيء من جسده أشدَّ حَنَقًا أو غَيْظًا يوم القيامة منه على لسانه؛ إلا ما قال به خيرًا أو أَمْلَى به خيرًا.

٦٩ ـ وعن النخعي: يَهْلِك الناس في فضول المال والكلام.

٧٠ ـ قال ابن رجب: فإن الإكثار من الكلام الذي لا حاجة إليه يُوجِب قساوةَ القلب.

٧١ ـ قال محمد بن عجلان: إنما الكلام أربعة: أن تَذكر الله، وتقرأ القرآن، وتُسأل عن علم فتُخبِر به، أو تكلَّم فيما يعنيك من أمر دنياك.

٧٢ ـ قال رجل لسلمان رضي الله عنه: أوصني، فقال: لا تَكلَّم، فقال: ما يستطيع من عاش من الناس ألا يتكلم، فقال: فإن تكلمتَ فتكلَّم بحق أو اسكُتْ.

٧٣ ـ قال وهب بن منبه: أجمعتِ الحُكماء على أن رأس الحِكَم الصمتُ.

٧٤ ـ قال ابن رجب: قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا أُخبرك بِمِلاكِ ذلك كلِّه؟» قلتُ: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسانه، فقال: «كُفَّ عليك هذا». هذا يدل على أن كَفَّ اللسان وضَبْطَه وحَبْسَه هو أصل الخير كله، وأن من مَلَك لسانه فقد مَلَك أَمْره وأَحْكَمَه وضَبَطَه.

٧٥ ـ قال يونس بن عبيد: ما رأيت أحدًا لسانُه منه على بالٍ؛ إلا رأيت ذلك صلاحًا في سائر عمله.

٧٦ ـ وقال يحيى بن أبي كثير: ما صلح مَنْطِقُ رجل إلا عرفتُ ذلك في سائر عمله، ولا فسد مَنْطِقُ رجل قطُّ إلا عرفتُ ذلك في سائر عمله.

غَضُّ البصر

٧٧ ـ قال ابن القيم: فكذلك النظرة إذا أثرت في القلب، فإن عَجِل الحازمُ وحسم المادة من أولها؛ سَهُل علاجُه، وإن كرر النظر، ونقّب عن محاسن الصورة، ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه؛ تمكنتِ المحبةُ، فلا تزال تَنْمي حتى يفسدَ القلبُ ويُعْرِضَ عن الفكر فيما أُمر به، فيَخرج بصاحبه إلى المحن، ويُوجِب ارتكابَ المحظورات، ويُلقِي القلب في التلف.

٧٨ ـ قال: وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس»؛ فإن

السهم شأنه أن يَسري في القلب فيعمل فيه عمل السم الذي يُسقاه المسموم، فإن بادر واستفرغه وإلا قتله ولا بُدّ.

٧٩ ـ وقال أيضًا: الفائدة الرابعة ـ من فوائد غض البصر ـ: أنْ يَفتح له طُرق العلم وأبوابَه، ويسهّل عليه أسبابَه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائقُ المعلومات، وانكشفت له بسرعة، ونَفَذ من بعضها إلى بعض، ومن أَرسل بصرَه؛ تَكدَّر عليه قلبُه وأظلم، وانسدَّ عليه بابُ العلم وطُرُقُه.

٨٠ ـ قال: ومن فوائده: أنه يخلص القلب من أَسْر الشهوة، فإن الأسير هو أسيرُ شهوته وهواه. ومتى أَسرتِ الشهوةُ والهوى القلبَ؛ تمكن منه عدوُّه وسَامَهُ سوءَ العذاب.

٨١ ـ وقال: ومن فوائده: أنه يُخلِّص القلب من سُكر الشهوة، ورَقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة.

٨٢ ـ وقال: فكم من مُرْسلٍ لحظاتِه رَجَع جيشُ صبرِه مَفْلُولًا، ولم يُقلع حتى تَشَحَّط بينهن قتيلًا.

فضل ذكر الله ﷻ

٨٣ ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه: يجيء القرآنُ يوم القيامة فيشفع لصاحبه، فيكون قائدًا إلى الجنة، أو يشهد عليه، فيكون سائقًا إلى النار.

٨٤ ـ قال أبو الدرداء رضي الله عنه لرجل: اذكرِ اللهَ في السراء يَذكرْكَ في الضراء.

٨٥ ـ قال مجاهد: ما جلس قوم مجلسًا فتفرقوا قبل أن يذكروا الله إلا تفرقوا عن أنتن من ريح الجيفة، وكان مجلسهم يشهد عليهم بغفلتهم. وما جلس قوم مجلسًا فذكروا الله قبل أن يتفرقوا إلا تفرقوا عن أطيب من ريح المسك، وكان مجلسهم يشهد لهم بذكرهم.

٨٦ ـ قال بعض السلف: يُعرَض على ابن آدم يوم القيامة ساعاتُ عمره، فكل ساعة لم يذكر الله فيها تتقطع نفسه عليها حسراتٍ.

٨٧ ـ سئل الحسن عن رجل لا يتحاشى عن معصية؛ إلا أن لسانه لا يفتُر من ذكر الله؟ فقال: إن ذلك لَعَوْنٌ حَسَنٌ.

٨٨ ـ وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد! أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أَذِبْهُ بالذكر.

٨٩ ـ قال ميمون بن مِهران: الذِّكر ذِكران: فذكر الله ﷻ باللسان حَسَن، وأفضل منه: أن تَذكر الله ﷻ عندما تُشرِف على معاصيه.

٩٠ ـ قال ذو النون: ما طابتِ الدنيا إلا بذِكره، ولا طابتِ الآخرةُ إلا بعفوه، ولا طابتِ الجنةُ إلا برؤيته.

٩١ ـ قال أبو الحسين الورَّاق: حياةُ القلب في ذكر الحي الذي لا يموت، والعيشُ الهنيّ: العيشُ مع الله تعالى لا غير.

٩٢ ـ قال ابن القيم: إذا حَملت على القلب هُموم الدنيا وأثقالَها، وتَهاونتَ بأورادِه التي هي قُوْتُهُ وحياتُه؛ كنتَ كالمسافر الذي يُحَمِّل دابته فوق طاقتها، ولا يُوفيها علفَها، فما أسرعَ ما تَقِفُ به.

حقيقة تقوى الله ﷻ

٩٣ ـ قال ﷺ: «لا يبلغ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يَدَع ما لا بأس به؛ حَذَرًا مما به بأس».

٩٤ ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾؛ قال: أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.

قال ابن رجب: ومعنى ذِكرِه فلا يُنسى: ذِكْرُ العبد بقلبه لأوامر الله في حركاته وسكناته وكلماته فيمتثلها، ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها.

٩٥ ـ قال أبو الدرداء: تمام التقوى: أن يتقيَ اللهَ العبدُ حتى يتقيَه في

مثقال ذرة، حتى يتركَ بعض ما يَرى أنه حلال؛ خشيةَ أن يكون حرامًا، يكون حجابًا بينه وبين الحرام، فإن الله قد بيَّن للعباد الذي يُصَيِّرُهم إليه، فقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾، فلا تَحقرنَّ شيئًا من الشر أن تتقيَه، ولا شيئًا من الخير أن تفعله.

٩٦ ـ قال عمر بن عبد العزيز: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليطِ فيما بين ذلك، ولكنَّ تقوى الله: تركُ ما حرَّم الله، وأداءُ ما افترض الله، فمن رُزق بعد ذلك خيرًا فهو خير إلى خير.

٩٧ ـ قال طَلْق بن حبيب: التقوى: أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله.

٩٨ ـ قال الحسن: ما زالتِ التقوى بالمتقين حتى تَركوا كثيرًا من الحلال؛ مَخافةَ الحرام.

٩٩ ـ قال الثوري: إنما سُمُّوا متقين؛ لأنهم اتقوا ما لا يُتَّقى.

١٠٠ ـ قال الحارث المحاسبي: المراقبة عِلم القلبِ بقُرب الرَّب.

١٠١ ـ قال ميمون بن مِهران: المتقي أشدُّ محاسبةً لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه.

قال ابن القيم: ولهذا قيل: النفسُ كالشريك الخَوَّان، إن لم تُحاسبْه ذهبَ بمالك.

١٠٢ ـ قال ابن رجب: من حَفِظ اللهَ في صباه وقُوَّته؛ حَفِظه الله في حال كِبره وضَعف قُوَّته، ومَتَّعه بسمعه وبصره وحَوْلِه وقُوَّته وعقله.

١٠٣ ـ قال ابن القيم: فاعلم أن العبد إنما يقطع منازلَ السير إلى الله بقلبه وهمته؛ لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾، وقال: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾، فالكيِّس يقطع من المسافة ـ بصحة العزيمة وعلوّ

الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل ـ أضعافَ أضعافِ ما يقطعه الفارغ من ذلك؛ مع التعب الكثير والسفر المُشِقِّ، فإن العزيمة والمحبة تُذهِب المشقةَ وتُطيِّب السير، والتقدمُ إلى الله سبحانه إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة، فيتقدم صاحبُ الهمة مع سكونه صاحبَ العمل الكثير بمراحل، فإنْ ساواه في همته تقدم عليه بعمله.

الوصية بتقوى الله عز وجل

١٠٤ ـ قال أبو ذر رضي الله عنه: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، ثم قال: يا أبا ذر! لو أن الناس كلَّهم أخذوا بها لَكفتهم.

١٠٥ ـ كتب عمر إلى ابنه عبد الله رضي الله عنهما: أما بعدُ: فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل، فإن من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، فاجعلِ التقوى نُصْب عينيك وجلاء قلبك.

١٠٦ ـ استعمل عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه رجلًا على سرية، فقال له: أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لا بُدَّ لك من لقائه، ولا مُنتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة.

١٠٧ ـ قال عمر بن عبد العزيز لرجل: أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يَقبل غيرَها، ولا يَرحم إلا أهلَها، ولا يُثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإياك من المتقين.

١٠٨ ـ كتب ابن السَّمَّاك الواعظُ إلى أخٍ له: أما بعدُ: أوصيك بتقوى الله الذي هو نَجِيُّكَ في سريرتك، ورقيبُك في علانيتك، فاجعلِ الله من بالك على كل حال في ليلك ونهارك، وخَفِ الله بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فَلْيَعْظُم منه حذرُك، وَلْيَكْثُر منه وَجَلُك، والسلام.

١٠٩ ـ قال بعضهم: ابنَ آدم! إن كنتَ حيثُ ركبتَ المعصية لم تَصْفُ لك من عين ناظرة إليك، فلما خلوتَ بالله وَحْدَه صَفَتْ لك معصيتُه ولم تَسْتَحِ منه حياءك من بعض خلقه، ما أنت إلا أحدُ رجلين: إن كنتَ ظننتَ أنه لا يراك؛ فقد كفرت، وإن كنتَ علمتَ أنه يراك فلم يمنعك منه ما منعك من أضعف خلقه؛ لقد اجترأتَ عليه!

١١٠ ـ قال الشافعي: خيرُ الدنيا والآخرة في خمس خصال: غِنى النفس، وكَفُّ الأذى، وكسب الحلال، ولباس التقوى، والثقة بالله تعالى على كل حال.

١١١ ـ وقال الشافعي: أَعَزُّ الأشياء ثلاثة: الجود من قِلَّة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يُرجى ويُخاف.

فضل الاستغفار

١١٢ ـ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما أَصَرَّ من استغفر؛ ولو عاد في اليوم سبعين مرةً».

١١٣ ـ قال عليٌّ رضي الله عنه: خياركم كل مُفَتَّنٍ توابٌ. قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب، قيل: حتى متى؟ قال: حتى يكون الشيطانُ هو المحسورَ.

١١٤ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً...﴾؛ روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: هذه الآية خير لأهل الذنوب من الدنيا وما فيها.

١١٥ ـ قيل للحسن: ألا يستحي أحدُنا من ربه؛ يستغفر من ذنوبه ثم يعود؟ فقال: وَدَّ الشيطانُ لو ظَفِر منكم بهذه، فلا تَمَلُّوا من الاستغفار.

١١٦ ـ قال عمر بن عبد العزيز: أيها الناس! من أَلَمَّ بذنب فليستغفر الله وَلْيَتُبْ، فإن عاد فليستغفر الله وَلْيَتُبْ، فإنما هي خطايا مُطَوَّقه في أعناق الرجال، وإن الهلاك كلَّ الهلاك في الإصرار عليها.

قسوة القلب وعلاجها

١١٧ ـ عن عثمان بن أبي دَهْرَش قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «ما بالُ أقوام يُتلى عليهم كتابُ الله فلا يَدرون ما يُتلى منه مما تُرك! هكذا خرجتْ عَظمة الله من قلوب بني إسرائيل، فشَهِدَت أبدانُهم، وغابتْ قلوبُهم، ولا يَقبل الله من عبد عملًا حتى يَشهد بقلبه مع بدنه».

١١٨ ـ قال ابن رجب: يا من يسمع ما تلين به الجوامد، وطَرْفُه جامد، وقلبه أقسى من الجلامد، يا من بَرَد قلبه عن التقوى؛ كيف ينفع الضرب في حديد بارد.

١١٩ ـ قال مالك بن دينار: ما ضُرب عبد بعقوبة أعظمَ من قسوة القلب.

١٢٠ ـ قال حذيفة المرعشي: ما أُصيب أحد بمصيبة أعظمَ من قساوة قلبه.

١٢١ ـ وقال يحيى بن معاذ: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السَّحَر، ومجالسة الصالحين.

١٢٢ ـ قال بعض السلف: ما قَلَّ طعامُ امرئٍ إلا رَقَّ قلبُه، ونَدِيَتْ عيناه.

١٢٣ ـ قيل للإمام أحمد: يجدُ الرجلُ رقةً من قلبه وهو يشبع؟ قال: ما أرى.

١٢٤ ـ قال ابن القيم: ولا تتم سلامته ـ أي القلب ـ مطلقًا حتى يَسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعةٍ تخالف السنة، وشهوةٍ تخالف الأمر، وغفلةٍ تناقض الذِّكر، وهوًى يناقض التجريد والإخلاص، وهذه الخمسة حُجُبٌ عن الله.

١٢٥ ـ قال ابن رجب: طهروا دَرَنَ القلوب بدمع العيون، فما ينفعها غيرها. يا من قد درن قلبه بوسخ الذنوب، لو اغتسلتَ بماء الإنابة لطهرت، لو شربتَ من شراب التوبة لوجدته شرابًا طهورًا، يا أوساخ الذنوب! يا أدران

العيون! ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلُۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾. مجالس الذكر للمذنبين، شراب المواعظ: شراب المحبين دِرياق[(١)] المذنبين، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾.

١٢٦ ـ وقال: كثرة أعمال الجوارح مع تَدَنُّسِ القلب بشيء من هذه الأوصاف[(٢)] لا تزكو، وهو كزرع في أرض كثيرة الآفات لا يكاد يسلم ما ينبت فيها.

١٢٧ ـ قال رجل لأحمد: كيف يَرِقُّ قلبي؟ فقال: ادخلِ المقبرة، وامسحْ رأسَ اليتيم.

ساعة الاحتضار

١٢٨ ـ قال أبو بكر رضي الله عنه: ليتني شعرةٌ في صدر مؤمن. وقال عمر رضي الله عنه عند موته: الويل لعمر إن لم يُغفر له. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ليتني إذا مِتُّ لا أُبعث. وقالت عائشة رضي الله عنها: ليتني كنت نسيًا منسيًّا. وقال سفيان لحماد بن سلمة عند الموت: ترجو أن يغفر لمثلي[(٣)].

١٢٩ ـ قال عمر رضي الله عنه عند موته: لو كان لي ما في الأرض لافتديت به من هول المُطَّلَع[(٤)].

---

(١) الدرياق: الترياق، معرّب. وهو دواء السموم.

(٢) قال ابن رجب قبل ذلك: «سلامة الصدور من الرياء والغل والحسد والغش والحقد وتطيرها من ذلك؛ أفضل من التطوع بأعمال الجوارح...»، إلى أن قال: «وكثرة أعمال الجوارح...».

(٣) ذكر هذه المقولات ابن الجوزي في كتابه: تلبيس إبليس، ثم علَّق عليها بقوله: وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوَّة علمهم بالله، وقوةُ العلم به تورِث الخوف والخشية، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: «أنا أعرفُكم بالله وأشدُّكم لَهُ خشيةً»، ولما بَعُدَ عن العلم أقوامٌ من الصوفية لاحظوا أعمالهم، واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات؛ فانبسطوا بالدعاوى....

(٤) جاء في غريب الحديث لأبي عُبيد القاسمِ بن سَلّام (٣/ ٢٣٧) ما نصه: «في حديث عمر =

١٣٠ ـ بكى بعض الصحابة عند موته، فسُئل عن ذلك؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى قبض خلقه قبضتين، فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار»، ولا أدري في أي القبضتين كنت.

١٣١ ـ ختم آدمُ بن أبي إياس القرآنَ وهو مُسَجًّى للموت، ثم قال: بِحُبِّي لك إلا رَفقتَ بي في هذا المصرع، كنتُ أُؤمِّلك لهذا اليوم، كنتُ أرجوك، لا إله إلا الله، ثم قَضَى.

١٣٢ ـ لما احتُضِر زكريا بن عَدي رفع يديه وقال: اللهم إني إليك لمشتاق.

١٣٣ ـ قال قتادة في قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾؛ قال: مِن الكرب عند الموت.

١٣٤ ـ قال زيد بن أسلم في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ...﴾؛ قال: يُبَشَّر بذلك عند موته، وفي قبره، ويوم يُبعث، فإنه لفي الجنة، وما ذهبتْ فرحةُ البشارة من قلبه.

١٣٥ ـ وقال ثابت البُناني في هذه الآية: بَلَغَنا أن المؤمن حيث يبعثه الله من قبره يتلقاه ملكاه اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تَخَفْ ولا تحزنْ، فَيُؤَمِّن اللهُ خوفَه، ويُقِرُّ اللهُ عينه، فما من عظيمة تغشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قُرَّةُ عين؛ لما هداه الله، ولما كان يعمل في الدنيا.

١٣٦ ـ سمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلًا يتمنى الموت، فقال: لا تتمنَّ الموت فإنك ميت، ولكنْ سَلِ اللهَ العافيةَ. فإن الميت ينكشف له عن هول عظيم. قال ابن رجب: هو هول المُطَّلَع.

= حين قال عند موته: لو أن لي ما في الأرض جميعًا لافتديت به من هول المُطَّلَع. قال الأصمعي: المطَّلع هو موضع الاطلاع من إشراف إلى انحدار. قال أبو عُبيد: فشبّه ما أشرف عليه من أمر الآخرة بذلك، وقد يكون المطَّلع المصعد من أسفل إلى المكان المشرف، وهذا من الأضداد...».

١٣٧ ـ جزع الحسن بن علي عند موته، وقال: إني أريد أن أُشرف على ما لم أُشرف عليه قطُّ.

١٣٨ ـ كان الحسن البصري يقول عند موته: نفس ضعيفة، وأَمْرُ هولٍ عظيم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

١٣٩ ـ قال ابن رجب: الموت أشد ما يلقاه الآدمي في الدنيا، ولا يعلم الناس في الدنيا حقيقة شدته.

جهاد النفس

١٤٠ ـ قال أبو بكر في وصيته لعمر رضي الله عنهما حين استخلَفه: إن أولَ ما أُحذرك نفسُك التي بين جنبيك.

١٤١ ـ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ـ لمن سأله عن الجهاد ـ: ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزُها.

١٤٢ ـ قال ابن رجب: فهذا الجهاد ـ يعني جهاد النفس ـ يحتاج أيضًا إلى صبر، فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانِه: غَلَبَه، وحَصَل له النصرُ والظَّفَرُ، ومَلَك نفسَه، فصار عزيزًا مَلِكًا. ومن جَزِع ولم يصبر على مجاهدة ذلك: غُلِب وقُهر وأُسِر، وصار عبدًا ذليلًا أسيرًا في يدي شيطانه وهواه. فقوله ﷺ: «إن النصر مع الصبر»؛ يشمل النصرَ في الجهادين: جهادِ العدو الظاهر، وجهاد العدو الباطن، فمن صبر فيهما نُصر وظَفِر بعدوه، ومن لم يصبر فيهما وجَزِع قُهر وصار أسيرًا لعدوِّه أو قتيلًا له.

شراء النفس من الله تعالى

١٤٣ ـ قال ابن رجب: وقد اشترى جماعةٌ من السلف أنفسَهم من الله عز وجل بأموالهم، فمنهم من تصدق بماله كحبيبٍ أبي محمد، ومنهم من تصدق بوزنه فضةً ثلاث مرات أو أربعًا كخالد الطحان.

١٤٤ ـ وقال الحسن: المؤمن في الدنيا كالأسير يسعى في فكاك رقبته، لا يَأمن شيئًا حتى يَلقى الله ﷻ.

١٤٥ ـ قال أبو بكر بن عَيَّاش: قال لي رجل وأنا شابٌّ: خَلِّص رقبتك ما استطعتَ في الدنيا من رِقِّ الآخرة؛ فإن أسير الآخرة غيرُ مفكوك أبدًا.

الندم على التفريط

١٤٦ ـ قال النبي ﷺ: «ما من ميت يموت إلا ندم، إن كان محسنًا ندم ألا يكون قد ازداد، وإن كان مسيئًا ندم ألا يكون استَعْتَب».

١٤٧ ـ رأى بعضُهم النبيَّ ﷺ في منامه، فقال له: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومُه شرًّا من أمسه فهو ملعون، ومن لم يتفقد الزيادة في عمله فهو في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خير له».

١٤٨ ـ قال ابن رجب: كان السلف الصالح يجتهدون في الأعمال الصالحة؛ حذرًا من لَوْم النفس عند انقطاع الأعمال على التقصير.

١٤٩ ـ قال مُطَرِّف بن عبد الله: اجتهدوا في العمل، فإن يكنِ الأمرُ كما نرجو من رحمة الله وعفوه؛ كانت لنا درجاتٌ في الجنة، وإن يكن الأمر شديدًا كما نَخاف ونُحَاذِر؛ لم نقل: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾؛ نقول: قد عملنا فلم ينفعنا ذلك!

١٥٠ ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنكم في ممرّ الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتةً؛ فمن زرع خيرًا فيوشك أن يحصد رغبةً، ومن زرع شرًّا فيوشك أن يحصد ندامةً، ولكلّ زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطيء بحظّه، ولا يُدْرِك حريص ما لم يُقَدَّر له، من أُعطي خيرًا فالله أعطاه، ومن وقيَ شرًّا فالله وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة.

١٥١ ـ وقال الحسن: إن المؤمن ـ والله ـ ما تَراه إلا يلوم نفسَه على كل

حالاته، يَستقصرها في كل ما يفعل، فيندم ويلوم نفسه، وإن الفاجر لَيُمضي قُدُمًا لا يُعاتب نفسَه.

١٥٢ ـ قال أبو حفص: من لم يَتهم نفسَه على دوام الأوقات، ولم يُخالفها في جميع الأحوال، ولم يَجُرَّها إلى مكروهها في سائر أوقاته؛ كان مغرورًا، ومن نظر إليها باستحسانِ شيءٍ منها؛ فقد أهلكها.

١٥٣ ـ قال ابن القيم: ما مضى من الدنيا أحلام، وما بقي منها أمانيّ، والوقتُ ضائعٌ بينهما.

١٥٤ ـ وقال: اعرف قدرَ ما ضاع منك، وابكِ بكاءَ من يدري مقدارَ الفائت.

الزهد

١٥٥ ـ قال النبي ﷺ: «إن من ملوك الجنة من هو أشعثُ أغبرُ ذو طِمْرَين لا يُؤْبَهُ له، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يُؤْذَن لهم، وإذا خَطبوا النساء لم يُنْكحوا، وإذا قالوا لم يُنْصَت لهم، حوائجُ أحدهم تَتَجَلْجَلُ في صدره، لو قُسم نورُه يوم القيامة بين الناس لَوَسِعَهم».

١٥٦ ـ قال أبو سليمان الداراني: لا تشهدْ لأحد بالزهد؛ فإن الزهد في القلب.

١٥٧ ـ وقال في الزهد: تَرْكُ ما يُشغلك عن الله ﷻ.

١٥٨ ـ قال الفضيل: أصل الزهد: الرضا عن الله ﷻ.

١٥٩ ـ قال الحسن: من أحب الدنيا وسَرَّتْهُ؛ ذهب خوف الآخرة من قلبه.

١٦٠ ـ قال سعيد بن جُبير: ﴿مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾؛ ما يُلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يُلْهِكَ فليس بمتاع الغرور، ولكنه مَتَاعُ بَلَاغٍ إلى ما هو خيرٌ منه.

١٦١ ـ قال المسيح عليه السلام : من الذي يبني على مَوْجِ البحر دارًا؟! تلك الدنيا؛ فلا تتخذوها قرارًا.

١٦٢ ـ وقال عليه السلام : اعبُروها ولا تَعمروها.

١٦٣ ـ سُئل أحمد: ما الزهد في الدنيا؟ قال: قِصَر الأمل، والإياس مما في أيدي الناس.

١٦٤ ـ قال ابن رجب: فالمؤمن في الدنيا كالغريب المجتاز ببلدةٍ غيرِ مستوطن فيها، فهو يشتاق إلى بلده، وهَمُّه الرجوعُ إليه، والتزودُ بما يوصله في طريقه إلى وطنه، ولا ينافس أهل ذلك البلد المستوطنين فيه في عِزِّهم، ولا يجزع مما أصابه عندهم من الذل.

١٦٥ ـ قال: وفي بعض الآثار الإسرائيلية: الرزق مقسوم، والحريص محروم، ابنَ آدم! إذا أفنيتَ عُمُرَك في طلب الدنيا فمتى تطلب الآخرة؟!

١٦٦ ـ قال بعض السلف: كيف يلذُّ العيش من يعلم أنه يموت.

١٦٧ ـ قال بعضهم: ثنتان قَطَعَتَا عني لذات الدنيا: ذِكر الموت المنغّص، والوقوفُ بين يدي الله عز وجل .

١٦٨ ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه : كونوا جُدُدَ القلوب، خُلْقان الثياب، مصابيح الظلام، تَخفون على أهل الأرض، وتُعرفون في أهل السماء.

١٦٩ ـ قيل للشافعي: ما لك بدٌّ من إمساك العصى ولست بضعيف؟ قال: لأذكر أني مسافر في الدنيا!

١٧٠ ـ قال الفضيل: إن استطعتَ ألا تُعرف فافعل، وما عليك ألا يُثنَى عليك؟ وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس محمودًا عند الله.

١٧١ ـ وكان ابن مُحَيرِيز يقول: اللهم إني أسألك ذِكرًا خاملًا.

العناية بالسرائر

١٧٢ ـ سُئل رسول الله ﷺ عن تمام البر؟ فقال: «أن تعمل في السر عَمَلَك في العلانية».

١٧٣ ـ قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: لقد سبق إلى جنات عَدْنٍ أقوامٌ ما كانوا بأكثر الناس صلاةً ولا صيامًا ولا حجًّا ولا اعتمارًا، ولكنهم عقلوا عن الله مواعظه، فوَجِلَتْ منه قلوبُهم، واطمأنتْ إليه نفوسُهم، وخشعتْ له جوارحُهم، ففاقوا الناسَ بطِيب المنزلة وعُلُوِّ الدرجة عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة.

١٧٤ ـ سُئل بعض السلف عن المروءة؟ فقال: ألا تعمل في السر شيئًا تستحي منه في العلانية.

١٧٥ ـ سُئل أبو سليمان الداراني: ما أقربُ ما يُتقرب به إلى الله عز وجل؟ فبكى، ثم قال: مثلي يُسأل عن هذا؟ أقرب ما يُتقرب به إليه: أن يَطَّلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو.

١٧٦ ـ قال يحيى بن معاذ: النُّسك: هو العناية بالسرائر، وإخراجُ ما سوى الله من القلب.

١٧٧ ـ وسئل بعضهم عن أفضل الأعمال؟ فقال: رعايةُ السر عن الالتفات إلى شيء سوى الله عز وجل.

١٧٨ ـ قال سفيان الثوري: ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي؛ لأنها تتقلب عليَّ.

١٧٩ ـ قال ابن المبارك: رُبَّ عملٍ صغير تُعظمه النية، ورُبَّ عملٍ كبير تُصغره النية.

١٨٠ ـ قال ابن القيم: فأكثر الخلق بل كلُّهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق، وظنَّ السَّوْء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوسُ الحقِّ، ناقصُ

الحظِّ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسانُ حاله يقول: ظَلَمني ربي، ومَنَعني ما أستحقه، ونفسُه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فَتَّش نفسَه وتَغَلْغَلَ في معرفة دفائنها وطواياها: رأى ذلك فيها كامنًا كُمُون النار في الزناد، فاقدحْ زنادَ من شئت يُنْبِئْكَ شرارُه عما في زناده، ولو فَتَّشت من فَتَّشته لرأيتَ عنده تَعَتُّبًا على القدر، ومَلامَة له، واقتراحًا عليه خَلافَ ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمُسْتَقِلٌّ ومُسْتَكْثِر، وفَتِّش نفسَك هل أنت سالم من ذلك؟

فإنْ تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عَظِيمَةٍ وإلا فإني لا إخَالُكَ نَاجِيَا

فَلْيَعْتَنِ اللبيبُ الناصح لنفسه بهذا الموضع، وَلْيَتُبْ إلى الله ويستغفرْه كل وقت مِن ظنِّه بربِّه ظَنَّ السَّوْء، وَلْيَظُنَّ السوء بنفسه التي هي مأوى كلِّ سوء، ومَنبعُ كل شر، المركبةِ على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغنيِّ الحميد، الذي له الغنى التام، والحمد التام، والحكمة التامة، المنزهُ عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاتُه لها الكمال المطلَق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.

فلا تَظُنَّنَّ بربِّكَ ظَنَّ سُوءٍ فإن اللهَ أولى بالجميلِ
ولا تَظْنُنْ بنفسِكَ قَطُّ خيرًا وكيف بظالمٍ جَانٍ جهولِ
وقلْ يا نفسُ مأوى كل سوءٍ أَيُرجى الخيرُ من مَيْتٍ بخيلِ
وظُنَّ بنفسِك السُّوْأَى تَجِدْها كذاك وخيرُها كالمستحيلِ
وما بكَ من تُقًى فيها وخيرٍ فتلك مواهبُ الربِّ الجليلِ
وليس بها ولا منها ولكنْ من الرحمنِ فاشكرْ للدليلِ

١٨١ ـ قال ابن رجب: ومن زَيَّن للهُ جوارحَه بالأعمال، وقلبَه بحقيقة الإيمان؛ زَيَّنه الله في الدنيا والآخرة، كما في الحديث: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»، فمن علم اللهُ من قلبه الصدقَ؛ زَيَّنه اللهُ عند عباده، وبالعكس.

مقولات متنوعة

١٨٢ ـ قال أبو حازم: كل نِعمة لا تُقَرِّب من الله فهي بَلِيَّة.

١٨٣ ـ قال الحسن: إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثقَ منك بما في يد الله ﷻ.

١٨٤ ـ قال عبد الواحد بن زيد: الرضا بابُ الله الأعظم، وجنةُ الدنيا، ومُستراح العابدين.

١٨٥ ـ قال ابن القيم: فلا يَرْكَنُ العبدُ إلى نفسه وصبره وحاله وعِفَّته، ومتى ركن إلى ذلك تَخَلَّتْ عنه عِصمة الله، وأحاط به الخذلان.

١٨٦ ـ وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة ـ بعد كلام سبق فيما يُعَرِّف العبدَ بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته ـ، قال بعد ذلك:

والثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة، فتفتح له أبواب السماء، فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها، ثم يفتح له بابٌ بعد بابٍ، حتى ينتهي به سيرُ القلب إلى عرش الرحمن! فينظر سَعَتَه وعَظَمَته وجلاله ومَجده ورِفعته، ويرى السموات السبعَ والأَرَضِين السبعَ بالنسبة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة، ويرى الملائكة حافِّين من حول العرش، لهم زَجَلٌ بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير، والأمرُ ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها إلا ربُّها ومليكها، فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين، وإعزازِ قوم وإذلال آخرين، وإسعادِ قوم وشقاوة آخرين، وإنشاءِ مُلك

وسَلْب ملك، وتحويلِ نعمة من محل إلى محل، وقضاءِ الحاجات على اختلافها وتباينها وكثرتها؛ من جَبْر كسير، وإغناءِ فقير، وشفاءِ مريض، وتفريجِ كَرْب، ومغفرةِ ذنب، وكشفِ ضُر، ونصرِ مظلوم، وهدايةِ حيران، وتعليمِ جاهل، وردِّ آبِق، وأمانِ خائف، وإجارةٍ لمستجير، ومَدَدٍ لضعيف، وإغاثةٍ لملهوف، وإعانةٍ لعاجز، وانتقامٍ من ظالم، وكَفٍّ لعدوان.

فهي مراسيمُ دائرةٌ بين العدل والفضل، والحكمة والرحمة، تَنْفُذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمعُ شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلافها وتباينها واتحاد وقتها، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا تنقص ذرّة من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مُطْرِقًا لهيبته، خاشعًا لعظمته، عَانٍ لعِزَّتِه، فيسجد بين يدي الملك الحق المبين سجدةً لا يَرفع رأسَه منها إلى يوم المزيد، فهذا سفر القلب وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه!

فيالَه من سفر ما أبركَه وأروحَه وأعظمَ ثمرتِه وربحِه وأَجَلِّ منفعتِه وأحسَنِ عاقبتِه، سفرٌ هو حياة الأرواح، ومفتاح السعادة، وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب!

١٨٧ ـ قال ابن رجب: فبَرْدُ العيش هو طِيْبُه ونعيمه، وفي الحقيقة: إنما يكمل طِيْبُ العيش ونعيمُه في الآخرة.

وسبب ذلك: أن ابن آدم مركب من جسد وروح، وكل منهما يحتاج إلى ما يَتَقَوَّت به ويتنعم به، فالجسد عَيْشُه: الأكلُ والشربُ والنكاحُ واللباسُ والطِّيْب وغيرُ ذلك من اللذات الحسية، وأما الروح فَقُوْتُها ولذتُها وفرحُها وسرورُها: في معرفة خالقها وبارئها وفاطرها، وفيما يُقرب منه من طاعته في ذكره ومحبته والأُنْس به والشوق إلى لقائه.

فهذا هو عيش النفس وقُوتها، فإذا فَقَدَتْ ذلك مَرِضَتْ وهَلَكَتْ أعظمَ مما يهلك الجسد بفقد طعامه وشرابه.

١٨٨ ـ وقال: واعلم أن الجَمْع بين هذين العيشين في دار الدنيا غيرُ ممكن، فمن اشتغل بعيش روحه وقلبه، وحصل له منه نصيب وافر؛ لَهَى عن عيش جسده وبدنه، ولم يقدر أن يأخذ منه نهايةَ شهوته، ولم يَقدر أن يتوسع في نيل الشهوات الحسية، وإنما يأخذ منها بقدر ما تقوم به حاجة البدن خاصة، فينتقص بذلك عيش الجسد ولا بد.

وهذه كانت طريقة الأنبياء والمرسلين وأتباعِهم، وكان الله يختار أن يُقلل نصيبَهم من عيش أجسادهم، ويوفيَ نصيبهم من عيش قلوبهم وأرواحهم.

١٨٩ ـ قال يحيى بن معاذ: إذا وضع الله عدلَه على عبدٍ لم يُبق له حسنةً، وإذا بسط فضلَه على عبدٍ لم يُبق له سيئةً.

١٩٠ ـ قال بعض السلف: من لم يردعه القرآنُ والموتُ؛ لو تَنَاطحتِ الجبالُ بين يديه لم يرتدع.

١٩١ ـ قال ابن رجب: ومن أنواع العبادات التي يَظهر فيها الذل والخشوع لله تعالى: الدعاءُ...، ومن ذلك أيضًا: افتقارُ القلب في الدعاء وانكسارُه لله ﷻ واستشعارُه شدةَ الفاقةِ إليه والحاجةِ لديه، وعلى قدر هذه الحُرقة والفاقة تكون إجابة الدعاء.

١٩٢ ـ وقال: يا معشر التائبين! أنتم تقاتلون جنودَ الهوى بجنود التقوى، فاصبروا وصابروا ورابطوا، لا تقولوا: جنودُ الهوى لا طاقةَ لنا بها، ولكنِ اصبروا إن الله مع الصابرين. يا معشر التائبين! صوموا اليوم عن شهوات الهوى؛ لِتدركوا عيدَ الفطر يوم اللقاء، لا يَطُولنَّ عليكم الأمدُ باستبطاء الأجل، فإن مُعظمَ نهار الصيام قد ذهب، وعيدَ اللقاء قد اقترب.

١٩٣ ـ سَأل ابراهيم الحربي جماعةً عنده: من تَعُدون الغريب في زمانكم هذا؟ فقالوا كلامًا، ثم قال: الغريب في زماننا: رجلٌ صالح عاش بين قوم

صالحين، إن أمر بالمعروف آزروه، وإن نهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مَانوهُ، ثم ماتوا وتركوه.

١٩٤ ـ قال أحمد: من عَلِم أنه إذا مات نُسِيَ؛ أحسن ولم يُسِئْ.





المدونة الثانية

كتابات وخواطر

خاطرة حول يوم القيامة وأهوالها

عند ما يتأمل المرء علامات يوم القيامة وأهوالها، وما سيصير بهذا الكون العظيم، وكيف يَخْتَلُّ نظامه، وتخرب ظواهره ومكنوناته، وما يَحِل بالسماء العظيمة من كشط، وما يصيبها مِنْ وَهْيٍ وانشقاق، وأن الشمس تدنو قَدْر ميل، والجبال تصير سرابًا كالعهن المنفوش، وأن هذه النجومَ الخُنَّسَ الجَوارِ الكُنَّسَ وما فيها من الجمالِ وبراعةِ الخِلقةِ وإحكامِ صنعتِها وحُسنِ بريقِها ولمعانِها = تتساقط وتتناثر، وأن القبور تُبعثر ويُخرَج ما فيها = وهنا توقف القلم وتلعثم، أخذ يجمع أنفاسه ليكتب كلامًا فاصلًا ونتيجة حاسمة وقضية لا يطيقها عوده ولا يتحملها حامله، أكتبُ كلمةً مِدادُ حروفِها: دم القلب، ممزوجٌ بدمع العيون.

خاطرة حول قدوم شهر رمضان

بعد أيام قلائل يَحِل علينا ضيف كريم، وشهر عظيم، وموسم جليل، لا تُحصَى فضائله، ولا تُعَدُّ مناقبه، له في نفوس الصالحين منزلة وأي منزلة! ومقام وأي مقام!

جاء عند أحمد والنسائي عن أبي هريرة: كان النبي ﷺ يبشر أصحابه يقول: (قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كَتَبَ الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، مَن حُرِم خيرها فقد حُرِم)، وفي حديث آخر: (أتاكم رمضان سيد الشهور، فمرحبًا به وأهلًا).

وإذا كان التجار يفرحون بمواسم التجارة ويطربون لقربها ويسعدون لها؛ فَلَلصَّالحونَ أعظمُ شوقًا وأكبر فرحًا لقرب شهرهم، ودُنُوِّ موسمهم.

أسباب قسوة القلب ومزيلاتها

أ ـ من أسباب القسوة:

١ ـ كثرة الكلام بغير ذكر الله.

٢ ـ نقض العهد مع الله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾.

٣ ـ كثرة الضحكِ والأكلِ والذنوبِ.

ب ـ ومزيلاتها:

١ ـ كثرة الذكر الذي يتواطأ عليه القلب واللسان.

٢ ـ الإحسان إلى اليتامى والمساكين.

٣ ـ كثرة ذكر الموت وزيارة القبور.

٤ ـ النظر في ديار الهالكين، وأكل الحلال.

مقال: العبد بين أغراض النَّفْس وسُلطان العقل

تأملت حال الإنسان في هذه الدنيا فوجدت أن الجهات التي تُصدر عليه الأوامر وتقترح الأفعال جهتان: [النفس ـ والعقل]، وأي أمر تصدره النفس؛ مباشرةً ينهض ملك العقل معارضًا ومحاربًا له، والعكس كذلك، لكنَّ قوة معارضة العقل تتفاوت من شخص إلى آخر على حسب قوة الإيمان، وعلو الهمة، وكثرة الطاعات وقلتها، وهكذا.

ثم إني تأملت قليلًا وقلتُ: لو أنَّ رجلاً أراد أن يعيش عيشة الصالحين الناجحين ولو لأيام يسيرة، فعليه فقط أن يخلع البَيعة عن هوى نفسه أيامًا قليلة، ويُلبس تاج الحُكم والأمر على العقل، ثم يحرص على أن يَأْتمر بكل أمرٍ يوجهه إليه عقله، فإنه حينئذ سيجد أن حياته ستتغيّر تغيرًا تامًّا، وسيُلاحظ تبدلًا عجيبًا لحاله وفِعاله، وتحسنًا لا يوصف لحُسن سلوكه ومقاله.

إن من أعظم الأمور التي تجعل العبد يُلقِي أوامر عقله ومشورته خلف ظهره، وينهمك وراء حظوظ نفسه وشهواتها: الكسلَ والعجز مع التسويف وطول الأمل، فإن هذين كفيلان بهدم مكامن المواهب التي تتفجر بين جوانح العبد ولم تظهر بَعْدُ، وجديران بطرد كل فرصة سانحة تَعرض للمرء إنْ في دينه وإنْ في دنياه.

وأَمْر الإنسان في هذه الدنيا عَجَب لا يدانيه عَجَب: تترسخ في جذور قلبه أمورٌ عظيمة، الواحدة منها كفيلة بِحَثِّه وأزِّه ودَفعِه إلى طريق الجد ومعاقل الحزم وميادين الصدق والصبر.

يعلم أنه غدًا بين يدي الله موقوف، وعن أعماله وفِعاله مسؤول محقوق، وعن ذنوبه محاسَب وعلى جرائمه معاقب، ولا يدري أي المحلين ينزل.

يعلم أن الموت يأتي فجأة، وأن القبر الذي سيسكنه مملوء وحشة وظلمة؛ إلا أن يتغمده الله برحمة منه وفضل.. ومع ذلك ينخرط في شهوات نفسه وحظوظها ونزغاتها وعلاتها، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولذا؛ ينبغي على العبد أن يُقبل على ربه، ويغتنم دنياه لآخرته، ويُسخر كل أوقاته لهذا الشأن العظيم والخطب الجسيم، فإن الطريق طويل، وهول المطلع شديد، ومهما بذل الإنسان في هذه الدنيا فإن عمله قليل، وزاده ضئيل، فكيف بمن لم يعمل ولم يغتنم أوقاته ويهتبل لحظاته ويبادر أنفاسه وساعاته، فالبدار البدار قبل هجمة الأجل، وجثوم الموت، ومباغتة القدر المحتوم..

والله ولي التوفيق، وهو الموفق لمن شاء بفضله ورحمته، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ١٤٣٦هـ

كلمة عن شهر رمضان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله وأصحابه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين:

فإن من رحمة الله تعالى لهذه الأمة أن شرع لهم مواسم تُضاعَف فيها الحسنات، وتُكفَّر فيها السيئات، وتَعظُم فيها الطاعات؛ ليتزود العباد قبل لقاء ربهم، ولكي يُجدِّدوا التوبة.

ومن أعظم هذه المواسم: شهر رمضان المبارك، الذي قال فيه النبي ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه».

ومعنى قوله: **«إيمانًا»**؛ أي: لأجل الإيمان بالله ورسوله.

«واحتسابًا»؛ أي: لاحتساب الأجر والثواب.

وكان النبي ﷺ يُبشِّر أصحابه بقدوم رمضان، كما خرّجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ يُبشِّر أصحابه، يقول: قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَل فيه الشياطين، فيه ليلة خيرٌ من ألف شهر، من حُرم خيرَها فقد حُرم).

أيها المباركون! بلوغ شهر رمضان وصيامه نِعمةٌ عظيمة، ومِنةٌ كريمة من الله تعالى لعبده، ويدل عليه الحديثُ الذي جاء فيه: أن رجلين أسلما في وقتٍ واحدٍ جميعًا، وكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر، فاستشهد الأول، ومكث الآخر بعده سنة، ثم توفي، فرُئي الثاني في المنام سابقًا له؛ مع أن الأول استشهد في سبيل الله، فعجب الصحابة، وسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك؟ فقال: أليس قد مكث بعده سنة؟ قالوا: بلى، قال: وأدرك رمضان

فصامه؟ قالوا: بلى، وصلى كذا وكذا سجدة في السنة؟ قالوا بلى، فقال: فما بينهما أبعد من المشرق والمغرب(١).

فيؤخذ من هذا الحديث: أن بلوغ شهر رمضان وقيامه وصيامه من أعظم الأسباب التي تُعْلِي درجات العبد في الجنة.

وقد تنوعت الأدلة والأحاديث في ذكر فضل الصوم، ومن ذلك:

ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل عمل ابن آدم له، قال الله عز وجل: إلا الصومَ، فإنه لي، وأنا أجزي به، إنه ترك طعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولَخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

(١) الحديث المشار إليه: ما أخرجه أحمد في مسنده، بسنده إلى أبي سلمة، قال: نزل رجلان من أهل اليمن على طلحة بن عبيد الله، فقُتل أحدهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مكث الآخر بعده سنة، ثم مات على فراشه. فأُرِيَ طلحةُ بن عبيد الله: أن الذي مات على فراشه دخل الجنة قبل الآخر بِحِينٍ، فذكر ذلك طلحةُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كم مكث بعده؟» قال: حَوْلًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلى ألفًا وثمان مائة صلاة، وصام رمضان».

وفي المسند أيضًا: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن طلحة بن عبيد الله: أن رجلين قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إسلامهما جميعًا، وكان أحدهما أشد اجتهادًا من صاحبه، فغزا المجتهد منهما فاستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة ثم توفي، قال طلحة: فرأيت فيما يرى النائم كأني عند باب الجنة، إذا أنا بهما وقد خرج خارجٌ من الجنة، فأَذِن للذي توفي الآخر منهما، ثم خرج فأَذِن للذي استشهد، ثم رجعا إليَّ فقالا لي: ارجع فإنه لم يأْنِ لك بعدُ، فأصبح طلحة يُحَدِّثُ به الناسَ، فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «من أي ذلك تعجبون؟» قالوا: يا رسول الله، هذا كان أشد اجتهادًا ثم استشهد في سبيل الله، ودخل هذا الجنة قبله، فقال: «أليس قد مكث هذا بعده سنة؟» قالوا: بلى. قال: «وأدرك رمضان فصامه؟» قالوا: بلى قال: «وصلى كذا وكذا سجدة في السنة؟» قالوا بلى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَلَمَا بينهما أبعد ما بين السماء والأرض»، وروى نحوَه ابنُ ماجه وغيرُه، وصححه الألباني.

فأخبر الرسول ﷺ في هذا الحديث جُملة من فضائل الصيام:

منها قوله: «كل عمل ابن آدم له؛ إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به»، فقوله: «إلا الصوم فإنه لي» فقد خص فيه الصيام بإضافته إلى نفسه دون سائر الأعمال.

ومِن أحسن ما ذُكر في ذلك ـ كما قال ابن رجب رحمه الله ـ:

أن الصيام هو: ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصليّة التي جُبلت على الميل إليها لله عز وجل، وهي ثلاث: الطعام والشراب والنكاح.

ولا يوجد هذا في عبادة أخرى غيرها يَترك فيها الإنسانُ جميعَ هذه الشهوات؛ لأن الإحرام إنما يُترك فيه الجماع ودواعيه من الطيب وغيره دون الطعام والشراب فإنه يحل له، وأما الصلاة فإن الإنسان وإن ترك فيها جميع حظوظ النفس فإن مدتها لا تطول.

والصيام يستوعب النهار كله، فيجد الصائم فَقْد هذه الشهوة، وتتوق نفسه إليها.

فإذا تركها العبد لله، وصبر عنها مع قدرته عليها وشدّة توقان تفسه إليها؛ كان ذلك دليلًا على صحة إيمانه؛ لأن الصائم يعلم أن له ربًّا يطَّلع عليه في خلوته، وقد حرَّم عليه أن يتناول هذه الأمور التي جَبَلَهُ اللهُ على الميل إليها في الخلوة، فأطاع ربَّه وامتثل أمره واجتنب نهيه؛ خوفًا من عقابه، ورغبةً في ثوابه، فشَكَر اللهُ له ذلك، واختص لنفسه عملَه هذا من بين سائر أعماله، ولهذا قال بعده: «إنه ترك طعامه وشرابه من أجلي».

ولهذا فإن الصيام من الصبر، وقد قال الله تعالى: «إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب»، وورد عن النبي ﷺ أنه سمَّى شهر رمضان شهر الصبر.

وقد قسّم العلماء الصبر إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الصبر على طاعة الله عز وجل .

٢ ـ الصبر عن المحرمات.

٣ ـ الصبر على أقدار الله المؤلمة.

وتَجتمع هذه الثلاثة كلها في الصوم؛ فإن فيه صبرًا على طاعة الله، وصبرًا عما حرَّم الله على الصائم من الشهوات، وصبرًا على ما يَحصل للصائم فيه من أَلِمِ الجوع والعطش وضعف النفس والبدن.

والألم الناشئ من أعمال الطاعات يُثاب عليه صاحبه، كما قال الله تعالى في المجاهدين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

ومن الفضائل التي ذكرها الرسول ﷺ في هذا الحديث: قوله: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه».

١ ـ فأما فرحته عند فطره: فلأن النفوس مجبولة على الفرح بإباحة ما مُنعت منه، وليس معنى فرح الصائم عند فطره مقتصرًا على هذا؛ بل هناك معنى أعظم، وهو: الفرح بطاعة الله وامتثال أمره؛ لأن الصائم مأمور بالفطر، كما أنه مأمور بالصيام، فهو مطيع لله في صيامه وفطره.

٢ ـ وأما فرحه عند لقاء ربه: فبما يجده عند الله يوم القيامة من ثواب الصيام، فيجده وهو أحوج ما كان إليه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ﴾، وقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾، وقد قال النبي ﷺ: «إنك لن تَدَع شيئًا اتقاء الله إلا آتاك الله خيرًا منه».

ومما ينبغي أن يُعلم: أن ثمة أعمالًا يَتأكد فضلها في رمضان:

١ ـ الإكثار من الصدقة، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (كان رسول الله أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة فيدارسه القرآن).

وسبب تَضَاعُفِ جُودِ النبي ﷺ لأمور؛ منها:

أ - شرف الزمان، ومضاعفة الأجر فيه؛ لأن رمضان شهر مبارك تُضاعف فيه الحسنات، وقد سئل النبي ﷺ: أي الصدقة أفضل؟ فقال ﷺ: «صدقة في رمضان».

ب - إعانة المسلمين والفقراء على الصيام والقيام والذكر، فيستوجب المتصدقُ المعِينُ لهم مثلَ أجرهم، كما أن من جَهَّز غازيًا فقد غزا، ومن خَلَفَه في أهله فقد غزا، وفي الحديث: «من فطر صائمًا فله مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء».

ج - أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، كما قال ﷺ: «إن في الجنة غرفًا يُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، قالوا: لمن يا رسول الله، قال: لمن طيَّب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام».

د - أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغُ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم، وخصوصًا إن ضم إلى ذلك قيام الليل؛ لأنه قد ثبت عن النبي ﷺ قولُه: «الصيام جُنَّة من النار»؛ أي: مانع له من النار، وفي حديث معاذ: «الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ، وقيام الرجل في جوف الليل».

٢ - الإكثار من تلاوة القرآن، فإن شهر رمضان له خصوصية بالقرآن، كما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، وقد كان النبي ﷺ يطيل القراءة في قيام الليل أكثر من غيره.

وقد ورد أن القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة، كما قال ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصائم: أيْ رب! منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفِّعني فيه فيشفَّعان».

الأمر الأخير: اعلم أنه لا يَتم التقرب إلى الله بترك الطعام والشراب

والنكاح في حال الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرمه الله في كل حال؛ من الكذب والظلم والعدوان على الناس.

ولهذا قال ﷺ: «من لم يَدَعْ قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

وقال جابر رضي الله عنه: إذا صمتَ فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، وليكن عليك سكينة ووقار يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

وقال ﷺ: «رُبَّ صائم حظُّه من صيامه الجوع والعطش، ورُبَّ قائم حظُّه من قيامه السهر».

وراقبِ اللهَ في رعيتك، وأبعد عنهم قنوات السوء والشر، واعلم أنك مسؤول عنهم، كما قال ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»، فاحذر أن تَلْقَى اللهَ وأنت مُهمل لرعيتك.

بحث مسألة السؤال بالرحم

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾، ذكر ابن جرير أن أهل التأويل اختلفوا في معنى الآية على قولين:

١ ـ عطف الأرحام على الهاء في: (به)، فتكون مخفوضة، ويصير المعنى كقول الرجل: أسألك بالله والرحم.

وذكر أن عود الظاهر على الضمير غير فصيح، في اللغة، وإنما تَرِد في الشعر ضرورةً، كقول الشاعر:

نُعَلِّقُ في مثلِ السَّوَاري سُيُوفَنا ... وما بينها والكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ

٢ ـ أن معناها: واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

وذكر أنه قول قتادة وعكرمة والحسن والسدي وابن عباس ومجاهد.

وعليه فالأرحام معطوف على الاسم الأحسن[١]. انظر: تفسير ابن جرير (٦/ ٣٤٤) وما بعدها.

وذكر القرطبي أن القراءة بالخفض ردها نحاة البصرة، وقالوا: هو لَحْنٌ لا تحل القراءة به. واختاره ابن عطية[٢].

وقال أبو حيان في البحر المحيط: «وأما قول ابن عطية: فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه؛ إذ عمد إلى قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ، قرأ بها سلف الأمة، واتصلت بأكابر قُرَّاء الصحابة... عمد إلى ردها بشيء خطر له في ذهنه، وجسارته هذه لا تليق إلا بالمعتزلة، كالزمخشري؛ فإنه كثيرًا ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم...، وإنما ذكرتُ هذا وأطلت فيه لئلا يطلع غمر على كلام الزمخشري وابن عطية في هذه القراءة فيسيء ظنًّا بها وبقارئها...، ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم...». انظر: البحر المحيط (٣/ ١٥٩)، تفسير القرطبي (٦/ ٧)[٣].

بحث قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾

ذكر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن العلماء اختلفوا في معنى الورود على أقوال:

القول الأول: أن المراد به الدخول، وساق خبر ابن عباس مع نافع بن الأزرق، قال ابن عباس: الورود الدخول. وقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس قوله

(١) الاسم الأحسن هو: لفظ الجلالة؛ الله.

(٢) أي: اختار ابن عطية منعَ القراءة بالخفض، كنحاة البصرة.

(٣) والخلاصة: أن حكم السؤال بالرَّحِم فيه تفصيل، فإن كان ذلك على سبيل القَسَم: فإنه لا يجوز؛ لأنه حلفٌ بغير الله تعالى، وإن كان على سبيل التوسل والاستعطاف: فهو جائز؛ للآية المشار إليها في هذا البحث، على قراءة ﴿وَٱلْأَرْحَامِ﴾ بالخفض. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١/ ٣٣٩.

تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾، قال: أورودٌ هو أم لا؟ أمَّا أنا وأنتَ فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟

وقال ابن جريج: الورود الذي ذكره الله في القرآن الدخول، لَيَرِدَنَّها كلُّ بَرٍّ وفاجر.

وساق ابن جرير بسنده إلى أبي إسحاق قال: كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا أَنَّا واردوها، ولم يُخبرنا أَنَّا صادرون عنها.

وذَكَر عن عبد الله ابن رواحة أنه بكى في مرضه، وقال: إني قد علمتُ أني واردُ النارَ، فما أدري أناجٍ منها أنا أم لا؟

وذَكَر أنه قول ابن مسعود بسنده.

القول الثاني: الممر عليها. وذكر الطبري أنه قول قتادة.

القول الثالث: أن الورود هو الدخول؛ لكنَّ الآية خاصة بالكفار دون المؤمنين، وهو قول عكرمة، وذكره عن ابن عباس.

القول الرابع: أن الورود عامٌّ لكل مؤمن وكافر؛ غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول.

وهو قول ابن زيد، واستدل عليه بحديث: «الزَّالُّونَ والزَّالَّاتُ يومئذ كثير، وقد أحاط بالجسرَ سِمَاطانِ من الملائكة، دعواهم يومئذ: يا أَللهُ سَلِّمْ سَلِّمْ».

القول الخامس: أن ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض.

وساق الطبري بسنده عن مجاهد في الآية: الحمى حظ كل مؤمن من النار.

وساق أبو جعفر الطبري حديث: «إن الله يقول: هي ناري أُسلطها على عبدي المؤمن؛ لتكون حظَّه من النار في الآخرة».

القول السادس: ورجح الطبري أن المراد بالورود: المرور، وأن المؤمنين ينجون منها، ويهوي فيه الكفار.

والمراد: مرورهم على الصراط. انظر: (١٥/ ٥٩٠ ـ ٥٩١) وما بعدها.

وقد ذكر القرطبي هذه المسألة ببيان شافٍ وإيضاح كافٍ في: (١٣/ ٤٩١)، وذكر أن في المسألة أقوالًا:

١ ـ الدخول، روي عن جابر عن رسول الله ﷺ: «الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم»، ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ...﴾، رواه ابن عبد البر في التمهيد.

وهذا هو قول ابن عباس وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم.

وقال القرطبي: وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورود والجهل بالصدر.

٢ ـ الممر على الصراط = ابن مسعود وكعب الأحبار والسدي.

أدلته:

أ ـ ما رواه السدي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ.

ب ـ قال الحسن: إنما تقول: وردت البصرة ولم أدخلها، قال: فالورود أن يمروا على الصراط. وقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ...﴾ يدل على نجاءٍ بعد الدخول.

ج ـ واحتجوا بحديث: «ثم يُضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة...، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح...».

٣ ـ أنه ورود إشراف واطلاع وقرب، وذلك: أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم، فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب، ثم ينجي الله المتقين إلى الجنة.

ودليله:

ـ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾؛ أي: أشرف عليه لا أنه دخله.

ومنه قول زهير:

فلما وَرَدْن الماء زُرْقًا جمامُهُ وضعنَ عِصِيَّ الحاضِر المُتَخَيِّم

ورجحه الزجاج بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ . . .﴾.

٤ ـ قول مجاهد: أن ورود المؤمنين النار: الحمى التي تصيب المؤمن في دار الدنيا، وهي حظ المؤمن من النار.

وورد في حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «الحمى، حظ المؤمن من النار».

٥ ـ الورود: النظر إليها في القبر، فينجى منها الفائز، ويصلاها من قُدِّر عليه دخولها.

واحتجوا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «إذا مات أحدكم عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي».

٦ ـ أنها خاصة بالكفرة، وقالوا: المراد بقوله: (منكم): الكفرة.

فإن قيل: كيف يعود ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة في قوله تعالى: ﴿لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾؛ أي الكفرة؟ يقال: إن هذا موجود في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءً وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: كان لهم.

ورجح القرطبي: الدخول؛ لقوله ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثةٌ من الولد فتمسه النار؛ إلا تحلة القسم»، فقوله: «فتمسه النار»: يدل عليه؛ لأن المسيس حقيقتُه في اللغة المماسة؛ إلا أنها تكون بردًا وسلامًا على المؤمنين، وينجون منها سالمين.

ومن ورده ولم تؤذه فقد أُبعد عنها ونجي منها، وبه يندفع الإشكال الوارد في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾.

فإن قيل: فهل يدخل الأنبياء النار؟ قلنا: لا نُطْلِق هذا، ولكن نقول: إن



الخلق جميعًا يردونها، كما دل عليه حديث جابر: «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها...»، والعصاة يدخلونها بجرائمهم، والأولياء والسعداء لشفاعتهم، ومما يدل عليه: قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾، فلم يقل: وندخل الظالمين.

ورجح الطاهر بن عاشور في تفسيره (٧/ ١٤٩) القولَ بأن هذا الخطاب للكفار، ونصره بقوة، ووهن الأقوال المخالفة، وردها بحجةِ مخالفتها للسياق، وذكر بأن من احتج بحديث: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار؛ إلا تحلة القسم» على أن المراد بالورود: الدخول: مردود؛ لأنه لا يمكن حمل قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ على الحديث؛ لأنه ليس بها قَسَم تحليل، وإنما المراد من الحديث: أن من استحق عذابًا من المؤمنين لأجل معاصٍ فإذا كان قد مات له ثلاثة من الولد كانوا كفارة له، فلا يَلِجُ النار إلا ولوجًا قليلًا، يشبه ما يُفعل لأجل تحلة القسم؛ أي: بأقل ما يتحقق فيه ما حلف عليه، فقوله: تحلة القسم تمثيلٌ.

وقال: إن ما ورد عن السلف من الخوف من هذه الآية هو من الوقوف في موقف الخوف من شيء محتمل!!

بحث في معنى: ﴿يُوزَعُونَ﴾

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾، وقال في سورة النمل: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

قال القرطبي (١٦/ ١١٧): ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ معناه: يُرَد أولهم إلى آخرهم، ويُكَفُّون، يقال: وزِعْتُه أَوْزَعُه وزَعًا؛ أي: كففتُه. والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف، يَزَع من تقدم منهم.

وقيل: هو من التوزيع؛ بمعنى: التفريق، والقوم أوزاع؛ أي: طوائف.

وقال في تفسير سورة فصلت (١٨/ ٤٠٥): ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يُدفعون

ويُساقون إلى جهنم. قال قتادة والسدي: يُحبَس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا. قال أبو الأحوص: فإذا تكاملت العدةُ بُدِئ بالأكابر فالأكابر جُرْمًا.

وقال الراغب: يقال وزعته عن كذا: كففته عنه، وقال تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ إشارة إلى أنهم مع كثرتهم وتفاوتهم لم يكونوا مهملين ومبعدين.

وقيل: الوُزُوع: الولوع بالشيء، ومنه: ﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ...﴾؛ أي: أولِعْنِي ذلك، واجعلني بحيث أَزِعُ نفسي عن الكفران. ا.هـ. (ص٨٦٨).

وذكر في القاموس: (١٣٩٥): «وزعته: كففته، وأَوزَعه بالشيء: أغراه فأُوزِعَ به فهو مُوزَع: مغرى به، والوَزَعَة: جمع وازِع، وهم الولاة المانعون من محارم الله تعالى.

والوازع: الكلب، والزاجر ومن يدبر أمور الجيش ويَرُد من شذ منهم، **والأوزاع:** الجماعات، **وأوزِعْني:** ألهمني.

والتوزيع: القسمة والتفريق».

سيد الاستغفار(١)

نقل الحافظ ابن حجر عن الطِّيبي قولَه: لما كان هذا الدعاء جامعًا لمعاني التوبة كلها استُعير له اسمُ السيد، وهو في الأصل: الرئيس الذي يُقصد في الحوائج، ويُرجع إليه في الأمور (١٤/ ٢٨٣)

وقال ابن أبي جمرة ـ كما نقل عنه الحافظ ـ: جمع ﷺ في هذا الحديث

---

(١) روى البخاري في صحيحه عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سيدُ الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: ومن قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

من بديع المعاني وحُسْن الألفاظ ما يَحق له أنه يُسمَّى سيدَ الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أَخذه عليه، والرجاء بما وعده به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو.

وفسر الشيخ ابنُ عثيمين العهدَ الوارد في الدعاء: بأن كل عبد عاهد الله أن يعمل بما علم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾، رياض الصالحين (٦/ ٧١٧)[١].

ونقل ابن حجر عن أبي نعيم الأصبهاني أنه قال في حديث: «من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه: غُفرت ذنوبه وإن كان فر من الزحف»: هذا يدل على أن بعض الكبائر تُغْفر ببعض العمل الصالح. وضابطه: الذنوبُ التي لا توجِب على مرتكبها حكمًا في نفس ولا مال.

(١) وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر ما نصه: «قال الخطابي: يريد أنا على ما عهدتك عليه وواعدتك؛ من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك، ما استطعت من ذلك. ويحتمل أن يريد: أنا مقيم على ما عهدتَ إليَّ من أمرك ومتمسك به، ومنتجز وعدك في المثوبة والأجر. واشتراطُ الاستطاعة في ذلك معناه: الاعتراف بالعجز والقصور عن كُنه الواجب من حقه تعالى. وقال بن بطال: قوله: وأنا على عهدك ووعدك؛ يريد: العهد الذي أخذه الله على عباده، حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية، وبالوعد: ما قال على لسان نبيه: إن من مات لا يشرك بالله شيئًا وأدى ما افترض عليه أن يدخله الجنة. قلت: وقوله: وأدى ما افترض عليه؛ زيادةٌ ليست بشرط في هذا المقام؛ لأنه جعل المراد بالعهد الميثاق المأخوذ في عالم الذر، وهو التوحيد خاصة، فالوعد هو إدخال من مات على ذلك الجنة. قال: وفي قوله: ما استطعت؛ إعلامٌ لأمته أن أحدًا لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم، فرفق الله بعباده فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم...».

ووجه الدلالة منه: أنه مَثَّل بالفرار من الزحف، وهو من الكبائر، فدل على أن ما كان مثله أو دونه يغفر إذا كان مثل الفرار من الزحف، فإنه لا يوجب على مرتكبه حكمًا في نفس ولا مال.

بحث في تفسير قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾

ذكر القرطبي أن في تفسيرها ستة أقوال:

الأول: أنها منسوخة بآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ. . .﴾، روي عن ابن مسعود، وكثير من أهل التفسير، قالوا: لأن النبي ﷺ قد أكره العرب على الإسلام ولم يرضَ منهم إلا به.

الثاني: أنها خاصة بأهل الكتاب، فإنهم يخيرون: إما الإسلام، أو الإبقاء على دينهم مع دفع الجزية، وأما أهل الأوثان فإنهم يُكرهون، وفيهم نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾، وهو قول الشعبي وقتادة والحسن والضحاك.

وحجتهم: قصة عمر مع العجوز النصرانية لما قال لها: أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمدًا بالحق، قالت: أنا عجوز كبيرة، وأموت إلى قريب، فقال عمر: اللهم اشهد، وتلا: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.

الثالث: قول ابن عباس كما رواه أبو داود: نزلت في الأنصار، كانت تكون المرأة مِقلاتًا، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تُهَوِّدَه، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم كثير من أبناء الأنصار، فقالوا: لا نَدعُ أبناءنا، فأنزل الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، **والمِقْلات:** التي لا يعيش لها ولد. وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد.

وقال النحاس: قول ابن عباس في هذه الآية أولى الأقوال؛ لصحة إسناده، وأنَّ مثلَه لا يؤخذ بالرأي.

الرابع: ما قاله السدي: نزلت في رجل من الأنصار يقال له: أبو الحصين، ثم ذكر قصته مع ابنيه.

الخامس: معناها لا تقولوا لمن أسلم تحت السيف مجبرًا مكرهًا.

السادس: أنها وردت في السبي، متى كانوا من أهل الكتاب لم يجبروا إذا كانوا كبارًا، وإن كانوا من غيرهم فيجبرون صغارًا كانوا أو كبارًا (٢٨٠/ ٤)(١).

من أحكام سجود التلاوة

حكمه: سنة(٢)؛ لقول زيد بن ثابت: قرأت على النبي ﷺ النجم فلم يسجد فيها. وقال عمر: يا أيها الناس! إنما نمرُّ بالسجود، فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يَسْجُد فلا إثم عليه، ولم يكتبها الله علينا.

يشترط له ما يشترط لصلاة النافلة(٣).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره: «يُخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين؛ لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه؛ لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة آثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعُرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، وأما من كان سيئ القصد، فاسد الإرادة، خبيث النفس، يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح: فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين؛ لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكرَه ليس إيمانه صحيحًا. ولا تدل الآية الكريمة على ترك قتال الكفار المحاربين، وإنما فيها أن حقيقة الدين من حيث هو موجِب لقبوله لكل منصف قَصْدُه اتباع الحق، وأما القتال وعدمه فلم تتعرض له، وإنما يؤخذ فرض القتال من نصوص أخر».

(٢) عند جمهور أهل العلم؛ من المالكية والشافعية والحنابلة.

(٣) قال الموفق ابن قدامة في المغني: «يعتبر للسجود من الشروط ما يشترط لصلاة النافلة؛ من الطهارتين من الحدث والنجس، وستر العورة، واستقبال القبلة، والنية، ولا نعلم فيه خلافًا؛ إلا ما رُوي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في الحائض تسمع السجدة: تومئ =

يشرع التكبير في أوله، والرفع منه[١]؛ قياسًا على سجود السهو.

اختلفوا هل يرفع يديه أم لا؛ على أقوال، رجح الإمام أحمد الرفع؛ سواء كان في الصلاة أو خارجها؛ لحديث وائل بن حجر قال: قلت: لأنظرن إلى صلاة رسول الله ﷺ، فكان يكبّر إذا خفض ورفع، ويرفع يديه في التكبير.

اختلفوا هل يسلم بعد الرفع؟ فيه روايتان عن أحمد:

الوجوب؛ لأنها صلاة افتقرت إلى سلام كسائر الصلوات[٢]، والرواية الثانية: لا تسليم فيه، ورجحه النخعي والحسن وسعيد بن جبير ويحيى بن وثّاب[٣].

اختلفوا في عدد السجدات؟ قال ابن قدامة في الكافي (١/ ٣٦٢): ومواضع السجدات ثابتة بالإجماع؛ إلا سجدات المفصل، والثانية من الحج، وقد ثبت ذلك بحديث عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشْرة سجدة؛ منها ثلاث في المفصل، وسجدتان في الحج.

والصحيح أن سجدة (ص) ليست من عزائم السجود؛ لقول ابن عباس: ليست (ص) من عزائم السجود[٤]. الكافي (١/ ٣٥٨ إلى ٣٦٣)، المغني (٢/ ٣٥٢ ـ ٣٦٣).

= برأسها. وبه قال سعيد بن المسيب، قال: ويقول: اللهم لك سجدت. وعن الشعبي فيمن سمع السجدة على غير وضوء: سجد حيث كان وجهه».

وقال القرطبي في تفسيره: «ولا خلاف في أن سجود القرآن يحتاج إلى ما تحتاج إليه الصلاة؛ من طهارة حدث، ونجس، ونية، واستقبال قبلة، ووقت؛ إلا ما ذكر البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان يسجد على غير طهارة. وذكره ابن المنذر عن الشعبي».

(١) يعني أنه يشرع التكبير عند الهوي وعند الرفع، ومشروعيةُ التكبير للخفض والرفع هو المذهب عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(٢) وهو الأصح عند الشافعية.

(٣) وهو قول الحنفية والمالكية.

(٤) والخلاصة في عدد السجدات: أن أهل العلم متفقون على أنه ليس في القرآن أكثر من =

إقامة الجماعة مرة ثانية في المسجد

ذكر أبو زكريا النووي أن العلماء مجمعون على عدم كراهة إعادة الجماعة في المسجد الذي ليس له إمام راتب؛ سواء كان مطروقًا أو غير مطروق.

وذكر أن الشافعية والجمهور يرون كراهة إعادة الجماعة إذا كان للمسجد إمام راتب ولم يكن مطروقًا بغير إذن إمامه، وقال: وبه قال عثمان البتي والأوزاعي ومالك والليث والثوري وأبو حنيفة.

ومفهوم كلامه: أن المطروق تجوز الإعادة فيه بغير كراهه وإن كان له إمام راتب. المجموع: (٤/ ٨٥ ـ ٨٦).

وأما الموفق ابن قدامة فإنه ذكر في المسألة قولين:

الأول: قول الجمهور ـ الذي ذكره النووي ـ وممن قال به: سالم وأبو قلابة وأيوب وابن عون والشافعي، وكذا الذين ذكرهم النووي، وقالوا: الأولى لمن هذه حاله أن يصلي منفردًا.

واستدلوا:

١ ـ بأن هذا يفضي إلى اختلاف القلوب والعدوان والتهاون في الصلاة مع الإمام.

٢ ـ ولأنه مسجد له إمام راتب، فكُره فيه إعادة الجماعة؛ كمسجده ﷺ.

الثاني: الجواز من غير كراهة مطلقًا[1].

= خمس عشرة سجدة، واتفقوا على مشروعية السجود في عشر منها، ومحل الخلاف في: ثانية الحج، وسجدة (ص)، وفي السجود في المفصل؛ أي: في سورة النجم، والانشقاق، والعلق.

(١) وهو المذهب عند الحنابلة، فقد نصوا على عدم كراهة إعادة الجماعة؛ إلا في مسجدَي مكة والمدينة. انظر: الشرح الكبير على المقنع، ٤/ ٢٨٥.

واستدلوا:

١ ـ بعموم قوله ﷺ: «صلاة الجماعة تَفْضُل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»، وحديث أبي سعيد: «أيكم يَتَّجِرُ على هذا؟» فقام رجل فصلى معه.

٢ ـ ولأنه قادر على الجماعة فاستحب له فعلها.

وممن قال به: ابن مسعود وعطاء والحسن والنخعي وقتادة وإسحاق.

ثم ذكر الموفق كراهةَ أحمد لإعادة الجماعة في المساجد الثلاثة؛ لئلا يتوانى الناس في حضور الجماعة، ورجح الموفق عدم الكراهة؛ لأن ظاهر حديث أبي سعيد أنه في مسجد النبي ﷺ، وأن المعنى يقتضيه؛ لأن فضل الجماعة يحصل فيها كغيرها. المغني: (٣/ ١٠ ـ ١١).

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ . . .﴾

ذكر القرطبي توجيه العلماء لهذا الحديث: «الكافر يأكل في سبعة أمعاء، والمؤمن يأكل في مِعًى واحد»، (٩/ ١٩٨):

١ ـ وهذا منه ﷺ حضٌّ على التقليل من الدنيا والزهد فيها والقناعة بالبُلْغة.

٢ ـ قول الخطابي: إنه يتناول دون شِبَعِه، ويُؤْثِر على نفسه، ويُبْقِي مِن زادِه لغيره، فيُقْنِعُه ما أكل. يقصد جملة: «والمؤمن يأكل في معى واحد».

٣ ـ هو إشارة إلى رجل معين استضافه النبي ﷺ، وهو كافر، يقال: إنه الجهجاه الغفاري، وقيل: ثمامة بن أثال، وقيل: نضلة بن عمرو الغفاري، وقيل: بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فشرب حِلَابَ سبع شياه، ثم إنه أصبح، فأسلم، فشرب حَلَابَ شاة، فلم يَسْتَتِمَّه.

٤ ـ إن القلب لما تنور بنور التوحيد نظر إلى الطعام بعين التَّقَوِّي على الطاعة، فأخذ منه قدر الحاجة، وحين كان مُظلمًا بالكفر كان أكله كالبهيمة ترتع حتى تَثْلِط.

٥ ـ المعنى أنه يأكل أكل من له سبعة أمعاء، والمؤمن بخفة أكله يأكل أكل مَن ليس له إلا معى واحد.

والمعى: المعدة.

ـ وذكر القرطبي أنه يستحب للإنسان غسل اليد قبل الطعام، وبعده؛ لحديث: «الوضوء قبل الطعام وبعده بركة».

٦ ـ واستظهر القرطبي معنى آخر في حديث: «الكافر يأكل في سبعة أمعاء...»: أن المراد بقوله: «المؤمن يأكل في معى واحد»؛ أي: التام الإيمان؛ لأن مَن حَسُن إسلامه، وكمل إيمانه: تفكّر فيما يصير إليه مِن أمر الموت وما بعده، فيمنعه الخوف والإشفاق من تلك الأهوال من استيفاء شهواته.

وقد أُخِذ ذلك من حديث: «فإن أكثر الناس شِبَعًا في الدنيا أطولهم جوعًا يوم القيامة».

صلاة الضحى

قال النووي في شرح مسلم: (٥ ـ ٦/ ٢٣٧) بعد سياق الأحاديث التي دلت على أن النبي ﷺ كان يصلي الضحى، والأحاديث التي دلت على أنه لا يصليها: هذه الأحاديث كلها متفقة لا اختلاف بينها عند أهل التحقيق، وحاصلها: أن الضحى سنة مؤكدة، وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات، وبينهما أربع أو ست، كلاهما أكمل من ركعتين، ودون ثمان.

ثم قال: صح عن بن عمر أنه قال في الضحى: هي بدعة، فمحمول على أن صلاتها في المسجد والتظاهر بها كما كانوا يفعلونه بدعة؛ لا أن أصلها في البيوت ونحوها مذموم، أو يقال: قوله: بدعة؛ أي: المواظبة عليها؛ لأن النبي ﷺ لم يواظب عليها؛ خشيةَ أن تفرض، وهذا في حقه ﷺ، وقد ثبت استحباب المحافظة في حقنا بحديث أبي الدرداء وأبي ذر، أو يقال: إن

ابن عمر لم يبلغه فعل النبي ﷺ الضحى وأَمْرُه بها، وكيف كان فجمهور العلماء على الاستحباب.

وذكر النووي أن قول عائشة: (ما رأيته صلاها)، لا يخالف قولها: (كان يصليها)؛ لأنه ﷺ ما كان يكون عندها في وقت الضحى إلا في نادر من الأوقات، فنفيها صلاته من جهة قِلَّة جلوسه عندها وقت الضحى؛ لأمور كثيرة.

ولخص الشوكاني في النيل (٥/ ٢١١) كلام ابن القيم، فنَقل عنه أن الأقوال في سنة الضحى ستة:

١ ـ أنها سنة.

٢ ـ لا تشرع إلا لسبب، واحتجوا بأن النبي ﷺ لم يفعلها إلا لسبب، فاتفق وقوعه وقت الضحى، وتعددت الأسباب، فحديث أم هانئ في يوم الفتح لسبب الفتح، وكان الأمراء يسمونها: صلاة الفتح. وصلاته عند القدوم من مغيبه كان لسبب القدوم؛ فإنه ﷺ كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين. وصلاته في بيت عتبان بن مالك كانت لسبب، وهو تعليم عتبان أين يصلي في بيته لَما سأل النبيَّ ﷺ ذلك.

وأما أحاديث الترغيب فيها والوصية بها فلا تدل على أنها سنة راتبة لكل أحد، ولهذا خَص أبا هريرة وأبا ذر، ولم يوصِ أكابر الصحابة.

٣ ـ أنها لا تستحب أصلًا.

٤ ـ يستحب فعلها تارة وتركها أخرى.

٥ ـ تستحب صلاتها والمحافظة عليها في البيوت.

٦ ـ أنها بدعة.

ثم ذكر الشوكاني أن السيوطي صنّف جزءًا في الأحاديث الواردة في إثباتها، وروى فيه عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يصلونها، فمنهم: أبو سعيد الخدري وعائشة وأبو ذر.

حديث: «نحن أولى بالشك من إبراهيم» إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾

قوله ﷺ: «نحن أولى بالشك من إبراهيم»، ذكر الحافظ ابن حجر أجوبةً كثيرة عنه فقال: قال بعضهم:

١ ـ أي: نحن أشد اشتياقًا إلى رؤية ذلك من إبراهيم.

٢ ـ إذا لم نَشُكَّ نحن فإبراهيم أولى أن لا يَشُكَّ، وقاله النبي ﷺ تواضعًا، أو أنه قبل علمه بأنه أفضل من إبراهيم.

٣ ـ قيل: إنه أراد بـ«نحن» أمتَه الذين يجوز عليهم الشك، وإخراجه هو منه بدلالة العِصمة.

٤ ـ أن هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به؛ لأنه ليس بشك، إنما هو طَلبٌ لمزيد البيان.

٥ ـ أي: لا شك عندنا جميعًا؛ لأنه قد حكى بعض علماء العربية أن أَفْعَلَ ربما جاءت لنفي المعنى عن الشيئين، نحو قوله: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؛ أي: لا خير في الفريقين.

وكذلك تعددت الأجوبة عن تفسير: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾:

١ ـ أي: لأعلم أنك أجبت دعائي.

٢ ـ لأعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، واختاره الباقلاني.

٣ ـ طَلَب إبراهيم ذلك لِتَذهب عنه شدةُ الخوف.

٤ ـ عن عكرمة: ليطمئن قلبي أنهم يَعلمون أنك تحيي الموتى.

٥ ـ ابن الحصار: إنما سأله أن يحيي الموتى على يديه؛ فلهذا قيل له: فصرهن إليك.

انظر الفتح (٧/ ٦٧٨ ـ ٦٧٩ ـ ٦٨٠).

الدعاء عقيب الصلاة هل يسن ويستحب؟
أم هو بدعة؟ أم مكروه؟

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فهذا بحث لمسألة طالما أشكلت عليّ، وهي: الدعاء عقيب الصلاة؛ هل يسن ويستحب؟ أم هو بدعة؟ أم مكروه؟

رجعتُ إلى كتب الفقه والتفسير، وقلبتُ الظر فيها، وأمعنت الفِكر بين أسطرها وصفحاتها.

وسيكون البحث على ثلاثة أقسام:

أولًا: ذكر أقوال السلف في آية الشرح وإثباته وتقريره.

ثانيًا: ذكر أقوال الفقهاء وتصريحهم باستحبابه.

ثالثًا: ذكر رأي أبي العباس ومناقشته لأدلة الجمهور، وكذلك مناقشته لتفسير آية الشرح.

❖ أولًا: ذكر أقوال السلف في آية الشرح: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾:

حكى ابن جرير في الآية قولين:

أحدهما: إذا فرغت من صلاتك فانصب إلى ربك في الدعاء، وسَلْهُ حاجاتك. وساق بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس القولَ به، وحكاه عنه مجاهد من رواية ابن أبي نجيح عنه، وحكاه عنه الضحاك وقتادة (٤/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨).

وكذلك حكاه الواحدي في تفسيره البسيط عن قتادة والضحاك ومقاتل والكلبي، وحكى بعده ـ عن الشعبي والزهري ـ القولَ بأن المراد: الدعاء بعد التشهد (٤/ ٥٢٠).

وحكى البغوي هذا القولَ أيضًا بالمعنى عن ابن عباس وقتادة والضحاك

ومقاتل والكلبي: إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء وارغب إليه في المسألة يُعْطك. وحكاه عن مجاهد أيضًا (٤/ ٦٤٢).

كذلك حكى القولَ بأن المراد به الدعاء: ابن الجوزي في زاده، عن ابن عباس والضحاك ومقاتل (٩/ ١٦٦).

كذلك ذكره الشوكاني عنهم.

فأنت كما ترى أن تفسير الآية بالدعاء بعد الصلاة قد ذكره أئمة التفسير، وحكوه عن السلف، ومما يبدد الشك تمامًا في كونه غير ثابت[1]: ما حكاه أبو محمد البغوي عنهم، حيث إنه لم يَذكر الأقوال بنصها وحروفها كما جرت عادته في تفسيره، وإنما حكاه عنهم بالمعنى، فقال كما نقلت عنه آنفًا: «إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء وارغب إليه في المسألة يُعْطك».

وفي الآية أقوال أُخُر، حتى إنه ورد عن مجاهد قولان مختلفان، وهذا يدل على أن الاختلاف «إنما هو اختلاف في الأمثلة، فحذْف المتعلَّق هنا لقصد العموم، وهو عموم عرفي...». تفسير ابن عاشور (١٢/ ٤١٧).

وذكر ابن عاشور أن الفراغ: «خلو باطن الظرف أو الإناء؛ لأن شأنه أن يظرف فيه، وفِعل فَرَغَ يفيد: أن فاعله كان مملوءًا بشيء، وفراغ الإنسان مجاز في إتمامه ما شأنه أن يعمله» (١٢/ ٤١٦).

❖ ثانيًا: أقوال الفقهاء في مسألة: الدعاء بعد الصلاة:

١ ـ قال ابن قدامة في المغني (٢/ ٢٥١): ويستحب ذكر الله والدعاء عقيب صلاته، ويستحب من ذلك ما ورد به الأثر...

٢ ـ قال في منتهى الإرادات وشرحه (١/ ٤١٧): ويدعو الإمام استحبابًا

---

(١) مراده رحمه الله بهذه العبارة: أنه لا شك في ثبوت تفسير هذه الآية بهذا المعنى عن السلف، والله أعلم.

بعد كل صلاة مكتوبة؛ لقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾، خصوصًا بعد الفجر والعصر؛ لحضور الملائكة فيها، فيؤمنون. ا هـ

٣ ـ ما ذكره أبو زكريا النووي في المجموع (٣/ ٣٢٢): اتفق الشافعي والأصحاب وغيرهم رحمهم الله على: أنه يستحب ذكر الله تعالى بعد السلام، ويستحب ذلك للإمام والمأموم والمنفرد، والرجل والمرأة والمسافر وغيره، ويستحب أن يدعو أيضًا بعد السلام بالاتفاق.

ونقل بعد صفحات عن الشافعي في كتابه الأم (٣/ ٣٢٥): وأستحب للمصلي منفردًا أو مأمومًا أن يطيل الذكر بعد الصلاة، ويكثر الدعاء؛ رجاءَ الإجابةِ بعد المكتوبة.

وذكر قبلها حديثًا (٣/ ٣٢٤): كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة قال: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

هكذا في رواية، وفي رواية: أنه كان يقول هذا بين التشهد والتسليم، ولا منافاة بين الروايتين، فهما صحيحتان، وكان يقول الدعاء في موضعين.

٤ ـ قال ابن مفلح (٢/ ٢٣٠): ويدعو الإمام بعد الفجر والعصر؛ لحضور الملائكة فيهما، فيؤمنون على الدعاء.

فهذا المذكور قولٌ دلالته واضحةٌ؛ أن كثيرًا من الفقهاء استحب الدعاء عقيب الصلاة؛ لأنه مظنة للإجابة؛ بل إن النووي ـ كما سبق ـ حكى الاتفاق عن الشافعية وإمامهم على ذلك، وهُم مَن هُم في الفضل والكثرة.

وبعد عرض كلام هؤلاء الفقهاء نفيءُ إلى كُتب ابن تيمية، ومن سار سَيْرَه، واقتفى أثره، ولزم غرزه:

١ ـ أنكر ابن القيم استحباب الدعاء بعد الصلاة، وقال في الهدي (١/ ٢٤٩): وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة أو المأمومين فلم

يكن ذلك من هديه ﷺ أصلًا، ولا روي عنه بإسناد صحيح ولا حسن، وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فَعَلَها فيها، وأمر بها فيها، وهذا هو اللائق بحال المصلّي، فإنه مقبلٌ على ربه يناجيه ما دام في الصلاة، فإذا سلّم منها انقطعت تلك المناجاة، وزال ذلك الموقف بين يديه، والقرب منه، فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه والإقبال عليه، ثم يسأله إذا انصرف عنه!

ثم ذَكر أنه يستحب للمصلي أن يدعو بعد الفراغ من الأذكار المشروعة بعد الصلاة ثم صلاته على النبي ﷺ لا لكونه دبر الصلاة، وإنما لكونه يشرع لكل عبد أن يدعو الله بعد الثناء عليه وحمده وذكره والصلاة على نبيه، فهو دعاء الله بعد عبادة ثانية هي ذكر الله وحمده؛ لا أنه دعاه بعد الصلاة، فيكون عملًا بحديث: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ليصلّ على النبي ﷺ ثم ليدعُ بما شاء». هذا معنى كلامه (١/ ٢٥٠)[١].

٢ - رأي ابن تيمية رحمه الله: قال في الفتاوى (٢٢/ ٤٩٢): الأحاديث المعروفة في الصحاح والسنن والمسانيد تدل على أن النبي ﷺ كان يدعو في دبر صلاته قبل الخروج منها، وكان يأمر أصحابه بذلك ويعلمهم ذلك، ولم يَنقل أحدٌ أن النبي ﷺ كان إذا صلى بالناس يدعو بعد الخروج من الصلاة هو والمأمومون جميعًا؛ لا في الفجر ولا في العصر، ولا في غيرهما من الصلوات؛ بل قد ثبت عنه أنه كان يستقبل أصحابه، ويذكر الله ويعلمهم ذكر الله عقيب الخروج من الصلاة[٢].

---

(١) نعم، هذا ما يذهب إليه العلامة ابن القيم في هذه المسألة؛ لا أنه ينهى عن الدعاء بعد الصلاة مطلقًا، ولذا قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ١٣٤): «وفَهِم كثيرٌ ممن لقيناه من الحنابلة أن مراد بن القيم نفيُ الدعاء بعد الصلاة مطلقًا، وليس كذلك، فإن حاصل كلامه: أنه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وإيراده بعد السلام، وأما إذا انتقل بوجهه، أو قدَّم الأذكار المشروعة: فلا يَمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ».

(٢) ويقابل هذا التقريرَ: قول الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ١٣٣): «فإن قيل: المراد بدبر كل صلاة قُرب آخرها وهو التشهد، قلنا: قد ورد الأمر بالذكر دبر كل =

وقال في موضع آخر (٢٢/ ٥١٢): ولا نُقل ذلك عن أحد ـ أي الدعاء عقيب الصلاة ـ ولا استحب ذلك أحدٌ من الأئمة، ومن نقل عن الشافعي أنه استحب ذلك فقد غلط عليه، ولفظه الموجود في كتبه ينافي ذلك، وكذلك أحمد وغيره من الأئمة لم يستحبّوا ذلك.

ولكن طائفة من أصحاب أحمد وأبي حنيفة وغيرهما استحبوا الدعاء بعد الفجر والعصر، فقالوا: لأنهما صلاتان لا صلاة بعدهما، فتعوض بالدعاء عن الصلاة. واستحب طائفة من أصحاب الشافعي وغيره: الدعاء عقيب الصوات الخمس.

وقال: فإن هذا ليس مأمورًا به؛ لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب في هذا الموطن، والمنكِر على التارك أحق بالإنكار منه؛ بل الفاعل أحق بالإنكار، فإن المداومة على ما لم يكن النبي ﷺ يداوم عليه في الصلوات الخمس ليس مشروعًا؛ بل مكروه، كما لو داوم على الدعاء قبل الدخول في الصلوات، أو داوم على القنوت في الركعة الأولى، أو في الصلوات الخمس، أو داوم على الجهر بالاستفتاح في كل صلاة، ونحو ذلك، فإنه مكروه، وإن كان القنوت في الصلوات الخمس قد فعله النبي ﷺ أحيانًا، وقد كان عمر يجهر بالاستفتاح أحيانًا، وجهر رجل خلف النبي ﷺ بنحو ذلك، فأقره عليه، فليس كل ما يُشرع فِعله أحيانًا تُشرع المداومة عليه.

وقد أجاب ابن تيمية على ما استدل به الذين يرون استحباب الدعاء بعد الصلاة:

= صلاة، والمراد به بعد السلام إجماعًا؛ فكذا هذا، حتى يثبت ما يخالفه، وقد أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة: قيل يا رسول الله! أيُّ الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الأخير، ودبر الصلوات المكتوبات»، وقال: حسن، وأخرج الطبري من رواية جعفر بن محمد الصادق قال: الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة».

١ ـ قوله ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾.

ضَعَّف الشيخُ تفسير الآية بأنه الدعاء بعد الصلاة، وقال: فإنه يمنع الدعاء في آخر الصلاة، لا سيما والنبي ﷺ هو المأمور بهذا، فلا بد أن يمتثل ما أمره الله به. ودعاؤه في الصلاة المنقولُ عنه في الصحاح وغيرها إنما كان قبل الخروج من الصلاة (٢٢/ ٤٩٥).

كأن الشيخ أراد ـ والعلم عند الله ـ أنه لو كان المراد بالآية: إذا فرغت من الصلاة يا محمد فانصب إلى الدعاء؛ لما دعا النبي ﷺ في آخر الصلاة؛ لأنه مأمور بالدعاء بعدها؛ لأنه لابد أن يمتثل أمرَ الله، فلما لم يفعل ذلك رسولُ الله ﷺ؛ بل ورد عنه الدعاء قبلها ومشى على ذلك؛ دل ذلك على ضعف تفسير الآية به.

٢ ـ أن الفراغ مطلقٌ فلا يصح تقييده بالفراغ من الصلاة.

ولأنه لو أريد: إذا فرغت من العبادة فانصب في الدعاء فإن الدعاء عبادة.

٣ ـ أن الدعاء مشروع في آخر الصلاة، فكيف يأمر بالدعاء بعدها، والذي فرغ منه نظير الذي أمر به؛ لأنه كان في الصلاة ناصبًا في الدعاء لا فارغًا.

٤ ـ حديث أبي أمامة: قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبة».

قال فيه: فإن قيل: إنه يعم ما قبل السلام وما بعده، فإنه لا يستلزم كون دعاء الإمام والمأموم جميعًا بعد السلام سنّة، كما لا يستلزم مثل ذلك قبل السلام؛ بل إذا دعا كل واحد وحده بعد السلام.

وكذلك قوله ﷺ لمعاذ: «لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»؛ يتناول ما قبل السلام وما بعده.

صرح رحمه الله ببدعيّة دعاء الإمام والمأمومين جميعًا بعد الصلاة. الفتاوى (٢٢/ ٤٩٢) فما بعدها.

وحاصل الكلام:

أن علماء المذاهب الأربعة شبه مطبقين على استحباب الدعاء بعد الصلاة، كما حكاه النووي عن الشافعية والجمهور.

وأنه لم ينص أحد على بدعية دعاء الرجل بعد صلاته منفردًا؛ لا شيخ الإسلام ولا تلميذه ولا ابن عثيمين.

والذي يظهر لي: أنه لم يُشدِّد أحدٌ في المسألة كما شدّد شيخ الإسلام؛ لأنه لم يَحْكِه عن أحد ـ أقصد: القول بعد استحبابه ـ.

ويظهر لي كذلك: تَجوُّزه رحمه الله لـمَّا ذكر أن نسبة القول بمشروعيته للشافعي خطأ عليه؛ لأن الشافعي نص عليه في الأم، ونقله عنه النووي، وهو من أئمة الشافعية بلا مدافعة، وأَعْرَف بنصوص الشافعي من ابن تيميّة، وأيضًا فإن القائلين باستحبابه من بقية أصحاب المذاهب من الفقهاء الكبار الذين يوثق بقولهم ويستند إلى رأيهم.

نعم: القول بعدم مشروعية دعاء الإمام والمأمومين جميعًا وجيه جدًّا؛ لأنه سَنٌّ لعبادةٍ على هيئة معينة في وقت معيّن لم يرد في الشرع ولم يَعمل به النبي ﷺ ولا صحابته رضوان الله عليهم. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾

قال القرطبي (١٩/ ٣٩٦):

قال علماؤنا: فالظن هنا ـ أي في حديث: «إياكم والظن» ـ وفي الآية هو التهمة، ومحل التحذير والنهي إنما هو: تهمة لا سبب لها يوجبها.

وقال: والذي يميّز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها: أن كل ما لم تُعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر؛ كان حرامًا واجِبَ الاجتناب، وذلك

إذا كان المظنون به ممن شُوهد منه الستر والصلاح، وأُونِسَت منه الأمانة في الظاهر، فظنُّ الفساد به والخيانةِ محرَّمٌ؛ بخلاف من اشتهرَه الناسُ بتعاطي الرِّيَب، والمجاهرة بالخبائث.

ثم ذكر قول الحسن: كنا في زمنٍ الظنُّ فيه حرام، وأنت اليوم في زمن: اعمل واسكُت، وظُنَّ في الناس ما شئتَ.

فائدة: قال ابن كثير: والتجسس غالبًا يطلق في الشر، ومنه: الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالبًا في الخير، ومنه: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، وقد يُستعمل كل منهما في الشر، كقوله: «لا تجسّسوا ولا تحسسوا. . .، وكونوا عباد الله إخوانًا»، (١٣/ ١٥٨).

وذكر ابن كثير: أن توبة المغتاب تكون بأن يُقلع ويَعزم على أن لا يعود، وذكر خلافًا في اشتراط الندم على ما فات، وكذا في التحلل منه.

وذكر أن بعضهم قال: لا يتحلل منه؛ لأنه يُفْضِي إلى مفسدة أشد، ولكن يثني عليه في المجالس التي اغتابه فيها، ويَرد عنه الغيبة قدر وسعه (١٣/ ١٦٧).

إطلاق لفظ مولانا

جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي».

نقل الشيخ حمد بن عتيق (١٣٠١هـ) في كتابه إبطال التنديد (ص٢٥٩) عن البغوي في كتابه: شرح السنة: «ولم يمنع أن يقول سيدي ومولاي؛ لأن مرجع السيادة إلى معنى الرياسة على ما تحت يده، ولذلك سُمِّي الزوج سيدًا، قال تعالى: ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾، وقال النبي ﷺ للحسن: «إن ابني هذا سيد»، والمولى كثير التصرف، مِن وَليٍّ وناصر ومنعِم وحليف ومعتق، وأصله من ولاية أمر وإصلاحه، فلم يمنع من أن يوصف به مالك الرقبة».

وذكر ابن عثيمين في شرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٤٢) أن الولاية تنقسم قسمين:

الأولى: ولاية مطلقة، وهذه لله تعالى لا تصلح لغيره، كالسيادة المطلقة، وذكر أن ولاية الله نوعان: عامة وخاصة.

الثانية: ولاية مقيدة مضافة، فهذه تكون لغير الله، ولها في اللغة معانٍ كثيرة؛ منها: الناصر والمتولي للأمور والسيد والعتيق، ومن شواهد ذلك: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقول النبي ﷺ: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، وقال: «إنما الولاء لمن أعتق»، وذكر أنه لا بأس بقول: مولاي للملك.

والحاصل: أنه يجوز إطلاق السيد والمولى على البشر: بشرط الإضافة؛ لأن للبشر سيادة وولاية تناسبه.

ونقل ابن حجر في الفتح (٦/ ٣٨٦) عن الخطابي كلامًا قريبًا من كلام البغوي، ثم قال الخطابي في آخر كلامه: ولكنْ لا يقال السيد ولا المولى على الإطلاق من غير إضافة إلا في صفة الله تعالى.

وذكر ابن حجر أن هناك رواية أخرجها مسلم والنسائي من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في هذا الحديث نحوه، وزاد: «ولا يقل أحدكم مولاي؛ فإن مولاكم الله، ولكن ليقل: سيدي».

لكنْ ذكر أن مسلمًا بَيَّن الاختلاف في ذلك على الأعمش، وأن منهم من ذكر هذه الزيادة، ومنهم من حذفها. ونقل عن عياض: حذفها أصح.

وعن القرطبي صاحب المفهِم: المشهور حذفها، وإنما صرنا إلى الترجيح للتعارض مع تعذّر الجمع وعدم العلم بالتاريخ.

قال الحافظ: ومقتضى ظاهر هذه الزيادة أن إطلاق السيد أسهل من إطلاق المولى، وهو خلاف المتعارف؛ فإن المولى يطلق على أوجه متعددة؛

منها الأسفل والأعلى، والسيد لا يطلق إلا على الأعلى، فكان إطلاق المولى أسهلَ وأقربَ إلى عدم الكراهة.

حقيقة العبودية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد:

ما حقيقة العبودية؟

إن من التقريرات الجميلة التي أرسى قواعدها نبينا العظيم: قولَه ﷺ: «خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن».

فالعبودية لله تبارك وتعالى رِفعةٌ وسمو وارتقاء إلى سماء الحرية، فنسبة العبودية لغير الله ذل وصَغار؛ لذا نُهِي عن التعبيد للأشخاص والكواكب وغيرها، كأن يقال: عبد الزهرة، وعبد الحسين، وعبد الرسول، وعبد النبي، وعبد علي...

فالعبد كما يقول ابن تيمية: «لابد له من رزق، وهو محتاج إلى ذلك، فإذا طلب رزقه من الله صار عبدًا لله، وإذا طلبه من مخلوق صار عبدًا لذلك المخلوق، فقيرًا إليه...، وكل من عَلَّق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه؛ خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك...».

فالعبودية لله تُحرر الإنسان من كل عبودية أخرى، ولذا انتكس وارتكس من كان عبدًا للدرهم أو للخميصة أو للقطيفة؛ مصداقًا لقوله ﷺ: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس».

سُئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ فأجاب: الحمد لله رب العالمين، العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه

من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصِدق الحديث وأمثال ذلك من العبادة، وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، فالدين كله في العبادة.



المدونة الثالثة

الفوائد

إن الفوائد التي قيدها (ريان رَحِمَهُ ٱللَّهُ) كثيرة جدًّا ومتنوعة، تَربو على (ألف) فائدة!

وهذا ما أَوْجَب قَسْم تلك الفوائد إلى قسمين رئيسَين:

- فوائد متنوعة.
- فوائد الكتب. وجعلت هذا القسم مرتبًا حسب وفيات المؤلفين.



القسم الأول

فوائد متنوعة

معنى قول النبي ﷺ: «المؤمن يأكل في مِعًى واحد»

قال الزمخشري في الفائق في غريب الحديث (ص٣٧١/٣) بعد ذكر حديث: «المؤمن يأكل في مِعًى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»، قال: «وقيل: هو تمثيل لرضا المؤمن باليسير من الدنيا، وحرص الكافر على التكثر منها. والأَوْجَهُ: أن يكون هذا تحضيضًا للمؤمن على قلة الأكل وتحامي ما يجرُّه الشبع؛ من قسوة القلب والرَّيْن وطاعة الشهوة البهيمية وغير ذلك من أنواع الفساد.

وذِكْرُ الكافر ووصْفُه بكثرة الأكل إغلاظ على المؤمن وتأكيد لما رُسِم له وحضه عليه، وناهيك زاجرًا قولُه تعالى: ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ﴾، وأَلِفُ المعى منقلبة عن ياء؛ لقولهم في تثنيته: معيان».

لماذا قَدَّم البخاري في صحيحِه باب فضل العلم؟

قال ابن حجر في الفتح (١/٢٥٢): «قال القاضي أبو بكر بن العربي: بدأ المصنف بالنظر في فضل العلم قبل النظر في حقيقته، وذلك لاعتقاده أنه في نهاية الوضوح...، والبخاري لم يضع كتابة[١] لحدود الحقائق

(١) هكذا، ولعل الصواب بالهاء.

وتصورها، بل هو جارٍ على أساليب العرب القديمة، فإنهم يبدؤون بفضيلة المطلوب للتشويق إليه إذا كانت حقيقته مكشوفة معلومة.

وقد أنكر ابن العربي في شرح الترمذي على من تصدى لتعريف العلم، وقال: هو أبين من أن يبيّن. قلت: وهذه طريقة الغزالي وشيخه».

المراد بالحديث الموضوع عند ابن الجوزي وأبي العلاء الهمداني

قال ابن تيمية: «. . .تنازع الحافظ أبو العلاء الهمداني والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي: هل في المسند حديث موضوع؟ فأنكر الحافظ أبو العلاء أن يكون في المسند حديث موضوع، وأثبت ذلك أبو الفرج، وبيَّن أن فيه أحاديث قد عُلم أنها باطلة، ولا منافاة بين القولين؛ فإن الموضوع في اصطلاح أبي الفرج: هو الذي قام دليل على أنه باطل، وإن كان المحدِّث به لم يتعمد الكذب؛ بل غلط فيه. . . لكن الغالب على ما ذكره في الموضوعات أنه باطل باتفاق العلماء. وأما الحافظ أبو العلاء وأمثاله فإنما يريدون بالموضوع: المختلَقَ المصنوعَ الذي تعمد صاحبه الكذب».

نية قيام الليل

قال النووي: ينبغي له ـ أي: مريد قيام الليل ـ أن ينوي عند نومه قيام الليل نيةً جازمة؛ ليحوز ما ثبت في الحديث الصحيح عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم فيصلي من الليل، فغلبته عينه حتى يصبح؛ كُتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه»، رواه النسائي وابن ماجه.

الشيخ: عبد القادر الجيلاني

قال الذهبي في السير (٢٠/ ٤٥٠): ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر؛ لكن كثيرًا منها لا يصح، وفي بعض ذلك أشياءُ مستحيلة.

وقال (٨/ ٤٥١): وفي الجملة؛ الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ما نُقلت إلينا كراماتُ أحدٍ بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر.

فائدة في سبب تسمية شهر صفر، وفي أسماء الأيام عند العرب

سمي شهر صفر لخلو بيوتهم منهم حين يخرجون للقتال والأسفار. تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٥)

وكانت العرب تسمي الأيام: أولَ، ثم أهونَ، ثم جُبَار، ثم دُبَار، ثم مُؤْنِس، ثم العَرُوبة، ثم شِيَار. (٧/ ١٩٦)

الفرق بين النصيب والكفل في قوله تعالى ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾

قال صاحب كتاب إعراب القرآن وبيانه (٢/ ٧٥): الكِفْل: الضِّعف والنصيب والحظ، وفي المصباح: الكِفْل وزان حِمْل: الضِّعْف من الأجر والإثم.

وقال علماء اللغة: واستعمال الكفل في الشر أكثر من استعمال النصيب فيه، وإن كان كل منهما قد يُستعمل في الخير، كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ

مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾، ولِقِلَّة استعمال النصيب في الشر وكثرةِ استعمال الكفل فيه: غايَر بينهما في الآية الآنفة، حيث أتى بالكفل مع السيئة، وبالنصيب مع الحسنة.

حديث: «من كره من أميره شيئًا فليصبر؛ فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات مِيتة جاهلية»

قوله ﷺ: «مِيتة جاهلية»، قال ابن حجر في الفتح (١٦/٤٣٨): والمراد بالميتة الجاهلية ـ وهي بكسر الميم ـ: حالةُ الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع؛ لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافرًا؛ بل يموت عاصيًا، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره، ومعناه: أنه يموت مثل موت الجاهلي، وإن لم يكن هو جاهليًّا، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير، وظاهره غير مراد، ويؤيد أن المراد بالجاهلية التشبيه: قولُه في الحديث الآخر: «من فارق الجماعة شبرًا فكأنما خلع ربقة الإسلام من عنقه».

حديث: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا»

نقل صاحب تيسير العزيز الحميد[(١)] عن شارح الجامع الصغير كلامًا حاصله: «أي: بِصَبِّ البلاء والمصائب عليه؛ جزاءً لما فَرَط من الذنوب منه، فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافي به يوم القيامة، ومن فُعل ذلك به فقد أُعظم اللطفُ به، حتى يُكَفَّر بالشوكة يشاكها، حتى بالقلم يسقط من الكاتب...».

وفي الصحيح: «لا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة»، وفي المسند وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله وفي ولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة».

قال شيخ الإسلام: «المصائب نعمة؛ لأنها مكفرات للذنوب، ولأنها

(١) وهو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله جميعًا.

تدعو إلى الصبر، فيثاب عليها، ولأنها تقتضي الإنابة إلى الله والذلّ له والإعراض عن الخلق، إلى غير ذلك من المصالح العظيمة...». راجع: تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٢٩ ـ ١٠٣٠).

مقولات محفزة

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أيها المشغول باللذات الفانيات! متى تستعد لِمُلِمَّات الممات؟ متى تستدرك هفوات الفوات؟ أتطمع مع حب الوسادات في لحاق السادات؟ وأنى تجعلك مثلهم أني وهيهات!

يا حسرة الفوت عند حضور الموت.

اسْتَلِبْ زمانك يا مسلوب، وغالب الهوى يا مغلوب، وحاسب نفسك فالعمر محسوب، واعجبًا لنائم وهو مطلوب! ولضاحك وعليه ذنوب!

إلى متى تبقى بدائك؟ أهذا الذي تفعله برائك؟ لقد حَل فَناؤك بفِنائك!



القسم الثاني
فوائد الكتب

فوائد من كتاب طبقات الحنابلة[1]

١ ـ سُئل الإمام أحمد: لِمَ لا تصحب الناس؟ قال: لوحشة الفراق.

٢ ـ قال الإمام أحمد: سبيل العلم مثلُ سبيل المال: إن المال إذا زاد زادت زكاته.

٣ ـ قال الإمام أحمد: إن لي إخوانًا ما ألقاهم في كل سنةٍ إلا مَرَّةً، أنا أوثقُ في مودتهم ممن ألقى كلَّ يوم.

٤ ـ مكث أبو عُبيد القاسم بن سَلَّام في تصنيف كتابه الغريب أربعين سنة.

٥ ـ ولد الشافعي في غزّة على قول.

٦ ـ قال الإمام أحمد: إذا سكتَّ أنت، وسكتُّ أنا، فمتى يَعرف الجاهلُ الصحيحَ من السقيم؟

٧ ـ قال بعض العقلاء: إن الرجل ليجفوني، فإذا ذكرتُ استغنائي عنه وجدتُ لجفائه بردًا على كبدي.

---

(١) كتاب (طبقات الحنابلة) لأبي الحسين، محمد بن أبي يعلى، أحد فقهاء الحنابلة. وأبو يعلى ـ والده ـ هو الفقيه المشهور عند الحنابلة، والذي يطلق عليه لقب: (القاضي). وهذا الكتاب عبارةٌ عن تراجم لفقهاء الحنابلة، وقد وضع له العلامة ابن رجب ذيلًا، كما سيأتي إن شاء الله.

٨ ـ قال بعضهم لسفيان: يا أبا عبد الله! حدثنا كما سمعت فقال: والله ما إليه سبيل.

٩ ـ تولى يحيى بن أكثم قضاء البصرة وله عشرون سنة.

١٠ ـ قال الإمام أحمد: إذا أراد الرجل أن يحج عن أبويه فليبدأ بالأم؛ إلا أن يكون الأب قد وجب عليه.

١١ ـ قال الإمام أحمد: أقامت أم صالح معي عشرين سنة، فما اختلفتُ أنا وهي في كلمة[١].

١٢ ـ عن أبي عبد الله أنه سُئل عن الرافضي هل يُسَلَّم عليه؟ قال: لا، ولا يرد عليه.

١٣ ـ قال الإمام أحمد: من قدَّم عليًّا على عثمان فقد طعن على الخلفاء الثلاثة وعلى أهل الشورى والمهاجرين والأنصار.

١٤ ـ قال البرقاني: قلت لأبى الحسين بن سمعون: أيها الشيخ: تدعو الناس إلى الزهد في الدنيا والتركِ لها، وتلبسُ أحسن الثياب، وتأكل أطيب الطعام؛ فكيف هذا؟ فقال: كُلُّ ما يصلحك لله فافعله، إذا صلح حالك مع الله بلبس لينِ الثياب، وأكلِ طَيِّب الطعام: فلا يضرك.

١٥ ـ القاضي أبو علي البرزيني: كان مبارك التعليم، لم يَدرس عليه أحدٌ إلا أفلح وصار فقيهًا.

---

(١) هذا محمول ـ والله أعلم ـ على احتمال كلِّ واحد من الزوجين الزوجَ الآخر. ومن ذلك قولُ أبي الدرداء رضي الله عنه لزوجته: إذا رأيتِني غضبتُ فرضِّني، وإذا رأيتكِ غضبَى رضيتُكِ، وإلا لم نصطحب.

فوائد من صيد الخاطر[١]

١ ـ راقب العواقب تَسلم، ولا تَمِلْ مع هوى الحسِّ فتَندمْ.

٢ ـ من تَفكَّر في عواقب الدُّنيا أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطَّريق تأهَّب للسَّفر.

٣ ـ ما أعجبَ أمرَك يا من يُوقِن بأمرٍ ثمَّ ينساه، ويتحقَّق ضرر حالٍ ثمَّ يغشاه، وتخشى النَّاس والله أحقُّ أن تخشاه.

٤ ـ أعجب العجائب: سرورك بغرورك، وسهوك في لهوك عمَّا قد خُبِّئَ لك، تغترُّ بصحَّتك، وتنسى دُنُوَّ السَّقم، وتفرح بعافيتك غافلًا عن قرب الألم، لقد أراك مصرعُ غيرك مَصْرَعَك، وأبدى مضجع سواك قبل الممات مضجعَك، وقد شَغلك نيلُ لذَّاتك عن ذِكر خرابِ ذاتِك.

٥ ـ من قارب الفتنة بعُدت عنه السلامة، ومن ادَّعى الصبر وُكِل إلى نفسه.

٦ ـ إلا رجال مؤمنون، بواطنهم كظواهرهم بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى، وهِمَمُهم عند الثريا بل أعلى، إن عُرفوا تنكروا، وإن رُئيت لهم كرامةٌ أنكروا، فالناس في غَفَلاتهم، وهُم في قَطع فلاتهم، تُحبهم بقاع الأرض، وتفرح بهم أملاك السماء.

٧ ـ العاقل من أعطى كلَّ لحظةٍ حقَّها من الواجب عليه، فإن بَغَتَهُ الموتُ رُئِي مستعدًّا، وإن نال الأمل؛ ازداد خيرًا.

٨ ـ احذر من نِفَار النِّعم، ومفاجأة النقم، ولا تَغترَّ بسَعة بِساط الحِلم.

٩ ـ إنني رجلٌ حُبِّبَ إليَّ العلمُ من زمن الطفولة، فتَشاغلتُ به، ثم لم

(١) كتاب (صيد الخاطر) لأبي الفرج ابن الجوزي، هو كتاب في الرقائق والآداب، اعتنى مؤلفه فيه ببيان الآفات التي تَعرض للمرء، وذكر علاجها، كل ذلك بأسلوب بديع وسهل غير متكلَّف.

يُحَبَّب إليَّ فنٌّ واحدٌ منه؛ بل فنونه كلُّها، ثم لا تقتصِرُ همتي في فنٍّ على بعضه، بل أَروم استقصاءه، والزمان لا يَسَعُ، والعمر أضيقُ، والشوقُ يَقوى، والعجز يَظهَر، فيبقى وقوفُ بعضِ المطلوباتِ حسراتٍ.

١٠ ـ من نزلتْ به بَليَّةٌ فأراد تَمْحِيْقَها فليتصورها أكبرَ مما هي؛ تَهُنْ، وَلْيَتخايل ثوابها، وَلْيَتوهم نزول أعظمَ منها؛ يَرَ الرِّبح في الاقتصار عليها، وَلْيَتلمَّح سرعة زوالها، فإنه لولا كَرْبُ الشدة ما رُجِيَتْ ساعاتُ الراحة، وَلْيَعلم أن مدَّة مقامها عنده كمدة مقام الضيف، فَلْيَتفقَّد حوائجه في كل لحظة، فيا سرعة انقضاء مقامه، ويا لذَّة مدائحِه وبِشْرِه في المحافل.

١١ ـ قالت الحكماء: مَن نَظَّف ثوبَه قَلَّ همُّه، ومن طاب رِيحُه زاد عقلُه.

١٢ ـ ولا يجوز لأحدٍ أن يحمل غيرَه على ما يطيقه هو.

١٣ ـ رُبَّ كلمةٍ جرى بها اللسان هلك بها الإنسان.

١٤ ـ كتمان الأمور في كلِّ حال فِعْلُ الحازم.

١٥ ـ فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يُتصور للآدميِّ صعود السماوات؛ لرأيتُ مِن أقبح النقائص رضاه بالأرض، ولو كانتِ النبوةُ تَحْصُل بالاجتهاد؛ رأيتُ المقصِّرَ في تحصيلها في حَضِيض.

١٦ ـ السيرة الجميلة عند الحكماء: خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل.

١٧ ـ وفي الجملة، لا يَترك فضيلةً يمكن تحصيلها إلا حَصلها؛ فإن القُنوع حالُ الأرذال.

١٨ ـ واعلم أنك في ميدان سباق، والأوقات تُنتَهَب، ولا تَخْلُد إلى كسل، فما فات من فات إلا بالكسل، ولا نال من نال إلا بالجدِّ والعزم، وإن الهمة لَتَغْلِي في القلوب غَليانَ ما في القدور.

١٩ ـ أعظم دليلٍ على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته.

٢٠ ـ وكم رمى فقرٌ في بواديه من هالك.

٢١ ـ رأيت الشَّرَهَ في تحصيلِ الأشياء يُفَوِّتُ على الشَّرِهِ مقصودَه.

٢٢ ـ ينبغي لمن له أَنَفَةٌ أن يَأنَف من التقصير الممكنِ دفعُه عن النفس.

٢٣ ـ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن العبدَ ليخلو بمعصية الله تعالى فيُلْقِي اللهُ بُغْضَه في قلوب المؤمنين من حيث لا يَشعر.

٢٤ ـ الشرع نهى عن الخوض فيما يثير غُبار شُبْهة، ولا تَقْوَى على قَطْع طريقه أقدامُ الفَهْم.

٢٥ ـ إنما البلاء على العارف ذي الهمة العالية الذي تدعوه همته إلى جميع الأضداد؛ للتزيُّد من مقام الكمال، وتَقْصُرُ خُطاه عن مَدارك مقصوده، فيا له من حالٍ يَنْفَدُ في طريقه زادُ الصابرين.

٢٦ ـ ابعُد عن أسباب الفتنة؛ فإن المقاربة محنةٌ لا يكاد صاحُبها يَسلم.

٢٧ ـ رأيتُ الخلق كلَّهم في صفِّ محاربة، والشياطين يرمونهم بِنَبْل الهوى، ويضربونهم بأسياف اللَّذَّة.

٢٨ ـ ما رأيتُ أعظم فتنةً من مقاربة الفتنة، وقَلَّ أن يُقاربها إلا من يَقع فيها، «وَمن حَامَ حول الحِمى يوشك أن يقع فيه».

٢٩ ـ من انحرف عن الجادَّة طالتْ طريقُه.

٣٠ ـ من أصلح سريرتَه فاح عبيرُ فَضْله، وعَبَقَتِ القلوبُ بِنَشْرِ طِيبه، فاللهَ اللهَ في السرائر، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر.

٣١ ـ العمل بالبدن سعيُ الآلات الظاهرة، والعِلم سعي الآلات الباطنة؛ من العقل والفكر والفهم، فلذلك كان أشرفَ.

٣٢ ـ قال سفيان الثوري: تعلَّموا هذا العلم، واكظِموا عليه، ولا تَخْلِطوه بهزل، فتَمُجَّهُ القلوب.

٣٣ ـ ما طالت طريقٌ أدَّت إلى صديق.

٣٤ ـ ما ابتُلي الإنسانُ قطُّ بأعظمَ من عُلو همته، فإن مَن عَلَتْ همته يَختار المعالي، وربما لا يساعده الزمانُ، وقد تَضعُف الآلةُ، فيبقى في عذاب، وإنِّي أُعطِيتُ من علوِّ الهمَّة طَرَفًا، فأنا به في عذاب. . .

٣٥ ـ كان أبو مسلم الخُراسانيُّ في حال شَبِيْبَتِهِ لا يكاد ينام، فقيل له في ذلك؟ فقال: ذِهنٌ صافٍ، وهَمٌّ بعيدٌ، ونفسٌ تتوق إلى معالي الأمور، مع عيشٍ كعيش الهَمَج الرَّعَاع.

٣٦ ـ إنما الرجل الحازم الذي لا يَتعدَّاه سِرُّه، ولا يُفْشِيه إلى أحد.

٣٧ ـ وسَتْرُ المصائب من جملة كِتمان السر؛ لأن إظهارها يَسُرُّ الشامتَ، ويُؤْلِمُ المحب.

٣٨ ـ فالحازم من عامل الناس بالظاهر، فلا يَضِيق صدرُه بسرِّه، فإنْ فارقته امرأةٌ أو صديقٌ أو خادمٌ = لم يَقدر أحدٌ منهم أن يقول فيه ما يكره.

٣٩ ـ من مال إلى النِّساء لم يَصْفُ له عَيش.

٤٠ ـ ما يكاد يُحِبُّ الاجتماع بالناس إلا فارغ؛ لأن المشغولَ القلبِ بالحقِّ يَفِرُّ من الخلق، ومتى تمكَّن فراغُ القلب من معرفة الحق؛ امتلأ بالخَلق، فصار يَعمل لهم، ومن أجلهم، ويَهْلِكُ بالرياء، ولا يعلم.

٤١ ـ كلُّ من لا يَتَلَمَّحُ العواقبَ، ولا يَستعدُّ لما يجوز وقوعه؛ فليس بكامل العقل.

٤٢ ـ العاقل من أخذ بالحزم في تصوير ما يجوز وقوعه، وعَمِلَ بمقتضى ذلك، فإن امتدَّ الأجلُ لم يَضُرَّه، وإن وقع المخوف كان محترزًا.

٤٣ ـ والقناعة بما يكفي، وترك التَّشوُّف إلى الفضول؛ أصل الأصول.

٤٤ ـ والعزُّ ألذُّ من كلِّ لذَّة، والخروج عن رِبْقةِ المنن ـ ولو بِسَفِّ التّراب ـ أفضلُ.

٤٥ ـ الجِدّ الجِدّ يا أقدام المبادرة! فقد لاح العَلَمُ.

٤٦ ـ بادر فإنك مبادَرٌ بك.

٤٧ ـ مما يزيل كَسَلَك: أن تَتَخايَل ثواب المجتهدين وقد فاتك، ويكفي ذلك في توبيخ المقصِّر إن كانتْ له نفسٌ، فأما الميُّتُ الهمَّةِ، فـ: (ما لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ).

٤٨ ـ كيف بك إذا قمتَ من قبرك، وقد قُرِّبَتْ نجائبُ النجاة لأقوام وتَعَثَّرْتَ، وأسرعتْ أقدام الصالحين على الصراط وتَخَبَّطْتَ؟! هيهات! ذهبتْ حلاوةُ البطالة، وبقيتْ مرارةُ الأسف، ونَضَب ماء كأس الكسل، وبقي رَسُوْبُ الندامة! وما قَدْرُ البقاء في الدنيا بالإضافة إلى دوام الآخرة؟! ثمَّ ما قَدْرُ عُمُرك في الدنيا، ونصفه نوم، وباقيه غفلة؟

٤٩ ـ فيا خاطبًا حور الجنة، وهو لا يَملك فَلْسًا من عزيمة! افتح عين الفِكر في ضوء العِبر؛ لعلك تُبْصِرُ مواقع خطابك! فإن رأيتَ تثبيطًا من الباطن فاستغث بعون اللُّطف، وتَنَبَّه في الأسحار لعلك تَتَلَمَّحُ رَكْبَ الأرباح! وتَعَلَّقْ على قطار المستغفرين ولو خُطوات، وانزل في رِبَاع المجتهدين ولو منزلًا أيَّ منزل.

٥٠ ـ وليس في الدنيا أبلهُ ممن يطلب النهايةَ في لذَّات الدنيا، وليس في الدنيا على الحقيقة لذَّةٌ، إنما هي راحةٌ من مؤلِم.

٥١ ـ فالعاقل من كانت عينُه مُراقِبةً للعواقب، محترزةً ممَّا يجوز وقوعه، عاملةً بالاحتياط، فهي في كلِّ حال حافظة للمال والسرِّ، غير واثقة بزوجةٍ ولا ولدٍ ولا صديقٍ، متأهبة للرحيل، متهيئة للنُّقْلَة.

٥٢ ـ ومن الصفوة: أقوامٌ مذ تيقَّظوا ما ناموا، ومذ سلكوا ما وقفوا، فَهَمُّهُم صعودٌ وَتَرَقٍّ، كلما عبروا مقامًا إلى مقام رأوا نقص ما كانوا فيه، فاستغفروا.

٥٣ ـ واعلم أن الطريق الموصلة إلى الحق سبحانه ليستْ مما يُقطَع بالإقدام، وإنما يُقطَع بالقلوب، والشهواتُ العاجلة قُطَّاع الطريق، والسبيلُ كالليل المدلهم؛ غير أنَّ عين الموفَّق بصر فَرَس؛ لأنه يرى في الظلمة كما يرى في الضوء، والصدق في الطَّلب منار، أين وُجِد يدل على الجادَّة.

٥٤ ـ هيهاتَ أن يَجتمع الهَمُّ مع التلبُّس بأمور الدنيا.

٥٥ ـ كيف يُفلح من يُؤثر ما يراه بعينه على ما يبصره بعقله، وما يُدركه ببصره أعزُّ عنده مما يراه ببصيرته.

٥٦ ـ ولا خير ـ واللهِ ـ في سَعةٍ من الدنيا ضيَّقَتْ طريقَ الآخرة.

٥٧ ـ واعجبًا من موجود لا يفهم معنى الوجود، فإن فَهِمَ لم يَعمل بمقتضى فهمه! يَعلم أن العمر قصير، وهو يُضَيِّعُه بالنوم والبطالة والحديث الفارغ وطلب اللذات، وإنما أيامه أيام عمل لا زمان فراغ.

٥٨ ـ عَلِّلِ النَّاقةَ بالحَدْوِ تَسِرْ.

٥٩ ـ واعلم أن الفضائل لا تُنال بالهوينا، وأنَّ يَسير التفريط يَشِين وجهَ المحاسن.

٦٠ ـ والدار دار سباقٍ إلى أعالي المعالي، فينبغي لذي الهمة ألا يُقَصِّر في شَوطِه، فإنْ سبق فهو المقصود، وإن كَبَا جوادُه مع اجتهاده لم يُلَمْ.

٦١ ـ ولذة البَطالة تَعْقُبُ عدمَ العِلم والعمل، فيزيد الأسى على اللذة أضعافًا.

٦٢ ـ فالله الله أن يغلبك هواك العاجلُ، ومتى هَمَّ الهوى بالتَّوَثُّب، فامنعه، وزن عاجله بآجله.

فوائد من مقدمة المجموع[١]

١ ـ قال الشافعي: ليس سرور يعدل صحبة الإخوان، ولا غم يعدل فراقهم.

---

(١) (المجموع) للنووي، هو كتاب في الفقه، على مذهب الشافعي، شَرَح فيه النووي كتاب المهذَّب للشيرازي. و(المجموع) كاسمه، حوى جملة كبيرة من المسائل الفقهية، وتَعَرَّض لبيان الوفاق والخلاف بين العلماء، وذَكر الأدلة الشرعية، وغيرَ ذلك، وقد قدم =

٢ ـ وقال: مَن بَرَّك فقد أوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك.

٣ ـ وقال: الكَيِّس العاقل هو الفطن المتغافل.

٤ ـ وقال: من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

٥ ـ قال النووي (١/ ٤٧): وإنما بدأتُ بهذا الحديث ـ أي حديث: إنما الأعمال بالنيات ـ تأسيًا بأئمتنا ومتقدمي أسلافنا من العلماء ﭫ، وقد ابتدأ به إمام أهل الحديث بلا مدافعة؛ أبو عبد الله البخاري في صحيحه، ونَقَل جماعةٌ أن السلف كانوا يستحبون افتتاح الكتب بهذا الحديث؛ تنبيهًا للطالب على تصحيح النية وإرادته وجهَ الله تعالى بجميع أعماله البارزة والخفية.

٦ ـ من أحسن المصنفات في مناقب الشافعي: تصنيف البيهقي.

٧ ـ يلتقي الشافعي مع النبي ﷺ في عبد مناف ولد هاشم.

٨ ـ انعقد الإجماع على تفضيل قريش على جميع قبائل العرب.

٩ ـ ولد الشافعي (١٥٠) = وقت وفاة أبي حنيفة، وتوفي: (٢٠٤).

١٠ ـ ذكر النووي أن الرسالة أول مصنف في الأصول.

١١ ـ اشتغل الشافعي بالعربية (٢٠) سنة.

١٢ ـ صَنف الشافعي في العراق كتابه القديم: الحُجَّة.

١٣ ـ قال النووي: حديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، معناه صحيح، وإن لم يكن ثابتًا، وهو مروي في مسند أبي يعلى الموصلي.

١٤ ـ قال النووي: لا يلزم الإنسان تعلم كيفية الوضوء والصلاة وشبههما إلا بعد وجوب ذلك الشيء، فإن كان بحيث لو صبر إلى دخول الوقت لم

= له بمقدمة ذَكر فيها نسب رسول الله ﷺ، ونسب الشافعي وشيئًا من سيرته، وشيئًا من سيرة الشيرازي، ثم أفاض في ذِكر مباحث في آداب طالب العلم وغير ذلك ـ وهي المستفاد منها هنا ـ، ثم انتقل إلى شَرْح الكتاب المشار إليه.

يتمكن من تمام تعلمها مع الفعل في الوقت فهل يلزمه التعلم قبل الوقت؟ تردد فيه الغزالي، والصحيح ما جزم به غيره: أنه يلزمه تقديم التعلم، كما يلزم السعي إلى الجمعة لمن بَعُد منزله قبل الوقت.

١٥ ـ أقسام العلم الشرعي ثلاثة:

أ ـ فرض عين، وهو: تعلم المكلف ما لا يَتَأَدَّى الواجبُ الذي تَعَيَّن عليه فِعْلُه إلا به.

ب ـ فرض كفاية، وهو: تحصيل ما لا بد للناس منه في إقامة دينهم من العلوم الشرعية، كحفظ القرآن والأحاديث وعلومهما والأصول والفقه والنحو واللغة والتصريف ومعرفة رواة الحديث والإجماع والخلاف.

وما ليس علمًا شرعيًّا ويُحتاج إليه في قوام الدنيا، كالطب والحساب: ففرض كفاية.

ت ـ نفل، وهو: التبحر في أصول الأدلة، والإمعان فيما وراء القَدْر الذي يحصل به فرض الكفاية، وكتعلم العامي نوافل العبادات لغرض العمل، لا ما يقوم به العلماء من تمييز الفرض من النفل، فإن ذلك فرض كفاية في حقهم.

١٦ ـ قال النووي: وطَرِيقُه في نفي الحسد: أن يعلم أن حكمة الله تعالى اقتضت جعل هذا الفضل في هذا الإنسان، فلا يعترض ولا يكره ما اقتضته الحكمة بذم الله؛ احترازًا من المعاصي.

وطَرِيقُه في نفي الرياء: أن يعلم أن الخلق لا ينفعونه ولا يضرونه حقيقةً، فلا يتشاغل بمراعاتهم، فيُتعب نفسه، ويُضِر دينه، ويُحبِط عمله، ويرتكب ما يجلب سخط الله تعالى، ويفوّت رضاه.

وطَرِيقُه في نفي الإعجاب: أن يعلم أن العلم فضل من الله تعالى ومنةٌ وعارية، فإن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فينبغي أن لا يُعجَب بشيء لم يخترعه، وليس مالكًا له، ولا على يقين من دوامه.

وطَرِيقُه في نفي الاحتقار: التأدب بما أدبنا الله تعالى، قال سبحانه:

﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، فربما كان هذا الذي يراه دونه أتقى لله تعالى وأطهرَ قلبًا وأخلصَ نية وأزكى عملًا، ثم إنه لا يَعلم ماذا يُختم له به؛ ففي الصحيح: «إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة...»، الحديث، نسأل الله العافية من كل داء.

١٧ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكني أصحابه إكرامًا لهم وتَسْنِيَةً لأمورهم.

١٨ ـ قال النووي متحدثًا عن آداب اللباس: ولا يعتني بفاخر الثياب، ولا يقتصر على خُلق يُنسب صاحبُه إلى قلة المروءة، ويحسن خُلقه مع جلسائه.

١٩ ـ العلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي[(١)].

٢٠ ـ سئل مالك عن مسألة فقال لا أدري فقيل: هي مسألة خفيفة سهلة، فغضب وقال: ليس في العلم شيء خفيف.

٢١ ـ قال النووي: قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: وينبغي أن يكون المفتي كالراوي؛ في أنه لا تؤثر فيه القرابة والعداوة، وجر النفع، ودفع الضر؛ لأنه في حكم من يخبر عن الشرع بما لا اختصاص له بشخص، فكان كالراوي لا كالشاهد، وفتواه لا يرتبط بها إلزام؛ بخلاف حكم القاضي.

٢٢ ـ قال النووي: هذه أصناف المفتين، وهي خمسة، وكل صنف منها يُشترط فيه حفظ المذهب وفقه النفس، فمن تصدى للفتيا وليس بهذه الصفة: فقد باء بأمر عظيم.

٢٣ ـ هل للمقلد أن يفتي بما هو مقلد فيه؟

قطع أبو عبد الله الحليمي وبعض العلماء بتحريمه، وقال القفال

(١) هكذا ذكره النووي نثرًا، وسيأتي ـ بمشيئة الله تعالى ـ على هيئة الشعر، وذلك في الفوائد من كتاب: حلية طالب العلم.

المروزي: يجوز. وقول من مَنَعَه معناه: لا يذكره على صورة من يقوله من عند نفسه؛ بل يُضِيفه إلى إمامه الذي قلده، نحو: مذهب الشافعي كذا وكذا.

٢٤ ـ الأصح في وجوب تجديد النظر فيمن أفتى في حادثة ثم حدثت مثلها.

كتجديد الطلب في التيمم، والاجتهاد في القبلة، وكذا العاميُّ إذا وقعت له مسألة فسأل عنها ثم وقعت له، فليلزمه السؤال ثانيًا؛ إلا أن تكون مسألة يكثر وقوعها ويشق عليه إعادة السؤال عنها.

٢٥ ـ إذا لم يجد صاحب الواقعة مفتيًا ولا أحدًا ينقل له حكم واقعته لا في بلده ولا في غيره = فهنا ينتفي التكليف عن العبد ولا يؤاخذ بأي شيء صنعه فيها.

٢٦ ـ قال الشافعي في الرسالة: وأَحتجُّ بمرسل كبار التابعين إذا أُسند من جهة أخرى، أو أَرسله من أخذ عن غير رجال الأول ممن يُقبل عنه العلم، أو وافق قول بعض الصحابة، أو أفتى أكثر العلماء بمقتضاه، قال: ولا أَقبل مرسل غير كبار التابعين، ولا مُرسلَهم إلا بالشرط الذي وصفته[١].

---

(١) ثم قال النووي بعد هذا: ولا فرق في هذا عنده بين مرسل سعيد بن المسيب وغيره هذا. ثم قال: اختلف أصحابنا المتقدمون في معنى قول الشافعي: إرسال ابن المسيب عندنا حَسَنٌ. على وجهين...، **أحدهما:** معناه أنها الحجة عنده، بخلاف غيرها من المراسيل...، **والوجه الثاني:** أنها ليست بحجة عنده؛ بل هي كغيرها...، قال الخطيب البغدادي في كتاب الفقيه والمتفقه: والصواب الوجه الثاني...، وذكر الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي نصَّ الشافعي كما قدمته، ثم قال: فالشافعي يَقبل مراسيل كبار التابعين إذا انضم إليها ما يؤكدها، فإن لم ينضم: لم يقبلها؛ سواء كان مرسل ابن المسيب أو غيره، قال وقد ذكرنا مراسيل لا بن المسيب لم يَقبلها الشافعي حين لم ينضم إليها ما يؤكدها، ومراسيل لغيره قال بها حيث انضم إليها ما يؤكدها، قال: وزيادة ابن المسيب في هذا على غيره أنه أصح التابعين إرسالًا فيما زعم الحفاظ. ثم قال النووي بعد ذلك: فهذا كلام الخطيب والبيهقي والخطيب...
إلخ ما نقله ريان رحمه الله في الفقرة التالية.

٢٧ ـ قال النووي: فهذا كلام البيهقي والخطيب، وهما إمامان حافظان فقيهان مضطلعان من الحديث والفقه والأصول والخبرة التامة بنصوص الشافعي ومعاني كلامه، ومحلهما من التحقيق والاتقان والنهاية في الفرقان بالغاية القصوى والدرجة العليا.

٢٨ ـ مسألة: المرسل إذا أُسند احتُجَّ وعُمِل به، وحينئذ فلا فائدة في المرسَل؟

فالجواب: أن بالمسنَد يتبين صحة المرسل، وأنه مما يحتج به، فيكون في المسألة حديثان صحيحان، حتى لو عارضهما حديث صحيح من طريق واحد وتعذر الجمع؛ قدمناهما عليه.

٢٩ ـ مسألة: مرسل الصحابي: الصواب: أنه يحتج به مطلقًا؛ لأن روايتهم عن غير الصحابي نادرة، وإذا رووها بينوها، فإذا أطلقوا ذلك فالظاهر أنه من الصحابة، والصحابة كلهم عدول.

٣٠ ـ قد شاع في ألسنة كثيرين من المشتغلين بمذهبنا[(١)]؛ بل أكثر أهل زماننا: أن الشافعي رحمه الله لا يحتج بالمرسل مطلقًا؛ إلا مرسل ابن المسيب، فإنه يحتج به مطلقًا، وهذان غلطان، فإنه لا يَرده مطلقًا، ولا يحتج بمرسل ابن المسيب مطلقًا.

٣١ ـ اختلف المحدثون وأصحاب الأصول في جواز اختصار الحديث في الرواية على مذاهب، أصحها: يجوز رواية بعضه إذا كان غير مرتبط بما حذفه، بحيث لا تختلف الدلالة ولا يتغير الحكم بذلك، ولم نرَ أحدًا منهم منع من ذلك في الاحتجاج في التصانيف، وقد أكثر من ذلك أبو عبد الله البخاري في صحيحه.

---

(١) يعني مذهب الشافعي.

٣٢ ـ قد أجمع نقلة العلم على جلالة أبي ثور وإمامته وبراعته في الحديث والفقه وحُسن مصنفاته فيهما مع الجلالة والإتقان.

٣٣ ـ مسألة: رواية عمرو بن شعيب عن أبيه محمد عن جده عبد الله عن النبي ﷺ هل هي حجه أم لا؟

ج ـ سبب الخلاف: أنه عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، فجده الأدنى: محمد، تابعيٌّ، والأعلى: عبد الله، صحابيٌّ، فإنْ أراد بجده: الأدنى، وهو محمد؛ فهو مرسل لا يُحتج به، وإن أراد: عبد الله؛ كان متصلًا واحتُج به، فإذا أُطلق ولم يُبيَّن فلا يُحتج به.

وعمرٌو وشعيبٌ ومحمدٌ ثقات، وثبت سماع شعيب من محمد ومن عبد الله، هذا هو الصواب الذي قاله المحققون.

وعلى الاحتجاج به البخاريُّ وأكثرُ المحدثين.

وقد سئل البخاري عنه؛ أيحتج به؟ فقال: رأيت أحمد بن حنبل وعلي بن المديني والحميدي وإسحاق بن راهويه يحتجون بعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ما تركه أحد من المسلمين.

وحكى الحسن بن سفيان عن إسحاق بن راهويه أنه قال: عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، كأيوب عن نافع عن ابن عمر. وهذا التشبيه نهايةُ الجلالة من مثل إسحاق رَحِمَهُ اللهُ.

فوائد من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية

١ ـ وهذا هو حقيقة دين الإسلام الذي أَرسل الله به رُسله، وأنزل به كتبه، وهو: أن يستسلم العبد لله لا غيره، فالمستسلم له ولغيره مشرك، والممتنع عن الاستسلام له مستكبر، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن الجنة لا يدخلها مَن في قلبه مثقال ذرة من كبر، كما أن النار لا يدخلها مَن

في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فجعل الكبر مقابلًا للإيمان، فإن الكبر ينافي حقيقة العبودية.

٢ ـ فجعل الله لأهل محبته علامتين: اتباع الرسول، والجهاد في سبيله.

وذلك لأن الجهاد حقيقتُه الاجتهاد في حصول ما يحبه الله؛ من الإيمان، والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله؛ من الكفر والفسوق والعصيان...

فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب، وهو موافقته في حب ما يحب، وبغض ما يبغض، والله يحب الإيمان والتقوى، ويبغض الكفر والفسوق والعصيان.

٣ ـ وهكذا حال من كان متعلقًا برئاسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رَضِيَ، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبدُ ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له؛ إذِ الرق والعبودية في الحقيقة هي رق القلب وعبوديته، فما استرق القلبَ واستعبده فالقلبُ عبدُه، ولهذا يقال:

العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع

ويقال: الطمع غل في العنق، قيد في الرِّجل، فإذا زال الغل من العنق زال القيد من الرِّجل.

ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: الطمع فقرٌ، واليأس غنى، وإن أحدكم إذا يئس من شيء استغنى عنه.

فالعبد لابد له من رزق، وهو محتاج إلى ذلك، فإذا طلب رزقه من الله صار عبدًا له، وإن طلبه من مخلوق صار عبدًا لذلك المخلوق فقيرًا إليه.

٤ ـ والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد، ولها أصلان:

أحدهما: ألا يعبد إلا الله.

الثاني: أن يُعبد بما أَمر وشَرع، لا بغير ذلك من الأهواء والظنون

والبدع، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾.

فالعمل الصالح هو الإحسان، وهو فعل الحسنات، والحسنات هي ما أحب الله ورسوله وما أمر به أَمْر إيجاب أو استحباب، فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في صحيح السنة فإنها ـ وإن قالها من قالها وعمل بها من عمل ـ ليست مشروعة؛ فإن الله لا يحبها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح، كما أن من يعمل ما لا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح.

٥ ـ فمن بنى الكلام في العلم ـ الأصولِ والفروعِ ـ على الكتاب والسنة والآثار المأثورة عن السابقين: فقد أصاب طريق النبوة.

٦ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه؛ بل هو على الكفاية، كما دل عليه القرآن.

٧ ـ لِيكنْ أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غيرَ منكر.

٨ ـ وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات فلابد أن تكون المصلحة راجحة على المفسدة؛ إذْ بهذا بُعثت الرسل، فإنْ كانت المفسدة أرجح: فلا يأمر ولا ينكر، وإن كان قد تُرك واجب، وفُعِل محرَّم.

٩ ـ قيل لابن مسعود: مَن ميتُ الأحياء؟ فقال: الذي لا يَعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا.

١٠ ـ قَلَّ أن تعوِز النصوص من يكون خبيرًا بها وبدلالتها على الأحكام.

١١ ـ متى كانت إرادةُ القلب وكراهتُه كاملةً تامة، وفَعَل العبد معها بحسب قدرته؛ فإنه يُعطى ثواب الفاعل الكامل.

١٢ ـ الهوى ـ وهو الحب والبغض الذي في النفس ـ لا يُلام العبد عليه، فإن ذلك لا يملكه، وإنما يُلام على اتباعه.

١٣ ـ اتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات.

١٤ ـ لابد من هذه الأمور الثلاثة: العلم وهو قبل الأمر والنهي، والرفق وهو مع الأمر والنهي، والصبر بعده.

١٥ ـ قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة.

١٦ ـ والشجاعة ليست هي قوة البدن، فقد يكون الرجل قويَّ البدن ضعيفَ القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته.

١٧ ـ الغاوي هو الذي يتبع هواه بغير علم، وهو خلاف الرُّشد، كما أن الضال هو الذي لا يَعلم مصلحته، وهو خلاف المهتدي.

فوائد من كتاب: أعلام الموقعين(١)

١ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾ فسألوه عن المُنْفَق فأجابهم بذكر المصرف؛ إذ هو أهم مما سألوا عنه.

(١) كتاب (أَعلام الموقعين عن رب العالمين) للعلامة أبي عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن القيم، أبرز تلامذة شيخ الإسلام، الشيخ تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. وهذا الكتاب وَجَّهَهُ العلامة ابن القيم إلى المفتين والقضاة ونحوهم، ولذلك قال في المقدمة: «. . . ولما كان التبليغُ عن الله سبحانه يعتمد العلمَ بما يبلغ والصدقَ فيه: لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق؛ فيكون عالمًا بما يبلِّغ، صادقًا فيه. ويكون مع ذلك حَسَن الطريقة، مرضيَّ السيرة، عدلًا في أقواله وأفعاله، متشابه السرِّ والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله. وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحلِّ الذي لا يُنكَر فضله، ولا يُجهَل قدرُه، وهو من أعلى المراتب السنيَّات، فكيف بمنصب التوقيع عن ربِّ الأرض والسماوات؟ فحقيق بمن أُقيم في هذا المنصب أن يُعِدَّ له عُدَّته، وأن يتأهَّب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه. ولا يكنْ في صدره حرجٌ من قول الحق والصدع به، فإن الله =

٢ ـ قال ابن القيم: وأكثر الناس نظرهم قاصر على الصور لا يتجاوزها إلى الحقائق، فهم محبوسون في سجن الألفاظ، مقيدون بقيود العبارات.

٣ ـ وأكثر الناس إنما هم أهل ظواهر في الكلام واللباس والأفعال، وأهل النقد منهم الذين يَعْبُرُون من الظاهر إلى حقيقته وباطنه لا يبلغون عشر معشار غيرهم ولا قريبًا من ذلك.

٤ ـ المراقبة أساس الأعمال القلبية وعمودها الذي قيامها به.

٥ ـ خصال المفتي كما ذكر الإمام أحمد:

(١) النية.

(٢) السكينة.

(٣) الكفاية.

(٤) الاضطلاع بالعلم.

(٥) معرفة الناس.

٦ ـ وقد نص الإمام أحمد على أن الرجل إذا شهد الجنازة فرأى فيها منكرًا لا يقدر على إزالته أنه لا يرجع، ونص على أنه إذا دُعي إلى وليمة عرس فرأى فيها منكرًا لا يقدر على إزالته أنه يرجع، فسألت شيخنا عن الفرق؟ فقال: لأن الحق في الجنازة للميت، فلا يترك حقه لما فعله الحي من المنكر، والحق في الوليمة لصاحب البيت، فإذا أتى فيها بالمنكر فقد أسقط حقه من الإجابة.

= ناصره وهاديه. كيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه ربُّ الأرباب، فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٧]. وكفى بما تولّاه الله بنفسه تعالى شرفًا وجلالةً، إذ يقول في كتابه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]. ولْيعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، ولْيوقن أنه مسؤول غدًا وموقوف بين يدي الله...».

فوائد من كتاب الفوائد(١)

١ ـ إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وأَلْقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله.

٢ ـ ومتى شهد العبد أن ناصيته ونواصي العباد كلّها بيد الله وحده يُصَرِّفُهم كيف يشاء: لم يَخفهم بعد ذلك، ولم يَرْجُهم، ولم يُنْزِلهم منزلة المالِكين؛ بل منزلة عَبِيدٍ مقهورين مربوبين، المتصرِّفُ فيهم سواهم، والمدبر لهم غيرُهم.

٣ ـ إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموتُ يقطعك عن الدنيا وأهلها.

٤ ـ يخرج العارف من الدنيا ولم يَقْضِ وَطَرَهُ من شيئين: بكاؤه على نفسه، وثناؤه على ربّه.

٥ ـ المخلوق إذا خِفته؛ استوحشت منه وهربت منه، والرب تعالى إذا خِفته أَنِستَ به وقَرُبْتَ إليه.

٦ ـ التقوى ثلاث مراتب:

إحداها: حِمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرّمات.

الثانية: حميتها عن المكروهات.

---

(١) كتاب (الفوائد) لابن القيم، المترجَم له قريبًا. وأما عن الكتاب، فقد جاء في مقدمة تحقيق عطاءات العلم ما نصه: «هذا كتابٌ من أروع ما وصل إلينا من مؤلفات الإمام ابن القيم رحمه الله، جَمَع فيه ألوانًا من الفوائد واللطائف والعِبَر والمواعظ والنكت والدقائق والملاحظات والأفكار في فنون مختلفة، ولم يُرتِّبه على الموضوعات والأبواب، ويبدو أنه خصَّص كُنّاشًا أو دفترًا لتسجيل هذه الخواطر والفوائد المتفرقة، وأدرج فيه ما استَحسن منها في فترات مختلفة من حياته...».

الثالثة: الحمية عن الفضول وما لا يعني.

فالأولى تعطي العبد حياته، والثانية تفيده صحته وقوته، والثالثة تُكْسِبه سروره وفرحه وبهجته.

٧ ـ طوبى لمن أنصف ربه؛ فأقر له بالجهل في علمه، والآفات في عمله، والعيوب في نفسه، والتفريط في حقّه، والظلم في معاملته، فإنْ آخذه بذنوبه رأى عدله، وإن لم يؤاخذه بها رأى فضله.

وإن عمل حسنة رآها من منته وصدقته عليه، فإن قبلها فمِنَّةٌ وصدقة ثانية، وإن ردها فلكون مثلها لا يصلح أن يُواجه به.

وإن عمل سيئة رآها من تخلّيه عنه، وخذلانه له، وإمساك عصمته عنه، وذلك من عدله فيه، فيرى في ذلك فقره إلى ربّه.

ونكتة المسألة: أنه لا يرى ربه إلا محسنًا، ولا يرى نفسه إلا مسيئًا أو مفرِّطًا أو مقصِّرًا.

٨ ـ أرض الفطرة رحبة قابلة لما يُغرس فيها؛ فإن غُرست شجرةُ الإيمان والتقوى أَورثتْ حلاوةَ الأبد، وإن غُرست شجرةُ الجهل والهوى فكلُّ الثمر مرٌّ.

٩ ـ ليس العجبُ من مملوك يتذلل لله ويَتعبَّد له، ولا يَملُّ من خدمته، مع حاجته وفقره إليه، إنما العجبُ: من مالك يَتحبَّبُ إلى مملوكه بصنوف إنعامه، ويتودد إليه بأنواع إحسانه، مع غناه عنه.

١٠ ـ ما زال آدم يكتب بدم الندم سطور الحزن في القصص، ويرسلها مع أنفاس الأسف، حتى جاءه توقيعُ: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

١١ ـ تالله ما نفعه عند معصيته عِزٌّ: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾، **ولا شَرَفُ:** ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾، ولا خصيصةُ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ولا فخرُ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، وإنما انتفع بذل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا...﴾.

١٢ ـ نجائب النجاة مهيأة للمراد، وأقدام المطرود موثوقةٌ بالقيود.

هَبّتْ عواصفُ الأقدار في بيداء الأكوان، فتقلَّب الوجود، ونَجَمَ الخيرُ، فلما ركدت الريح إذا أبو طالب غريقٌ في لجّة الهلاك، وسلمانُ على ساحل السلامة، والوليد بن المغيرة يَقدُم قومَه في التِّيْهِ، وصهيب قد قدم بقافلة الروم، والنجاشي في أرض الحبشة يقول: لبيك اللهم لبيك، وبلال ينادي: الصلاة خير من النوم، وأبو جهل في رقدة المخالفة.

١٣ ـ اشترِ نفسَك، فالسوقُ قائمةٌ، والثمنُ موجودٌ.

١٤ ـ نور العقل يضيء في ليل الهوى، فتلوح جادّة الصواب، فيتلمَّحُ البصير في ذلك النور عواقبَ الأمور.

١٥ ـ من لم يباشر حَرَّ الهجير في طِلَاب المجد؛ لم يَقِلْ في ظِلال الشرف.

١٦ ـ متى همَّت أقدام العزم بالسلوك؛ اندفع من بين أيديها سدُّ القواطع.

١٧ ـ تزخرفت الشهوات لأعين الطِّبَاع، فغَضَّ عنها الذين يؤمنون بالغيب، ووقع تابعوها في بيداء الحسرات، فـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾.

١٨ ـ لما عرف الموفقون قدر الحياة الدُّنيا وقِلة المقام فيها؛ أماتوا فيها الهوى؛ طلبًا لحياة الأبد.

لـمَّا استيقظوا من نوم الغفلة؛ استرجعوا بالجد ما انتهبهُ العدوُّ منهم في زمن البَطالة، فلمَّا طالت عليهم الطريق تلمّحُوا المقصد، فقرب عليهم البعيد، وكلما أمرَّتْ لهم الحياةُ حلا لهم تذكُّر: ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾.

١٩ ـ من أعجب الأشياء: أن تعرفه ثم لا تُحبَّه، وأن تسمع داعيَه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق أَلَمَ الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته، وأن تذوق عُصرةَ القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث

عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه!

وأعجبُ من هذا: علمك أنك لا بد لك منه، وأنك أحوج شيء إليه، وأنت عنه معرض، وفيما يُبعدك عنه راغب.

٢٠ ـ لما رأى المتيقظون سطوةَ الدنيا بأهلها، وخداعَ الأمل لأربابه، وتَمَلُّكَ الشيطان قيادَ النفوس، ورأوا الدولة للنفس الأمارة؛ لجأوا إلى حصن التضرع والالتجاء؛ كما يأوي العبد المذعور إلى حَرَم سيده.

٢١ ـ إذا اجتمع عليه ـ أي: الدعاء ـ قلْبُه، وصدقت ضرورته وفاقته، وقوي رجاؤه؛ فلا يكاد يُرد دعاؤه.

٢٢ ـ فإذا رأيت دولةَ هذه الأمور قد أقبلتْ، وراياتها قد نُصبت، وجيوشها قد رَكبت؛ فبَطْنُ الأرض ـ والله ـ خيرٌ من ظهرها، وقُلَلُ الجبال خيرٌ من السهول، ومخالطة الوحش أسلم من مخالطة الناس.

اقشعرت الأرض، وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفَجَرَة، وذهبت البركات، وقَلَّتِ الخيرات، وهزلتِ الوحوش، وتكدرتِ الحياة مِن فسق الظلمة، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة.

وهذا ـ والله ـ منذرٌ بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومُؤْذِنٌ بليلِ بلاءٍ قد ادلَهَمَّ ظلامه؛ فاعزلوا عن طريق هذا السيل؛ بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنةً وبابها مفتوح!

وكأنكم بالباب وقد أغلق، وبالرهن وقد غَلِق، وبالجَناح وقد عَلِقَ، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾.

٢٣ ـ إذا حَملتَ على القلب هموم الدنيا وأثقالها، وتهاونتَ بأوراده التي هي قوته وحياته؛ كنتَ كالمسافر الذي يُحَمِّل دابته فوق طاقتها، ولا يوفِيها علفها؛ فما أسرع ما تقف به.

٢٤ ـ من تلمح حلاوة العافية هان عليه مرارة الصَّبر.

٢٥ ـ إذا طَلَع نجمُ الهمة في ظلام ليل البَطالة، وردِفه قمرُ العزيمة؛ أشرقتْ أرضُ القلوب بنور ربها.

٢٦ ـ سفر الليل لا يُطِيقه إلا مُضَمَّر المجاعة.

٢٧ ـ لا تسأم من الوقوف على الباب ولو طُردتَ، ولا تقطع الاعتذار ولو رُددتَ.

٢٨ ـ الدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها، فكيف تَعدو خلفها.

٢٩ ـ الاجتماع بالإخوان قسمان:

أحدهما: اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت. فهذا مضرته أرجح من منفعته، وأقلُّ ما فيه: أنه يفسد القلب، ويضيِّع الوقت.

الثاني: الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر. فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها، ولكن فيه ثلاث آفات:

إحداها: تزين بعضهم لبعض.

الثانية: الكلام والخلطة أكثر من الحاجة.

الثالثة: أن يصير ذلك شهوةً وعادة ينقطع بها عن المقصود.

٣٠ ـ لابد أن تجذبك الجواذب، فاعرفها وكُنْ منها على حذر، ولا تضرَّك الشواغل إذا خَلَوْتَ منها وأنت فيها.

٣١ ـ والعبد ـ لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه ـ: لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه، وبين ما ذُخِرَ له؛ بل هو مولعٌ بحب العاجل، وإن كان دَنِيًّا، وبقلة الرغبة في الآجل، وإن كان عَلِيًّا.

٣٢ ـ دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: باب شبهة أورثت شكًّا في دين الله تعالى، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضبٍ أورثت العدوان على خلقه.

٣٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾، عَلَّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هدايةً أعظمُهم جهادًا، وأفرض الجهاد جهادُ النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله؛ هداه الله سُبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطَّل من الجهاد.

٣٤ ـ كم جاء الثواب يسعى إليك، فوقف بالباب، فَرَدَّه بوَّابُ: سوفَ، ولعلَّ، وعسى.

٣٥ ـ كيف الفلاح بين إيمان ناقص، وأمل زائد، ومرض لا طبيب له ولا عائد، وهوى مستيقظ، وعقل راقد؛ ساهيًا في غَمرته، عَمِهًا في سكرته، سابحًا في لُجَّة جهله، مستوحشًا من ربه، مستأنسًا بخلقه، ذِكر الناسِ فاكهتُه وقُوْتُه، وذِكر اللهِ حبسُه وموتُه! لله منه جزء يسير من ظاهره، وقلبه ويقينه لغيره.

٣٦ ـ العبد لا يريد بمعصيته مخالفة سيده، ولا الجرأة على محارمه، ولكنْ غلباتُ الطبع، وتزيين النفس والشيطان، وقهر الهوى والثقة بالعفو ورجاءُ المغفرة.

هذا من جانب العبد، وأما من جانب الربوبية فجريان الحكم، وإظهار عزِّ الربوبية وذل العبودية وكمال الاحتياج، وظهور آثار الأسماء الحسنى؛ كالعفو والغفور والتواب والحليم لمن جاء تائبًا نادمًا، والمنتقم والعدل وذي البطش الشديد لمن أصرَّ ولزم المعرَّة.

٣٧ ـ لا يُكرم العبد نفسه بمثل إهانتها، ولا يُعزها بمثل ذُلها، ولا يريحها بمثل تعبها، ولا يُشبعها بمثل جوعها، ولا يُؤمنها بمثل خوفها، ولا يُؤنسها بمثل وَحشتها مِن كل ما سوى فاطرِها وبارئها، ولا يُحييها بمثل إماتتها.

٣٨ ـ زوبعة الهوى إذا ثارتْ سَفَتْ في عين البصيرة، فخَفِيَتِ الجادَّةُ.

٣٩ ـ ليس العجب من فقير مسكين يُحب محسنًا إليه، إنما العجب من محسن يحب فقيرًا مسكينًا.

٤٠ ـ لو صَحَّتْ محبتُك لاستوحشتَ ممن لا يُذَكِّرُكَ بالحبيب.

٤١ ـ إذا سافر المحبُّ للقاء محبوبه ركبتْ جنودُه معه، فكان الحبُّ في مقدِّمة العسكر، والرجاءُ يَحدو بالـمَطِي، والشوقُ يسوقها، والخوفُ يَجمعُها على الطريق، فإذا شارف قدومَ بلدِ الوصل؛ خرجتْ تَقادِمُ الحبيبِ للقاء.

٤٢ ـ اعرف قدرَ ما ضاع منك، وابكِ بكاءَ من يدري مقدار الفائت.

٤٣ ـ لو استنشقتَ ريحَ الأسحار؛ لأفاقَ منك قلبُك المخمورُ.

٤٤ ـ من استطال الطريق ضَعُفَ مَشْيُه.

٤٥ ـ تَذكَّر حلاوةَ الوصال؛ يَهُنْ عليك مُرُّ المجاهدة.

٤٦ ـ للهِ ما أحلى زمانًا تسعى فيه أقدامُ الطاعة على أرض الاشتياق.

٤٧ ـ إذا أصبح العبد وأمسى وليس همُّه إلا اللهَ وحدَه؛ تَحَمَّل اللهُ سبحانه حوائجه كلها، وحَمَل عنه كل ما أهمَّه، وفَرَّغ قلبَه لمحبته، ولسانَه لذكره، وجوارحَه لطاعته.

وإن أصبح وأمسى والدنيا همُّه؛ حَمَّلَه اللهُ همومَها وغمومَها وأنكادَها، ووَكَلَه إلى نفسه، فشَغل قلبَه عن محبته بمحبة الخَلق، ولسانَه عن ذكره بذكرهم، وجوارحَه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره، كالكير ينفُخ بطنَه ويَعصر أضالعَه في نفع غيره.

فكل من أَعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلِيَ بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته.

٤٨ ـ مراتب الناس في الشكوى ثلاثة: **أخسُّها**: أن تشكو الله إلى خلقه، **وأعلاها**: أن تشكو نفسك إليه. **والثالث**: أن تشكو خلقه إليه.

٤٩ ـ فعامةُ مصالح النفوس في مكروهاتها، كما أن عامة مضارها وأسباب هَلَكَتِها في محبوباتها.

٥٠ ـ الرضى جنةُ الدنيا، ومُستراح العارفين.

٥١ ـ لا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

نظرٌ في الدنيا وسرعةِ زوالها وفنائها واضمحلالِها ونقصِها وخِسَّتِها، وأَلَمِ المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغُصَصِ والنَّغَصِ والأنكاد، وآخِرُ ذلك الزوالُ والانقطاعُ، مع ما يُعْقِبُ من الحسرة والأسف؛ فطالبها لا ينفك من هَمٍّ قبل حصولها، وهَمٍّ في حال الظفر بها، وغَمٍّ وحزنٍ بعد فواتها. فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني في الآخرة، وإقبالِها ومجيئها ولا بُدَّ، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات.

فهي خيراتٌ كاملةٌ دائمة، وهذه خيالاتٌ ناقصةٌ منقطعة مضمحلة.

٥٢ ـ إذا غُذِي القلبُ بالتذكُّر، وسُقيَ بالتفكّر، ونُقّيَ من الدَّغل؛ رأى العجائبَ، وأُلْهِمَ الحكمة.

٥٣ ـ ليس كل من تَحَلَّى بالمعرفة والحكمة وانتحلها كان من أهلها؛ بل أهل المعرفة والحكمة الذين أحيوا قلوبهم بقتل الهوى، وأمَّا من قتل قلبه فأحيا الهوى، فالمعرفة والحكمة عاريَّةٌ على لسانه.

٥٤ ـ خراب القلب من الأمن والغفلة، وعِمارتُه من الخشية والذكر.

٥٥ ـ الشوق إلى الله ولقائه نسيم يَهُبُّ على القلب يُرَوِّح عنه وَهَج الدنيا.

٥٦ ـ إياك والغفلةَ عمن جَعل لحياتك أجلًا، ولأيّامِك وأنفاسك أمدًا.

٥٧ ـ من شُغِلَ بنفسه شُغِل عن غيره، ومن شُغِلَ بربه شُغِل عن نفسه.

٥٨ ـ إنما يُقطَع السفرُ ويَصِلُ المسافرُ: بلزوم الجادّة، وسير الليل، فإذا حادَ المسافر عن الطريق، ونام الليل كله؛ فمتى يصل إلى مقصده؟!

٥٩ ـ إنما يَجِدُ المشقةَ في ترك المألوفات والعوائد مَن تركها لغير الله، فأما من تركها صادقًا مخلصًا من قلبه لله؛ فإنه لا يَجد في تركها مشقةً إلا في

أول وهْلَة؛ ليمتحن؛ أصادقٌ هو في تركها أم كاذب؟ فإن صبر على تلك المشقة قليلًا استحالتْ لذةً.

٦٠ ـ كتبوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسألونه عن هذه المسألة: أيُّهما أفضل: رجل لم تَخطُر له الشهوات ولم تَمُرَّ بباله، أو رجل نازعته إليها نفسُه فتركها لله؟ فكتب عمر: إن الذي تشتهي نفسه المعاصي ويتركها لله عز وجل من ﴿ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾.

٦١ ـ الله سبحانه يحب أن تُعرف سبيلُ أعدائه؛ لتجتنبَ وتُبْغَض، كما يحب أن تُعرف سبيلُ أوليائه؛ لتُحَبَّ وتُسلك.

٦٢ ـ أعظم الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب، وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل.

٦٣ ـ فهي واللهِ أيامك الخالية، التي تجمع فيها الزادَ لمعادك، إما إلى الجنة وإما إلى النار: فإن اتخذت منها سبيلًا إلى ربك بلغتَ السعادة العظمى والفوز الأكبر في هذه المدة اليسيرة التي لا نسبة لها إلى الأبد، وإن آثرتَ الشهوات والراحات واللهو واللعب انقضتْ عنك بسرعة، وأعقبتكَ الألم العظيم الدائم الذي مقاساته ومعاناته أشق وأصعب وأدوم من معاناة الصبر عن محارم الله والصبر على طاعته ومخالفة الهوى لأجله.

٦٤ ـ القلب المعلَّق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع.

٦٥ ـ والعاقل الكَيِّسُ دائمًا ينظر إلى الغايات مِن وراء ستور مبادئها، فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة. . .، ولكن هذا يَحتاج إلى فَضْلِ علم تُدرَك به الغايات من مبادئها، وقوةِ صبر يُوطِّن به نفسه على تَحَمُّل مشقة الطريق لما يؤمِّل عند الغاية، فإذا فَقد اليقين والصبرَ تعذر عليه ذلك، وإذا قوي يقينُه وصبرُه هان عليه كل مشقة يتحملها في طلب الخير الدائم واللذة الدائمة.

٦٦ ـ فاعلم أن العبد إنما يَقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهِمته؛ لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلب؛ لا تقوى الجوارح...

٦٧ ـ فالكَيِّسُ يَقطع من المسافة ـ بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل ـ أضعافَ أضعافِ ما يقطعه الفارغ من ذلك، مع التعب الكثير، والسفر المشق، فإن العزيمة والمحبة تُذهِب المشقةَ، وتُطيِّبُ السيرَ، والتقدمُ والسبقُ إلى الله سبحانه إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة، فيتقدم صاحبُ الهمة ـ مع سكونه ـ صاحبَ العمل الكثير بمراحل، فإن ساواه في همته تقدم عليه بعمله.

٦٨ ـ مدار الشأن على همة العبد ونيته، وهما مطلوبُه وطريقُه، ولا يتم له إلا بترك ثلاثة أشياء:

(١) العوائد والرسوم والأوضاع التي أحدثها الناس.

(٢) هجر العوائق التي تعوقه عن إفراد مطلوبه وطريقه وقطعها.

(٣) قطع علائق القلب التي تحول بينه وبين تجريد التعلق بالمطلوب.

والفرق بينهما: أن العوائق هي الحوادث الخارجية، والعلائق هي التعلُّقات القلبية بالمباحات ونحوها.

وأصل ذلك: ترك الفضول التي تَشْغَلُ عن المقصود؛ من الطعام والشراب والمنام والخلطة.

٦٩ ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه: لو تعلمون مني ما أعلم من نفسي لَحَثَوْتُمْ على رأسي التراب.

٧٠ ـ وقال: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بِلَيْلِه إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

٧١ ـ وقال: ما دمتَ في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يَقرعْ بابَ الملك يُفتحْ له.

٧٢ ـ وقال: إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها.

٧٣ ـ وقال: ما على وجه الأرض شيءٌ أحوجُ إلى طول سَجْنٍ من لسان.

٧٤ ـ وأما العلائق فهي كل ما تعلق به القلب دون الله ورسوله؛ من مَلاذِّ الدنيا وشهواتها ورئاستها وصحبة الناس والتعلُّقِ بهم.

٧٥ ـ من أراد عُلُوَّ بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به؛ فإن عُلُوَّ البنيان على قَدْر توثيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بنيان، وأساسها الإيمان...، وهذا الأساس أمران:

صحة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته.

والثاني: تجريد الانقياد له ولرسوله دون ما سواه.

فهذا أوثق أساس أَسَّس العبدُ عليه بنيانَه، وبحسبه يعتلي البناء ما شاء.

فأَحْكِم الأساس، واحفظ القوة، ودُمْ على الحمية، واستفرغ إذا زاد بك الخلط، والقصدَ القصدَ وقد بلغتَ المراد، وإلا فما دامتِ القوةُ ضعيفةً، والمادةُ الفاسدة موجودةً، والاستفراغُ معدومًا:

فاقْرَ السلامَ على الحياة فإنها ... قد آذنَتْكَ بسرعة التوديعِ

٧٦ ـ **أركان الكفر أربعة**: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة. فالكبر: يمنعه الانقيادَ، والحسد: يمنعه قبولَ النصيحة وبذلَها، والغضب: يمنعه العدلَ، والشهوة: تمنعه التفرغَ للعبادة.

وزوال الجبال عن أماكنها أيسرُ من زوال هذه الأربعة عمن بُلِيَ بها، ولا سيما إذا صارتْ هيئاتٍ راسخةً ومَلَكَاتٍ وصفاتٍ ثابتةً.

٧٧ ـ الجهل بالطريق وآفاتها والمقصود: يوجِب التعب الكثير، مع الفائدة القليلة.

٧٨ ـ **قاعدة:** مبدأُ كلِّ علم نظريٍّ، وعملٍ اختياريٍّ: هو الخواطر والأفكار، فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرةُ تكراره تعطي العادة.

فصلاح هذه المراتب: بصلاح الخواطر والأفكار، وفسادها بفسادها.

فصلاح الخواطر: بأن تكون مراقِبَةً لوليها وإلهها، صاعدةً إليه، دائرةً على مرضاته ومحابه.

٧٩ ـ **فأنفع الدواء:** أن تَشْغَل نفسَك بالفكر فيما يَعنيك، دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يَعني بابُ كلِّ شر، ومَن فكر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه.

فالفكر والخواطر والإرادة والهمة أحقُّ شيء بإصلاحه من نفسك؛ فإن هذه خاصتك وحقيقتك التي تبتعد بها أو تقرب من إلهك ومعبودك الذي لا سعادة لك إلا في قربه ورضاه عنك، وكل الشقاء في بعدك عنه وسخطه عليك.

ومن كان في خواطره ومجالات فكره دنيًّا خسيسًا لم يكن في سائر أمره إلا كذلك.

٨٠ ـ **وجِمَاعُ إصلاح ذلك:** أن تَشغل فكرك في باب العلوم والتصورات بمعرفة ما يلزمك؛ من التوحيد وحقوقه، وفي الموت وما بعده إلى دخول الجنة والنار، وفي آفات الأعمال وطرق التحرز منها.

٨١ ـ العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا، فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكنْ يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم، فتَرْكُ الدنيا فضيلةٌ، وترك الذنوب فريضة، فكيف يُؤمَرُ بالفضيلة من لم يُقِم الفريضة؟!

٨٢ ـ قال شقيق بن إبراهيم: أُغلِق بابُ التوفيق عن الخلق من ستة أشياء: اشتغالهم بالنعمة عن شكرها، ورغبتهم في العلم وتركهم العمل، والمسارعة إلى الذنب وتأخير التوبة، والاغترار بصحبة الصالحين وترك

الاقتداء بِفِعَالهم، وإدبار الدنيا عنهم وهم يَتبعونها، وإقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها.

٨٣ ـ النفوس الشريفة لا تَرضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبةً، والنفوس الدنيئة تحومُ حول الدناءات، وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار.

٨٤ ـ سئل سهل التستري: الرجل يأكل في اليوم أكلةً؟ قال: أكلُ الصدِّيقين. قيل له: فأكلتين؟ قال: أكلُ المؤمنين. قيل له: فثلاث أكلات؟ فقال: قُل لأهله يبنوا له مِعْلَفًا.

٨٥ ـ إذا أراد الله بعبده خيرًا ورشدًا أَشْهَدَه أن ما هو فيه نعمةٌ من نعمه عليه وَرَضَّاه به وأوزعه شكرَه عليه، فإذا حدثته نفسه بالانتقال عنه استخار ربه استخارةَ جاهلٍ بمصلحته عاجزٍ عنها مُفَوِّضٍ إلى الله طالبٍ منه حُسْنَ اختياره له.

٨٦ ـ **مِن أَعَزِّ أنواع المعرفة:** معرفة الرب سبحانه بالجمال، وهي معرفة خواص الخَلق.

٨٧ ـ ولو فَرَضْتَ الخَلق كلهم على أجملهم صورةً، وكلهم على تلك الصورة، ونسبتَ جمالهم الظاهر والباطن إلى جمال الرب سبحانه؛ لكان أقلَّ من نسبة سراج ضعيف إلى قُرص الشمس.

٨٨ ـ ويكفي في جماله أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته؛ فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال؟!

٨٩ ـ ليس للعبد شيءٌ أنفعُ من صدقه ربَّه في جميع أموره مع صدق العزيمة؛ فيَصدُقه في عزمه وفي فِعله.

فصدق العزيمة جَمْعُها وجَزْمُها وعدمُ التردد فيها...، فإذا صَدَقَتْ عزيمتُه بقيَ عليه صدق الفعل، وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه، وأن لا يتخلف عنه بشيء من ظاهره وباطنه.

٩٠ ـ ومَن صَدَق الله في جميع أموره صَنَعَ الله له فوق ما يصنع لغيره.

٩١ ـ من وقار الله أن يستحيي مِن اطلاعه على سِرِّه وضميره، فيرى فيه ما يكره.

٩٢ ـ فمن لم يورثه التعميرُ وطولُ البقاء إصلاحَ معايبه وتداركَ فارطه واغتنامَ بقيَّة أنفاسه، فيعمل على حياة قلبه، وحصول النعيم المقيم، وإلا فلا خير له في حياته، فإن العبد على جَناح سفر؛ إما إلى الجنة، وإما إلى النار، فإذا طال عُمره وحَسُن عملُه: كان طولُ سفره زيادةً له في حصول النعيم واللذة، فإنه كلما طال السفر إليها كانت الصبابة أجل وأفضل، وإذا طال عُمره وساء عمله: كان طولُ سفره زيادةً في ألمه وعذابه ونزولًا له إلى أسفل، فالمسافر إما صاعد وإما نازل.

٩٣ ـ طالبُ النفوذ إلى الله والدار الاخرة ـ بل وإلى كل عِلم وصناعة ورئاسة بحيث يكون رأسًا في ذلك مقتدًى به فيه ـ يحتاج أن يكون شجاعًا مِقدامًا، حاكمًا على وهمه، غيرَ مقهور تحت سلطانِ تَخَيُّلِه، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه والطرق القواطع عنه، مِقدام الهمة، ثابتَ الجأش، لا يَثنِيه عن مطلوبه لومُ لائم، ولا عذل عاذل، كثير السكون، دائم الفكر، غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفزه المعارضات، شعاره الصبر، وراحته التعب، مُحبًّا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته، لا يخالط الناس إلا على حذر، كالطائر الذي يلتقط الحَب بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه، غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا، ولا مُسَرِّحًا خواطره في مراتب الكون.

ومِلاك ذلك: هجر العوائد، وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب.

٩٤ ـ أفضل الذِّكر وأنفعه: ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده.

٩٥ ـ أنفع الناس لك رجلٌ مكَّنك من نفسه حتى تزرع فيه خيرًا أو تصنع

إليه معروفًا، فإنه نِعم العونُ لك على منفعتك وكمالك، فانتفاعك به في الحقيقة مثلُ انتفاعه بك أو أكثر.

٩٦ ـ التوحيد ألطفُ شيءٍ وأنزهه وأنظفه وأصفاه، فأدنى شيءٍ يَخدِشُه ويُدنِّسه ويُؤثر فيه.

٩٧ ـ ترك الشهوات لله وإن أنجى من عذاب الله وأوجب الفوز برحمته؛ فذخائر الله وكنوز البر ولذة الأُنس والشوق إليه والفرح والابتهاج به لا تحصل في قلبٍ فيه غيره وإن كان من أهل العبادة والزهد والعلم، فإن الله سبحانه أبى أن يَجعل ذخائره في قلبٍ فيه سواه، وهمتُه متعلقةٌ بغيره.

٩٨ ـ **الإنابة هي:** عكوف القلب على الله ﷻ، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه.

٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾، جمع في هذا الدعاء بين: حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدَّة حاجته هو وفقره، ومتى وَجد المبتلى هذا كُشِفتْ عنه بلواه.

١٠٠ ـ العبد دائمًا متقلبٌ بين أحكام الأوامر، وأحكام النوازل، فهو محتاج ـ بل مضطرٌّ ـ إلى العون عند الأوامر، وإلى اللطف عند النوازل، وعلى قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل، فإنْ كَمَّل القيامَ بالأوامر ظاهرًا وباطنًا: ناله اللطف ظاهرًا وباطنًا، وإن قام بصورها دون حقائقها وبواطنها: ناله اللطف في الظاهر، وقَلَّ نصيبه من اللطف في الباطن.

فإن قلت: وما اللطف الباطن؟ فهو ما يَحصل للقلب عند النوازل من السكينة والطمأنينة وزوال القلق والاضطراب والجزع، فَيسْتَخْذِي بين يدي سيده ذليلًا له مستكينًا ناظرًا إليه بقلبه ساكنًا إليه بروحه وسِره، وقد شَغله مشاهدةُ لُطفه به عن شِدة ما هو فيه من الألم، وقد غَيَّبه عن شهود ذلك معرفتُه

بحُسن اختيارِه له، وأنه عبدٌ محضٌ يُجرِي عليه سيدُه أحكامَه؛ رَضِيَ أو سَخِطَ، فإن رَضِيَ نالَ الرضى، وإن سَخِطَ فحظه السخط.

١٠١ ـ وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبده.

وأجمعوا أن التوفيق أن لا يَكِلَكَ الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يُخْلِيَ بينك وبين نفسك.

فإذا كان كل خيرٍ فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد؛ فمفتاحه الدعاءُ والافتقار وصدق اللَّجَأ والرغبة والرهبة إليه؛ فمتى أَعطَى العبدَ هذا المفتاحَ فقد أراد أن يفتح له، ومتى أَضله عن المفتاح بقيَ بابُ الخير مُرْتَجًا دونه.

وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقُه سبحانه وإعانتُه، فالمعونة من الله تَنزِل على العباد على قدر هِمَمهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان يَنزِل عليهم على حسب ذلك.

فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين، يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به، وهو العليم الحكيم، وما أُتِيَ من أُتِيَ إلا من قِبَل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظَفِر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء.

ومِلَاكُ ذلك: الصبر؛ فإنه من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطِع الرأس فلا بقاءَ للجسد.

فوائد من كتاب: الرسالة التبوكية[1]

١ ـ قال طلق بن حبيب: إذا وقعتِ الفتنةُ فادفعوها بالتقوى، قالوا:

---

(١) كتاب (الرسالة التبوكية) لابن القيم، المترجَم له قريبًا. والكتاب كاسمه، فهو رسالة وجهها العلامة ابن القيم وهو في تبوك إلى أحد أصحابه، وهي رسالة مَلأى بالرقائق والإيمانيات، كما هي عادة ابن القيم في مؤلفاته، رحمه الله.

وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله. قال ابن القيم: وهذه من أحسن ما قيل في حَد التقوى.

٢ ـ التقوى من باب دفع الضرر، والبِرُّ من باب تحصيل النفع، فالتقوى كالحمية، والبِرُّ كالعافية والصحة.

٣ ـ إذا علم العبد أن الذي يَفِرُّ منه ويستعيذ منه إنما هو بمشيئة الله وقدرته وخلقه؛ لم يَبْقَ في قلبه خوفٌ من غير الله.

٤ ـ الهجرة إلى الله: تتضمن هجرانَ ما يَكرهه، وإتيانَ ما يحبه ويرضاه، وأصلها الحب والبغض.

٥ ـ قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، هذا منهج معروف في كلام العرب، إذا أقسموا على نفي شيء صدّروا جملة القسم بأداة نفي.

٦ ـ **والهجرة الثانية:** هجرة بالقلب إلى الله ورسوله، وهي الأصل، وهجرةُ الجسد تابعةٌ لها، وهي هجرة تتضمن «من» و«إلى»:

فيُهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته، ومن عبودية غيره إلى عبوديته، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه، ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له إلى دعاء ربه وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له. وهذا هو بعينه معنى الفرار إليه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

٧ ـ **والذي يُقضى منه العجبُ:** أن المرءَ يوسِّع الكلام ويفرِّع المسائل في الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وفي الهجرة التي انقطعتْ بالفتح، وهذه هجرة عارضةٌ ربما لا تتعلق به في العُمر أصلًا، وأما هذه الهجرة التي هي واجبة على مدى الأنفاس فإنه لا يُحصِّل فيها علمًا ولا إرادة، وما ذاك إلا للإعراض عما خُلق له، والاشتغال بما لا يُنجيه وحده، وهذه حال من غَشِيَتْ بصيرتُه، وضَعُفَتْ معرفتُه بمراتب العلوم والأعمال.

٨ ـ وأما الهجرة إلى الرسول ﷺ فَمَعْلَمٌ لم يبقَ منه سوى رسمه، ومنهجٌ لم تترك منه بُنَيَّات الطريق سوى اسمه، ومحجَّة سَفَتْ عليها السَّوافي فطمست رسومها، وأغارت عليها الأعادي فَغَوَّرتْ مناهلها وعيونها، فسالكها غريب بين العباد، فريد بين كل حيٍّ وناد، بعيدٌ على قرب المكان، وحيدٌ على كثرة الجيران، مستوحشٌ مما به يستأنسون، مستأنس مما به يستوحشون، مقيمٌ إذا ظعنوا، ظاعنٌ إذا قطنوا، منفردٌ في طريق طلبه، لا يَقَرُّ قراره حتى يظفر بأربه، فهو الكائن معهم بجسده، البائن منهم بمقصده، نامت في طلب الهدى أعينهم وما ليلُ مَطِيِّه بنائم، وقعدوا عن الهجرة النبوية وهو في طلبها مشمِّرٌ قائم، يَعيبونه بمخالفة آرائهم، ويُزْرُون عليه إزراءً على جهالاتهم وأهوائهم؛ قد رجموا فيه الظنون، وأَذْكَوا عليه العيون، وتربَّصوا به ريب المنون.

والمقصود أن هذه الهجرة النبوية شأنها شديد، وطريقها على غير المشتاق وَعِيرٌ بعيد.

بعيد على كسلانَ أو ذي ملالةٍ ... وأمَّا على المشتاق فهو قريبُ

٩ ـ **فَحَدُّ هذه الهجرة:** سفرُ الفكر في كل مسألة من مسائل الإيمان، ونازلةٍ من نوازل القلوب، وحادثةٍ من حوادث الأحكام، إلى معدِن الهدى ومنبع النور المتلقَّى من فم الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾، فكل مسألة طلعت عليها شمس رسالته وإلا فاقذف بها في بحار الظلمات، وكل شاهد عدَّلَهُ هذا المزكِّي وإلا فَعُدَّه من أهل الريب والتهمات.

١٠ ـ فللهِ ما أشفاها من موعظة، وما أبلغها من نصيحة، لو صادفت من القلوب حياة، فإن هذه الآيات وأمثالَها ممَّا تُذكِّر قلوب السائرين إلى الله، وأما أهل البطالة الثكلة فليس عندهم من ذلك خبر.

١١ ـ فإن قلتَ: فقد أشرتَ إلى سفرٍ عظيم وأمرٍ جسيم، فما زادُ هذا السفر وما طريقُه وما مركبُه؟

قلتُ: زاده العلم الموروث عن خاتم الأنبياء ﷺ، ولا زاد له سواه؛ فمن لم يُحَصِّل هذا الزاد فلا يَخرج من بيته، وَلْيقعد مع الخالفين، فرفقاء التخلف البطالون أكثر مِن أنْ يُحْصَوا، فله أسوةٌ بهم، ولن ينفعه هذا التأسي يوم الحسرة شيئًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

وأما طريقه: فهو بذل الجهد، واستفراغ الوسع، فلن يُنال بالمنى، ولا يُدرك بالهُوَيْنا، وإنما كما قيل:

فخُضْ غَمراتِ الموتِ وَاسْمُ إلى العُلَا ... لكي تُدركَ العِزَّ الرفيعَ الدعائمِ
فلا خيرَ في نَفْسٍ تَخافُ من الردى ... ولا هِمَّةٍ تَصبُو إلى لومِ لائمِ

ولا سبيل إلى ركوب هذا الظهر إلا بأمرين:

أحدهما: أن لا يصبو في الحق إلى لومة لائم.

والثاني: أن تَهون عليه نفسُه في الله؛ فيُقْدِم حينئذٍ ولا يَخاف الأهوال، فمتى خافتِ النفسُ تأخرتْ وأحجمتْ وأخلدتْ إلى الأرض.

ولا يَتِمُّ له هذان الأمران إلا بالصبر، فمن صبر قليلًا صارت تلك الأهوالُ ريحًا رخاءً في حقه تحمله بنفسها إلى مطلوبه، فبينما هو يخاف منها، إذ صارت أعظم أعوانه وخَدَمه، وهذا أمرٌ لا يعرفه إلا من دخل فيه.

وأما مركبه: فصدقُ اللَّجأ إلى الله، والانقطاع إليه بكلِّيته، وتحقيق الافتقار إليه من كل وجه، والضراعة إليه، وصدق التوكل عليه، والاستعانة به، والانطراح بين يديه، كالإناء المثلوم المكسور الفارغ الذي لا شيء فيه، يتطلع إلى قَيِّمِه ووليه أن يَجبُرَه، ويَلُمَّ شَعَثَه، ويُمِدَّه من فضله ويستره، فهذا الذي يُرجى له أن يَتولى الله هدايته، وأن يَكشف له ما خفي على غيره من طريق هذه الهجرة ومنازلها.

ورأس الأمر وعموده في ذلك: دوام التفكر وتدبُّر آيات القرآن، بحيث

يستولي على الفكر، ويَشغل القلب، فإذا صارت معاني القرآن مكانَ الخواطر من قلبه وهي الغالبةُ عليه، بحيث يصير إليها مَفزعُه ومَلجؤه، تَمكَّن حينئذٍ الإيمانُ من قلبه، وجَلس على كرسيِّه، وصار له التصرف، وصار هو الآمر المطاع أمره؛ فحينئذ يستقيم له سَيرُه، ويتَّضح له الطريق.

١٢ ـ فما على العبد أضرُّ من عُشَرائه وأبناء جنسه، فإن نظره قاصر، وهمَّتُه واقفةٌ عند التشبه بهم ومباهاتهم والسلوكِ أَيَّةً سلكوا، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لأحبَّ أن يَدخل معهم.

فمتى تَرَقَّتْ همته من صحبتهم إلى صحبة مَن أشباحُهم مفقودة، ومحاسنهم وآثارهم الجميلة في العالم مشهودة؛ استحدث بذلك همَّة أخرى وعملًا آخر، وصار بين الناس غريبًا، وإن كان فيهم مشهورًا ونسيبًا، ولكنَّه غريبٌ محبوبٌ يرى ما الناس فيه، وهم لا يرون ما هو فيه، يقيم لهم المعاذير ما استطاع، وينصحهم بجهده وطاقته، سائرًا فيهم بعينين:

عين ناظرة إلى الأمر والنهي، بها يأمرهم وينهاهم، ويواليهم ويعاديهم، ويؤدِّي إليهم الحقوق، ويستوفيها عليهم.

وعين ناظرة إلى القضاء والقدر، بها يرحمهم ويدعو لهم ويستغفر لهم، ويلتمس لهم وجوه المعاذير فيما، لا يُخِلُّ بأمرٍ ولا يعود بنقض شرعٍ، واقفًا عند قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾.

١٣ ـ من الأخلاق التي أدَّب الله بها رسوله: أن تكون النفس قويةً غالبةً قاهرةً لدواعي البطالة والغيِّ والهوى، فإن هذه أعداءُ الكمال، فإن لم تَقْوَ النفس على قهرها، وإلا لم تزلْ مغلوبةً مقهورةً.

١٤ ـ وأوَّل الأمر وآخره: إنما هو معاملةُ الله وحده، والانقطاع إليه بكلِّيَّة القلب، ودوام الافتقار إليه، فلو وفَّى العبد هذا المقام حقَّه لرأى العجب العجيب من فضل ربه وبرِّه ولطفه ودفاعه عنه، والإقبال بقلوب عباده إليه، وإسكان الرحمة والمحبة له في قلوبهم.

١٥ ـ وقد كان يُغْنِي من كثير من هذا التطويل ثلاثُ كلمات، كان يكتب بها بعض السلف إلى بعض، فلو نقشها العبد في لوحِ قلبِه يقرؤها على عدد الأنفاس؛ لكان ذلك بعضَ ما يستحقه، وهي:

من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن عمل لآخرته كفاه الله مؤونة دنياه.

وهذه الكلمات برهانها وجودُها، ولِمِّيَّتُها إنِّيَّتُها، والتوفيق بيد الله.

فوائد من كتاب: طريق الهجرتين(١)

١ ـ فأكمل الخلق أكملهم عبودية، وأعظمهم شهودًا لفقره وحاجته وضرورته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفةَ عينٍ.

٢ ـ قول الله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾، عَلَّق الفقر إليه باسم «الله»؛ لِيُؤْذِنَ بنوعي الفقر: فقر إلى ربوبيته، وفقر إلى ألوهيته.

٣ ـ وعليك بالمطالب العالية، والمراتب السامية، التي لا تُنال إلا بطاعة الله، فإن الله ﷻ قضى أن لا يُنال ما عنده إلا بطاعته، ومن كان لله كما يريد كان الله له فوق ما يريد، فمن أَقبل إليه تَلَقَّاه من بعيد، ومن تصرَّف

(١) اسم الكتاب كاملًا (طريق الهجرتين وباب السعادتين)، لابن القيم الذي سبقت ترجمته. والكتاب موضوعٌ لبيانِ قواعدِ السلوك والسير إلى الله، على الطريقة التي شرعها الله ورسوله ﷺ، وقد أوضح العلامة ابن القيم مرادَه بالهجرتين، فقال في مقدمة الكتاب: «فله ـ أي القلب ـ في كلِّ وقتٍ هجرتان: هجرةٌ إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللَّجأ والافتقار في كلِّ نَفَس إليه. وهجرةٌ إلى رسوله في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقةً لشرعه الذي هو تفصيلُ محابِّ الله ومرضاته، ولا يَقبل الله من أحد دينًا سواه...».

بحوله وقوته أَلانَ له الحديد، ومن تَرك لأجله أعطاه فوق المزيد، ومن أراد مراده الديني أراد ما يريد.

ثم اسْمُ بِسِرِّك إلى المطلب الأعلى، واقصُرْ حبَّك وتَقَرُّبَك على من سبق فضلُه وإحسانُه إليك كل سبب منك؛ بل هو الذي جاد عليك بالأسباب، وهيأها لك، وصَرَف عنك موانعها، وأوصلك بها إلى غايتك المحمودة، فتَوَكَّلْ عليه وحده، وعامِلْه وحده، وآثِرْ مرضاتَه وحده، واجعل حُبه ومرضاتَه هو كعبةَ قلبك التي لا تزال طائفًا بها، مستلمًا لأركانها، واقفًا بمُلتزمها، فيا فوزك ويا سعادتك إن اطلع سبحانه على ذلك من قلبك، ماذا يفيض عليك من ملابس نِعمه، وخِلَعِ أفضاله.

٤ ـ فمن جَلَّى اللهُ سبحانه صدأً بصيرته، وكَمَّل فطرته، وأوقفه على مبادئ الأمور وغاياتها ومناطها ومصادرها ومواردها؛ أصبح كالمفلس حقًّا من علومه وأعماله وأحواله وأذواقه، يقول: أستغفر الله من عِلمي ومن عَملي؛ أيْ: مِن انتسابي إليهما، وغَيبتي بهما عن فضل من ذكَرني بهما، وابتدأني بإعطائهما، من غير تَقَدُّم سبب مني يوجِب ذلك، فهو لا يشهد غير فضل مولاه، وسَبْقِ مِنته ودوامِها.

٥ ـ وكيف يَدَّعي مع الله حالًا أو ملكةً أو مقامًا من قلبه وإراداتُه وحركاتُه الظاهرة والباطنة بيد ربه ومليكه؟ لا يَملك هو منها شيئًا، وإنما هي بيد مقلب القلوب ومصرفها كيف شاء، فالإيمان بهذا والتحقق به نظام التوحيد، فمتى انحلَّ من القلب انحلَّ نظامُ التوحيد.

فسبحان من لا يُوصَل إليه إلا به، ولا يُطاع إلا بمشيئته، ولا يُنال ما عنده من كرامته إلا بطاعته، ولا سبيل إلى طاعته إلا بتوفيقه ومعونته، فعاد الأمر كله إليه، كما ابتدأ الأمر كله منه، فهو الأول والآخر، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾.

٦ ـ الأحكام ثلاثة، كلُّ واحدٍ منها له حق على العبد:

(١) حكم شرعي ديني، فهذا حقه: أن يُتلقَّى بالمسالمة والتسليم وترك

المنازعة؛ بل الانقياد المحض، وألا تكون له شهوة تنازع مراد الله من تنفيذ حكمه، كما لم تكن له شبهة تعارض إيمانه به وإقراره.

(٢) الحكم الكوني القدري الذي للعبد فيه كسب واختيار وإرادة، فهذا حقه: أن ينازَع ويُدافَع بكل ممكن ولا يُسالَم البتة؛ بل ينازَع بالحكم الكوني أيضًا، فينازِع حكمَ الحق بالحق للحق.

(٣) وهو الحكم القدري الكوني الذي يجري على العبد بغير اختياره، ولا طاقة له بدفعه، ولا حيلة له في منازعته، فهذا حقه: أن يُتلقَّى بالاستسلام والمسالمة وترك المخاصمة، وأن يكون فيه كالميت بين يدي الغاسل، وكمن انكسر به المركب في لُجَّة البحر، وعجز عن السباحة، وعن سبب يدنيه من النجاة؛ فهھنا يحسن الاستسلام والمسالمة، وأن يشهد عِزة الحاكم سبحانه في حكمه، وعَدْلَه في قضائه، وحِكمته في جَرَيانه عليه، وأنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الكتاب الأول سبق بذلك قبل برء الخليقة، فقد جف القلم بما يلقاه كل عبد، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

ويشهد أن القدر ما أصابه إلا لحكمة اقتضاها اسم الحكيم جَلَّ جَلَالُهُ وصفة الحكمة، وأن القدر قد أصاب مَواقِعَه وحَلَّ في المحلِّ الذي ينبغي أن يَحِلَّ فيه؛ إذ هو موجَب الحكمة البالغة والعِلم المحيط والعِزة التامة، لم يخطئ مواقعَ الحكمة، ولم يتعدَّ منازله التي ينبغي له أن ينزل بها، وأن ذلك أوجبه عدل الله وحكمته وعزته وعلمه وملكه العادل، فهو موجَب أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ويشفيه في هذا المقام أربع آيات:

(١) قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾.

٧ ـ فمن شَهِدَ مشهدَ عُلُوِّ الله على خلقه، وفوقيته لعباده، وتَعَبَّد بمقتضى هذه الصفة، بحيث يصير لقلبه صَمَدٌ يعرج القلبُ إليه مناجيًا له، مُطرِقًا واقفًا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كَلِمَهُ وعَمَلَه صاعد إليه، معروض عليه بين خاصته وأوليائه، فيستحيي أن يصعد إليه من كَلِمِه وعَمَلِه ما يُخزيه ويفضحه هناك.

٨ ـ فلا تستعجزْ نفسَك عن البلوغ إلى هذا المقام، فبينك وبينه صِدق الطلب، فإنما هي عَزمةٌ صادقة، ونَهضةُ حُرٍّ لنفسه، عنده قَدْرٌ وقيمةٌ، يغار عليها أن يَبيعها بالدون.

فمن طلب الله بصدق وَجَدَهُ، ومن وجده أغناه وجودُه عن كلِّ شيء.

٩ ـ الاستغناء بالله هو عين الفقر إليه.

١٠ ـ فإن حاجته ـ أي: العبدِ ـ إلى الله في كلِّ طرفة عينٍ أن يَحفظ عليه حالَه، ويُثبِّت قلبَه، ويُرَقِّيَه في مقامات العبودية، ويصرف عنه ما يُفسدها عليه، ويُعَرِّفَه منازل الطريق ومكامنَها وآفاتِها، ويُعَرِّفَه مواقعَ رضاه ليفعلها ويَعزم عليها، ومواقعَ سخطه ليعزم على تركها ويجتنبها.

١١ ـ فآفتُك من نفسك، وبلاؤك منك، وأنتَ في الحقيقة الذي بالغتَ في عداوتك، وبلغتَ من معاداة نفسك ما لا يبلغ العدوُّ منك.

ومن العجب: أن هذا شأنك مع نفسك، وأنت تشكو المحسنَ البريء عن الشكاية، وتتهم أقداره وتعاتبها وتلومها! فقد ضيَّعتَ فرصتك، وفرَّطتَ في حظك، وعجز رأيك عن معرفة أسباب سعادتك وإرادتها، ثم قعدت تعاتب القَدَر بلسان الحال والقال! فأنت المعنيُّ بقول القائل:

وعاجزُ الرأي مِضْياعٌ لفُرصَتِه   حتى إذا فاتَ أمرٌ عاتَبَ القَدَرَا

١٢ ـ قال سهل التستري: لا طريق إلى الله أقرب من دوام الافتقار إليه.

١٣ ـ فهكذا الخواطر الإيمانية الرحمانية، هي أصل الخير كلِّه، فإن أرض القلب متى بُذِر فيها خواطرُ الإيمان والخشية والمحبة والإنابة والتصديق بالوعد ورجاء الثواب، وسُقِيَت مَرَّة بعد مرَّة، وتعاهدها صاحبُها بحفظها ومراعاتها والقيام عليها = أثمرتْ له كلَّ فعل جميل، وملأت قلبه من الخيرات، واستعملت جوارحه في الطاعات، واستقرَّ بها الملك في سلطانه، واستقامتْ له رعيَّته.

١٤ ـ صدق التأهُّبِ للقاء الله ﷻ، وهذا من أنفع ما لِلعبد وأبلغِه في حصول استقامته، فإنَّ مَن استعدَّ للقاء الله: انقطع قلبه عن الدنيا ومطالبها، وخمدتْ من نفسه نيرانُ الشهوات، وأَخْبَتَ قلبُه إلى ربّه تعالى، وعكفَتْ هِمَّتُه على الله وعلى محبته وإيثار مرضاته.

١٥ ـ تَعلُّق العبد بما سوى الله مضرةٌ عليه، إذا أخذ منه القدر الزائد على حاجته المعِينة له على عبودية الله، ومحبته، وتفريغ قلبه له.

١٦ ـ الله يحب الجود والبذل والعطاء والإحسان أعظمَ مما تحب أنت الأخذَ والانتفاعَ بما سألته، فإذا حبسه عنك فاعلم أنك أنت الواقف في طريق مصالحك، وأنت المعوق لوصول فضله إليك، وأنت حجر في طريق نفسك.

١٧ ـ قال عطاء بن أبي رباح: كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما، فجاءه رجل، فقال: يا ابن عباس، أرأيت من صدني عن الهدى، وأوردني دار الضلالة والردى، ألا تراه قد ظلمني؟ فقال: إن كان الهدى شيئًا كان لك عنده فمنعكه فقد ظلمك، وإن كان الهدى هو له يؤتيه من يشاء فلم يظلمك، قُمْ فلا تجالسْني.

١٨ ـ كل ما قضاه الله وأمر به = خير من جهة إضافته إليه سبحانه، وجهة الشر منه من جهة إضافته إلى العبد.

وتحقيق ذلك أن الشر ليس هو إلا الذنوب وعقوبتها، وذلك أن سبب الذنب: الظلم والجهل، وهما من نفس العبد، كما أن سبب الخير العلم والحكمة والغنى، وهي أمور ذاتيَّة لله تعالى.

١٩ ـ ليس من مَنع فضلَه ظالمًا.

٢٠ ـ القدرة إذا لم تكن معها حكمة، بل كان القادر يفعل ما يريده بلا نظر في العاقبة ولا حكمة محمودة يطلبها بإرادته ويقصدها بفعله؛ كان فِعله فسادًا.

٢١ ـ قوله ﷺ: «وملء ما شئت من شيءٍ بعد»، يحتمل أمرين:

(١) أن يملأ ما يخلقه الله بعد السماوات والأرض، والمعنى: لك الحمد ملء ما خلقتَه وملء ما تخلقه بعد ذلك.

(٢) أن يكون المعنى: ملء ما شئتَ من شيء يملؤه حمدك؛ أي: يقدَّر مملوءًا بحمدك، وإن لم يكن موجودًا.

٢٢ ـ اختلف الناس في معنى كون حمده يملأ السماوات والأرض وما بينهما، فقالت طائفة: هذا على جهة التمثيل؛ أي: لو كان أجسامًا لملأ السماوات والأرض وما بينهما، قالوا: فإن الحمد من قَبيل المعاني والأعراض التي لا تُملأ بها الأجسام، ولا تُملأ الأجسام إلا بالأجسام.

والصواب: أنه لا يُحتاج إلى هذا التكلف البارد، فإن ملء كل شيء يكون بحسب المالئ والمملوء، فإذا قيل: امتلأ الإناء ماء، وامتلأت الجفنة طعامًا، فهذا الامتلاء نوع. وإذا قيل: امتلأت الدار رجالًا، وامتلأت المدينة خيلًا ورجالًا، فهذا نوع آخر. وإذا قيل: امتلأ الكتاب سطورًا، فهذا نوع آخر.

وإذا قيل: امتلأت مسامع الناس حمدًا أو ذمًّا لفلان، فهذا نوع آخر، كما في أثر معروف: أهل الجنة مَن امتلأت مسامعه من ثناء الناس عليه، وأهل النار مَن امتلأت مسامعه من ذم الناس له. وقال عمر بن الخطاب في عبد الله بن مسعود: كُنَيفٌ مُلِئ علمًا. ويقال: فلان علمه قد ملأ الدنيا،

وكان يقال: ملأ ابن أبي الدنيا الدنيا علمًا. ويقال: صِيت فلان قد ملأ الدنيا فطبق الآفاق، وحُبُّه قد ملأ القلوب، وبغض فلان قد ملأ القلوب، وامتلأ قلبه رعبًا. فهذا نوعٌ آخر.

٢٣ ـ المتعين على من لم يباشر قلبُه حلاوةَ خطاب القرآن: أن يعالج قلبه بالتقوى، وأن يستفرغ منه المواد الفاسدة منه.

٢٤ ـ الشر ليس إلى الله بوجه من الوجوه؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه، وإن كان في مفعولاته فهو خيرٌ بإضافته إليه، وشرٌّ بإضافته إلى من صدر عنه ووقع به.

٢٥ ـ خص المقوين بالذكر في قوله: ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين؛ تنبيهًا لعباده ـ والله أعلم بمراده من كلامه ـ على أنهم كلهم مسافرون، وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا مقيمين ولا مستوطنين، وأنهم عابرو سبيل وأبناء سفر.

٢٦ ـ حمد الله وحكمته يقتضي أن لا يودع نعمه وإحسانه وكنوزه في محل غير قابل لها.

٢٧ ـ تنويع أسباب الحمد أمر مطلوب للرب محبوب له، فكلما تنوعت أسباب الحمد تنوع الحمد بتنوعها، وكثر بكثرتها.

٢٨ ـ الله تعالى محمود على كل ما خَلقه وأَمر به حمدين: حمد شكر وعبودية، وحمد ثناء ومدح، ويجمعهما التَّبَارُك، فتبارك الله يشمل ذلك كله، ولهذا ذكر هذه الكلمة عقيب قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٢٩ ـ لما كان سبحانه يحب أسماءه وصفاته؛ كان أحب خلقه إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها.

٣٠ ـ ولا طريق إلى الله أقرب من دوام الافتقار إليه.

٣١ ـ ومن غلظ حجابه وكثفت طباعه لا ينفعه التصريح؛ فضلًا عن ضرب الأمثال.

٣٢ ـ قاعدة في ذكر طريق قريب موصل إلى الاستقامة في الأحوال والأقوال والأعمال، وهي شيئان:

(١) حراسة الخواطر وحفظها، والحذر كل الحذر من إهمالها والاسترسال معها.

(٢) صدق التأهب للقاء الله ﷻ، وهذا من أنفع ما للعبد وأبلغه في حصول استقامته.

٣٣ ـ وليعلم العبد أن الوحشة التي تعتريه في سَيره إلى الله لا تدوم؛ بل هي من عوارض الطريق، فسوف تبدو له الخيام، وسوف يَخرج إليه المتلقون يهنئونه بالسلام والوصول إليهم.

فيا قرة عينه إذ ذاك، ويا فرحته إذ يقول: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾. ولا يستوحش مما يجده من كثافة الطبع، ودرن النفس، وبطء سيرها.

٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾، ولم يقل: منها؛ إشعارًا بأن رِيَّهم بالعَين نفسها خالصة، لا بها وبغيرها.

٣٥ ـ نكتة مسألة: الاصطفاء والولاية لا ينافي كون المرء ظالمًا لنفسه: أن الولاية مراتب تقبل التجزي والانقسام والكمال والنقصان، كما هو ثابت باتفاق السلف في أصل الإيمان.

٣٦ ـ النقص في الزهد من أحد ثلاثة أمور:

الأول: زهده فيما ينفعه من الدنيا.

الثاني: أن يكون زهده مشوبًا إما بنوع عجز أو ملالة وسآمة.

الثالث: أن يشهد زهده ويلحظه، ولا يفنى عنه بما زهد لأجله.

٣٧ ـ قال أبو الدرداء: إذا نام العبد المؤمن عرج بروحه حتى تسجد تحت العرش، فإن كان طاهرًا أُذن لها بالسجود، وإن كان جنبًا لم يُؤْذن لها.

وهذا ـ والله أعلم ـ هو السر الذي لأجله أمر النبي ﷺ الجنب إذا أراد النوم أن يتوضأ.

٣٨ ـ طريق قريب موصل إلى الله = العلم والتبصر بأسماء الله والقيام بالعبودية الخاصة التي تقتضيها كل صفة بخصوصها.

٣٩ ـ بعض العارفين يرى أن عيب المخلوقات وتنقيصها بمنزلة العيب لصانعها وخالقها.

٤٠ ـ قال ابن أبي الورد: آفة الخلق في حرفين: اشتغال بنافلة وتضييع فريضة، وعمل جوارح بلا مواطأة القلب. وإنما مُنعوا الوصول بتضييع الأصول.

٤١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾، دليل على أن الهداية والتوكل متلازمان.

٤٢ ـ منع الأسباب أن تكون أسبابًا قدحٌ في العقل والشرع، وإثباتها والوقوف معها وقطع النظر عن مسببها قدحٌ في التوحيد والتوكل.

٤٣ ـ التوكل على الله نوعان: توكل عليه في تحصيل العبد من الرزق والعافية، والثاني: توكل عليه في حصول مرضاته.

٤٤ ـ السكون إلى ما سبق من القسمة في أسباب المعيشة حق، ولكنَّ الكمال أن يكون ساكنًا إلى ما سبق مع قيامه بالسبب.

٤٥ ـ لطيفة يجب التنبه لها، وهي: أن المحبة المجردة لا توجب ترك المعصية؛ ما لم تقترن بإجلال المحبوب وتعظيمه، فإذا قارنها الإجلال والتعظيم أوجبت هذا الحياء والطاعة، وإلا فالمحبة الخالية عنهما إنما توجِب نوعَ أُنس وانبساط وتَذكُّر واشتياق. وهذا من أفضل مواهب الله لعبده.

٤٦ ـ القلب لا يزال مُشَتَّتًا مضيعًا حتى يرحل من الدنيا وينزل في الآخرة وهو في الدنيا.

٤٧ ـ الوقوع في الذنب يستدعي ذنبًا آخر.

٤٨ ـ ذكر المصنف أسبابًا عظيمة تُعِين على الصبر على البلاء، ومنها: علمه بأن هذه المصيبة هي دواء نافع، ساقه إليه الطبيب، فليصبر على تجرعه، ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه، فيذهب نفعه باطلًا.

٤٩ ـ لو علم العبد ما في البلاء من النعمة لشكره عليه.

٥٠ ـ الإنسان يثاب على الحزن من باب الثواب على المصائب.

٥١ ـ الخوف من الله = خوف محشو بالحلاوة والسكينة.

٥٢ ـ لطيفة: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾، فجعل الطاعة له ولرسوله، والخشية والتقوى له وحده.

٥٣ ـ لابد من اجتماع الحب والتعظيم لكي يمنعه من الانقياد إلى غير محبوبه، وانفرادُ أحدهما لا يوجِب ذلك.

٥٤ ـ المحبة التي تَصلح للخلق ثلاثة أنواع:

أحدها: محبة طبيعية مشتركة، كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، وغير ذلك. وهذه لا تستلزم التعظيم.

والنوع الثاني: محبة رحمة وإشفاق، كمحبة الوالد لولده الطفل، ونحوها. وهذه أيضًا لا تستلزم التعظيم.

والنوع الثالث: محبة أُنس وإِلف، وهي محبة المشتركين في صناعة أو عِلم أو مرافقة أو تجارة أو سفر لبعضهم بعضًا، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضًا.

٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾، وهذه التسوية لم تكن منهم في الأفعال والصفات، بحيث اعتقدوا أنها مساوية لله في أفعاله وصفاته، وإنما كانت تسويةً منهم بين الله وبينها في المحبة والعبودية فقط.

٥٦ ـ فمن لم يكن شحيحًا بوقته تَرَكَهُ الناس على الأرض عريانًا.

٥٧ ـ حَدَّ بعضهم المحبة، فقال: القيام بين يديه وأنت قاعد، ومفارقة

المضجع وأنت راقد، والسكوت وأنت ناطق، ومفارقة المألوف والوطن وأنت مستوطن.

٥٨ ـ المحبة الحقيقية تَظهر في أربعة مواطن: عند النوم، وعند انتباهه من النوم، وعند دخوله في الصلاة، وعند الشدائد والأهوال.

٥٩ ـ قيل: الحب حرفان: حاء وباء. فالحاء: الخروج عن الروح وبذلها للمحبوب. والباء: الخروج عن البدن وصرفه في طاعة المحبوب.

٦٠ ـ محبة العوام منشأها من الأفعال لا من الصفات والجمال.

٦١ ـ من أعظم الموازين التي يَزِنُ بها العبد إيمانه ومحبته لله = هل هو يلتذ بالعبادة أم يأتي بها على وجه الملل والسآمة؟

٦٢ ـ وهذه اللذة والتنعم بالعبادة إنما تحصل بالمصابرة على التكره والتعب أوَّلًا.

٦٣ ـ ليس من شرط قبول العِلم بالشيء من العالِم به أن يكون ذائقًا له؛ أفتراك لا تقبل معرفة الآلام والأوجاع وأدويتها إلا ممن قد مرض وتداوى بها؟

٦٤ ـ قال عبد الرحمن بن زيد: كان أبي يقول: إذا أَعطيت رجلًا شيئًا، ورأيت أن سلامك يثقل عليه، فكفَّ سلامك عنه.

٦٥ ـ حظر الله سبحانه على عباده المنَّ بالصنيعة، واختص به صفةً لنفسه؛ لأنها من العباد تكدير وتعيير، ومن الله سبحانه إفضال وتذكير.

٦٦ ـ المنفق تعترضه عند إنفاقه آفتان:

إحداهما: طلبه بنفقته محمدةً أو ثناءً أو غرضًا من أغراضه الدنيوية، وهذا حال أكثر من المنفقين.

والثانية: ضعف نفسه بالبذل وتقاعسها وترددها: هل تفعل أم لا.

٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾، وقوله: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾، فلا يدرك فقرهم إلا العارف المتفرس.

٦٨ ـ آية تُفهم خطأً، وهي قوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾، فالبلاء الحسن هنا هو: النعمة بالظفر والغنيمة والنصر على الأعداء، وليس من الابتلاء الذي هو الامتحان بالمكروه؛ بل من أبلاه بلاءً حسنًا، إذا أنعم عليك.

٦٩ ـ القرض الحسن يجمع ثلاثة أوصاف:

الأول: أن يكون من طَيِّب ماله، لا من رديئه وخبيثه.

الثاني: أن يُخرجه طيبةً به نفسه، ثابتةً عند بذله، ابتغاء مرضاة الله.

الثالث: أن لا يَمُنَّ به ولا يؤذي.

٧٠ ـ في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾، النفي متسلط على تركهم المسألة، لا إلحاحًا ولا إلحافًا.

٧١ ـ لما كان الإنس أكملَ من الجن وأتمَّ عقولًا؛ ازدادوا عليهم بثلاثة أصناف أُخَر، ليس شيءٌ منها للجن، وهم: الرسل، والأنبياء، والمقربون، فليس في الجن صِنف من هؤلاء؛ بل غايتهم الصلاح. وذهب شذوذ من الناس إلى أن فيهم الرسلَ والأنبياءَ، وهذا قول شاذ لا يُلتفت إليه.

٧٢ ـ الفراغ في اللغة يكون على وجهين: فراغ من الشغل، وفراغ بمعنى القصد، ومنه قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾.

فوائد كتاب: (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين)[١]

١ ـ قال ابن القيم رحمه الله في مقدمة الكتاب: ومع هذا فهو جهد المقل، وقُدرة المفلس، حَذَّر فيه من الداء وإن كان من أهله، ووصف فيه الدواء وإن

(١) هذا الكتاب للعلامة ابن القيم، وقد سبقت ترجمته. وعنوانُ الكتاب ناطقٌ بمعناه، فهو يَطْرق موضوعين رئيسين؛ أحدهما: الصبر، والآخر: الشكر، ولذا قال المؤلف في مقدمته: «ولما كان الإيمان نصفين: نصفَ صبر ونصفَ شكر، كان حقيقًا على من نصح نفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتها: أن لا يُهمل هذين الأصلين العظيمين، =

قَصَّر عن تناوله لظلمه وجهله، وهو يرجو أكرمَ الأكرمين وأرحمَ الراحمين أن يغفر له غِشَّهُ لنفسه بنصيحته لعباده المؤمنين.

وقال: وهذه بضاعة مؤلِّفه المزجاةُ تُساقُ إليك، وسلعته تُعرض عليك، ـ وفي بعض النسخ: وبناتُ أفكاره تُزَفُّ إليك، فإنْ وَجَدَتْ حُرًّا كريمًا كان بها أسعد، وإلا فهي خود تُزف إلى عِنين مقعد ـ، فلقارئه غُنمه، وعلى مؤلفه غُرمه.

٢ ـ وقيل في تعريف الصبر: المقام مع البلاء بحُسن الصحبة، كالمقام مع العافية.

ومعنى هذا: أن لله على العبد عبوديةً في عافيته وفي بلائه، فعليه أن يُحسن صُحبة العافية بالشكر، وصحبةَ البلاء بالصبر.

٣ ـ **المصابرة:** مقاومة الخصم في ميدان الصبر، فإنها مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين، كالمشاتمة والمضاربة.

٤ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾، فأمرهم بالصبر، وهو حال الصابر في نفسه، والمصابرة: وهي حاله في التَّصَبُّر مع خصمه، والمرابطة وهي الثبات واللزوم والإقامة على التَّصَبُّر والمصابرة، وأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى، وأن الفلاح موقوف عليها، فقال: ﴿...وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذي يُخاف

= ولا يعدِل عن هذين الطريقين القاصدين، وأن يَجعل سَيره إلى الله بين هذين الطريقين؛ ليجعله يوم لقائه مع خير الفريقين. فلذلك وُضِع هذا الكتابُ للتعريف بشدة الحاجة والضرورة إليهما، وبيان توقف سعادة الدنيا والآخرة عليهما، فجاء كتابًا جامعًا حاويًا نافعًا، فيه من الفوائد ما هو حقيق أن يُعضَّ عليه بالنواجذ، وتُثنى عليه الخناصر، ممتعًا لقارئه، مُريحًا للناظر فيه، مسلِّيًا للحزين، منهضًا للمقصرين، محرّضًا للمشمرين، مشتملًا على نكت حِسانٍ من تفسير القرآن، وعلى أحاديثَ نبويةٍ معزوةٍ إلى مظانها، وآثار سلفية منسوبة إلى قائلها، ومسائلَ فقهية حِسان مقررة بالدليل، ودقائق سلوكية على سواء السبيل...».

هجومُ العدو منه في الظاهر، فهي لزوم ثغر القلب؛ لئلا يَدخل منه الهوى والشيطان، فيزيله عن مملكته.

٥ ـ الجن مكلفون بالصبر على الأوامر، والصبر عن المناهي، كما كُلفنا نحن بذلك.

فإن قيل: فهل هم مكلفون على الوجه الذي كُلفنا نحن به أم على وجه آخر؟

قيل: ما كان من لوازم النفوس: كالحب والبغض والإيمان والتصديق والموالاة والمعاداة، فنحن وهم مستوون فيه، وما كان من لوازم الأبدان: كغُسل الجنابة، وغَسل الأعضاء في الوضوء، والاستنجاء، والختان، وغُسل الحيض، ونحو ذلك، فلا يجب مساواتهم لنا في كيفيته، وإن تَعلَّق ذلك بهم على وجه يناسب خَلقهم وهيئاتِهم.

٦ ـ هل تشاركنا الملائكة في شيء من أقسام الصبر؟

لا؛ لأنهم لم يُبتلوا بهوى يُحارِب عقولَهم ومعارفَهم؛ بل العبادة والطاعة لهم كالنَّفَس لنا، فلا يُتصور في حقهم الصبرُ الذي حقيقته ثباتُ باعثِ العقل والدين في مقابَلة باعثِ الشهوة والهوى.

٧ ـ المغترون قد صارت عقولُهم في أيدي شهواتهم.

٨ ـ قوله ﷻ في الحديث القدسي: «كنتُ سمعَه الذي يَسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي يَبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها»، فُسِّر بمعنيين:

(١) أنه قد صار بمنزلة روحه وسمعه وبصره.

(٢) أن محبته وذِكره لما استولى على قلبه وروحه صار معه وجليسَه، كما جاء في الحديث: «أنا جليس من ذَكَرني».

٩ ـ **سر بديع:** من تَعلَّق بصفة من صفات الرب تعالى أدخلتْهُ تلك الصفةُ عليه وأوصلتْهُ إليه.

١٠ ـ الصبر الجميل هو: الذي لا شكوى معه، ولا تُنافيه الشكوى إلى الله، فإن يعقوب قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، والله سبحانه أَمر رسوله بالصبر الجميل، وقد امتثل ما أُمر به، وقال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي».

١١ ـ قال بعض العقلاء: مَن لم يصبر صبر الكرام سلا سُلُوَّ البهائم.

١٢ ـ الصبر وإن كان شاقًّا كريهًا على النفوس، فتحصيله ممكن، وهو يتركب من مفردين: العلم والعمل، فأما العلم فهو: إدراك ما في المأمور من الخير والنفع واللذة والكمال، وإدراك ما في المحظور من الشر والضر والنقص، فإذا أَدرك هذين العِلمين كما ينبغي أضاف إليهما: العزيمة الصادقة، والهمة العالية، والنخوة والمروءة الإنسانية، وضَم هذا الجزء إلى هذا الجزء، ومتى فَعل ذلك؛ حصل له الصبر، وهانت عليه مشاقُّه، وحَلَتْ له مرارتُه، وانقلب ألمه لذة.

١٣ ـ الصبر: مصارعة باعث العقل والدين لباعث الهوى والنفس.

١٤ ـ حُبُّكَ الشيءَ يُعمي ويُصِم.

١٥ ـ من أراد إضعاف شهوته ومقاومة دائها فعليه بأمور:

(١) أن يُضعِف مادة الشهوة؛ بتقليل الأغذية المحركة للشهوة، وعليه بالصوم؛ فإنه يكسر حدَّتها، ويضيق مجاريها؛ لا سيما إن كان أكله وقت فِطره معتدلًا.

(٢) اجتناب النظر، وعليه فَلْيَغض لجامَ طَرْفِه ما أمكنه.

(٣) تسلية النفس بالمباح المعوِّض عن الحرام، فإن كل ما يَشتهيه الطبع ففيما أحبه الله[١] غنيةٌ عنه.

(٤) الفكر في المفاسد الدنيوية المتوقعةِ من قضاء هذا الوَطَر.

---

(١) جاء في تحقيق عطاءات العلم: كذا في الأصول، ولعله: «أباحه».

(٥) الفكرة في مقابح الصورة التي تدعوه نفسه إليها.

١٦ ـ من الأمور المعينة على الصبر عن معصية الله:

(١) إجلال الله أن يُعصَى وهو يَرى ويَسمع، ومن قام بقلبه مشهد إجلاله لم يطاوعه قلبه لذلك ألبتة.

(٢) مشهد محبته سبحانه، فيَترك معصيتَه محبةً له، فإن المحب لمن يحب مطيع، وأفضل الترك ترك المحبين، كما أن أفضل الطاعة طاعة المحبين، فبين ترك المحب وطاعته وترك من يخاف العذاب وطاعته بَوْنٌ بعيد.

(٣) مشهد النعمة والإحسان، فإن الكريم لا يُعامِل بالإساءة من أَحسن إليه، وإنما يفعل هذا لئامُ الناس، فَلْيمنعه مشهد إحسان الله ونعمته عن معصيته؛ حياءً منه أن يكون خيرُ الله وإنعامه نازلًا إليه، ومخالفاتُه ومعاصيه وقبائحه صاعدةً إلى ربه، فمَلَكٌ ينزل بهذا، ومَلَك يعرج بهذا، فأَقْبِحْ بها من مقابلة.

(٤) مشهد الغضب والانتقام، فإن الرب تعالى إذا تمادى العبد في معصيته غضب.

(٥) مشهد الفوات، وهو ما يفوته بالمعصية من خيري الدنيا والآخرة.

(٦) مشهد القهر والظَّفَر، فإن قهر الشهوة والظَّفَر بالشيطان له حلاوة ومسرة وفرحة عند من ذاق ذلك أعظمُ من الظَّفَر بعدوك من الآدميين وأحلى موقعًا وأتمَّ فرحة.

وأما عاقبته فأَحْمَدُ عاقبة، وهو كعاقبة شرب الدواء النافع الذي أزال داء الجسد، وأعاده إلى صحته واعتداله.

(٧) مشهد العِوَض، وهو ما وعد الله سبحانه به تعويض من ترك المحارم لأجله، ونهى نفسه عن هواها، وَلْيُوازن بين العِوَض والمعَوَّض، فأيهما كان أولى بالإيثار اختاره وارتضاه لنفسه.

(٨) مشهد المعية الخاصة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ونحوها...

فهذه المعية الخاصة خيرٌ له وأنفع في دنياه وآخرته من قضاء وَطَرِه، ونَيْلِ شهوته على التمام من أول العمر إلى آخره، فكيف يُؤْثِر عليها لذةً مُنغصة مُنكدة في مدة يسيرة من العمر، إنما هي كأحلام النائم، أو ظِلٍّ زائل.

(٩) مشهد المغافصة والمعاجلة، وهو: أن يخاف أن يغافصه الأجل؛ فيأخذه الله على غرة، فيُحال بينه وبين ما يشتهي من لذات الدنيا، وبينه وبين ما يشتهي من لذات الآخرة، فيا لها من حسرة ما أَمَرَّها وما أصعبها؛ لكن ما يعرفها إلا من جربها.

(١٠) مشهد البلاء والعافية، فإن البلاء في الحقيقة ليس إلا الذنوب وعواقبها، والعافية المطلقة هي الطاعات وعواقبها، فأهل البلاء هم أهل المعصية وإن عوفيت أبدانهم، وأهل العافية هم أهل الطاعة وإن مرضت أبدانهم.

(١١) كَفُّ الباطن عن حديث النفس، وإذا مَرَّتْ به الخواطر نفاها ولا يؤويها ويُسَاكِنُها، فإنها تصير مُنًى، وهي رؤوس أموال المفاليس، ومتى سَاكَنَ الخواطر صارت أمانِيَّ، ثم تقوى فتصير هُمومًا، ثم تقوى فتصير إرادات، ثم تقوى فتصير عزمًا يقترن به المراد.

فدفعُ الخاطرِ الأول أسهلُ وأيسر من دفع أثر المقدور بعد وقوعه وترك معاودته.

(١٢) قطع العلائق والأسباب التي تدعوه إلى موافقة الهوى، وليس المراد أن لا يكون له هوى؛ بل يَصرف هواه إلى ما ينفعه، ويستعمله في تنفيذ مراد الرب تعالى، فإن ذلك يدفع عنه شر استعماله في معاصيه، فإن كل شيء من الإنسان يستعمله لله فإن الله يقيه شر استعماله لنفسه وللشيطان، وما لا يستعمله لله استعمله لنفسه وهواه ولا بد.

(١٣) صرف الفِكر إلى عجائب آيات الله التي ندب عباده إلى التفكر

فيها، وهي: آياته المتلوة، وآياته المخلوقة، فإذا استولى ذلك على قلبه دَفع عنه محاضرة الشيطان ومحادثته ووسواسه.

(١٤) التفكر في الدنيا وسرعةِ زوالها وقُرب انقضائها، فلا يَرضى لنفسه أن يَتزود منها إلى دار بقائه وخلوده أخسَّ ما فيها وأقلَّه نفعًا إلا ساقطُ الهمة، دنيءُ المروءة، ميِّتُ القلب، فإن حسرته تشتد إذا كان زادُه ما يعذَّب به.

(١٥) تَعَرُّضُه إلى مَنِ القلوبُ بين إصبعيه، وأَزِمَّةُ الأمور بيديه، فمَن أُعطي منشور الدعاء أُعطي الإجابة، ولا يستوحشْ من ظاهر الحال، فإن الله سبحانه يعامل عبده بمعاملة من ليس كمثله شيء في أفعاله، كما ليس كمثله شيء في صفاته، فإنه ما حَرمه إلا ليعطيه، ولا أَمرضه إلا ليشفيه، ولا أَفقره إلا ليُغنيه، ولا أماته إلا ليحييه.

(١٦) أن يَعلم بأن فيه جاذبين متضادين، ومحنتُه بين الجاذبين: جاذب يجذبه إلى الرفيق الأعلى من أهل عِلِّيِّين، وجاذب يجذبه إلى أسفل سافلين.

(١٧) أن يعلم أن تفريغ المحل شرط لنزول غيث الرحمة، وتنقيتُه من الدَّغَل شرط لكمال الزرع، فإذا طهَّر العبدُ قلبَه وفرَّغه من إرادات السوء وخواطره، وبَذَر فيه بِذر الذكر والفكر والمحبة والإخلاص، وعرَّضه لمهابِّ رياح الرحمة، وانتظر نزول غيث الرحمة في أوانه؛ كان جديرًا في حصول المُغَلِّ، وفضل الله لا يَردُّه إلا المانع الذي في العبد.

(١٨) أن يَعلم العبدُ أن الله سبحانه خَلَقَه لبقاءٍ لا فناءَ له، ولعزٍّ لا ذُلَّ معه، وأمنٍ لا خوف فيه، وغناءٍ لا فقر معه، والبصير الموفق يغير نظره من الأوائل إلى الأواخر، ومن المبادئ إلى العواقب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

(١٩) أن لا يغترَّ باعتقاده أن مجرَّد العلم بما ذكرنا كافٍ في حصول المقصود؛ بل لا بد أن يضيف إليه بذلَ الجهد في استعماله، واستفراغَ الوسع والطاقة فيه، وما استُعين على التخلُّص من الشر بمثل البُعد عن أسبابه ومظانِّه.

١٧ ـ إنما كان الصبر على السرّاء شديدًا لأنه مقرون بالقدرة، والجائع عند غَيبة الطعام أقدرُ منه على الصبر عند حضوره.

١٨ ـ يحتاج العبد إلى الصبر في ثلاثة أحوال:

(١) قبل الشروع في العمل؛ بتصحيح النية والإخلاص، وتَجَنُّب دواعي الرياء والسمعة، وعقدِ العزم على توفية المأمور به.

(٢) الصبر حال العمل، فيلازم الصبر على استصحاب ذِكر النية، وعلى حضور القلب بين يدي المعبود.

(٣) الصبر بعد الفراغ من العمل؛ بعدم إتيانه بما يُبطِله، وصبره عن العجب بها.

١٩ ـ الحديث الذي جاء فيه أن النبي ﷺ مرَّ على امرأة تبكي عند قبر...، لم يُعرِّف النبي ﷺ لها بنفسه شفقةً منه ورحمةً بها، إذ لو عَرَّفها بنفسه في تلك الحال التي لا تَملك فيها نفسَها فربما لم تَسمع منه فتَهْلِك، فكان معصيتها له وهي لا تعلم أنه رسول الله أخفَّ من معصيتها له لو علمت به.

٢٠ ـ في الحديث: «إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة»، يريد: عينيه.

٢١ ـ ذُكر عن أبي معمر الأزدي: «كنا إذا سمعنا من ابن مسعود شيئًا نكرهه سكتنا حتى يفسره لنا، فقال لنا ذات يوم: ألا إن السُّقْم لا يكتب له أجر. فساءنا ذلك وكبُر علينا، فقال: ولكن يُكفَّر به الخطيئة، فسرنا ذلك وأعجبنا».

وهذا من كمال علمه وفقهه؛ فإن الأجر إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما تولد منها، وأما الأسقام والمصائب فإن ثوابها تكفير الخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾، والنبي ﷺ إنما قال في المصائب: «كَفَّرَ الله بها من خطاياه»، وقال: «المرض حِطَّةٌ».

ولا يَرِدُ على هذا: حديثُ أبي موسى الأشعري في ثواب من قَبض الله ولدَه وثمرةَ فؤاده؛ بأنْ يبني له بيتًا في الجنة، ويسميه بيت الحمد؛ لأنه إنما

نال ذلك البيتَ بحمده لله، واسترجاعه، وذلك عمل اختياري، ولذلك سمي بيت الحمد.

٢٢ ـ فإذا حَمِدَ المريضُ اللهَ ثم أَخبَر بعلته لم تكن شكوى، وكذا إذا كان على وجه الإخبار، مثل قوله ﷺ: «وا رأساه»، وقول سعد: (قد اشتدّ بي الوجع...).

٢٣ ـ ومن مراسيل يحيى بن أبي كثير، قال: فَقَدَ رسولُ الله ﷺ سلمانَ، فسأل عنه؟ فأُخبر أنه عليل، فأتاه يعوده، فقال: «شفى اللهُ سقمك، وعظَّم أجرك، وغَفر ذنبك، ورزقك العافية في دينك وجسمك إلى منتهى أجلك، إن لك من وجعك خلالًا ثلاثًا، أما واحدة: فتذكرة من ربك يُذكرُك بها، وأما الثانية: فتمحيص لما سلف من ذنوبك، وأما الثالثة: فادعُ بما شئت، فإن المبتلى مجاب الدعوة».

٢٤ ـ كان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال: (سحابة ثم تنقشع).

٢٥ ـ قال عمرو بن بُكير:

صبرتُ وكان الصبرُ خيرَ مغبّةٍ ... وهل جزَعٌ مُجْدٍ عليَّ فأجزعُ
ملكتُ دموعَ العين حتى رددتُها ... إلى ناظري فالعينُ في القلب تدمعُ

٢٦ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: أنه مُلك لله، يتصرف فيه مالكُه بما يريد، ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: نُرَدُّ إليه فيجزينا على صبرنا، ولا يُضِيع أجر المصيبة.

٢٧ ـ قول النبي ﷺ: «إن الميت يعذب بالنياحة عليه»، قد ثبت عن خمسة من الصحابة: من رواية عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، والمغيرة بن شعبة، وروى نحوَه عمرانُ بن حصين، وأبو موسى.

واختلفت طرق الناس في توجيه ذلك:

(١) يَتصرف الله في خلقه بما شاء، وأفعال الله لا تُعلل، ولا فرق بين

التعذيب بالنَّوْحِ عليه والتعذيب بما هو منسوب إليه؛ لأن الله خالق الجميع، والله تعالى يُؤْلِمُ الأطفالَ والبهائم والمجانين بغير عمل.

(٢) هذه الأحاديث لا تصح عن رسول الله ﷺ، وقد أنكرتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، واحتجتْ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وقالت: إنما قال النبي ﷺ: «إن الله ليزيد الكافرَ عذابًا ببكاء أهله عليه».

(٣) أن ذلك محمول على من أوصى بالنَّوْحِ؛ إذ كانت عادةَ بعض العرب، كقول طرفة:

إذا متُّ فانعيني بما أنا أهله وشُقِّي عليَّ الجيبَ يا ابنةَ مَعْبَدِ

(٤) هو محمول على من سُنته وسُنة قومه ذلك إذا لم يَنْهَهُمْ عنه؛ لأن ترك نهيه دليلٌ على رضاه به، وهذا قول ابن المبارك وقول أبي البركات ابن تيمية: وهو أصح الأقوال كلها.

وإنكار عائشة رضي الله عنها لذلك بعد رواية الثقات لا يُعَوَّل عليه؛ فإنهم قد يَحضرون ما لا تحضره، ويَشهدون ما تَغيب عنه، واحتمالُ السهو والغلط بعيدٌ جدًّا؛ خصوصًا في حق خمسة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم.

وقوله ﷺ في اليهودي: «إن صاحب هذا القبر يعذَّب، وأهله يبكون عليه»؛ لا يمنع أن يكون قد قال ما رواه عنه هؤلاء الخمسة في أوقات أُخَر.

ثم هي مَحْجُوجَةٌ بروايتها عنه ﷺ أنه قال: «إن الله يزيد الكافرَ عذابًا ببكاء أهله عليه»، فإذا لم تمتنع زيادةُ الكافر عذابًا بفعل غيره، مع كونه مخالفًا لظاهر الآية: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؛ لم يمتنع ذلك في حق المسلم؛ لأن الله سبحانه كما لا يَظلم عبدَه المسلمَ لا يَظلم الكافرَ.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن العذاب أعم من العقاب، والعذاب هو: الألم الذي يحصل له، والأعم لا يستلزم الأخص، وقد قال النبي ﷺ: «السفر قطعة من العذاب»، فسمّاه عذابًا، وهو ليس عقابًا على ذنب، فليس كل من يتألم بسببٍ يكون ذلك عقابًا له على ذلك السبب. والإنسان يتألم بمن

يعاقَب في قبره في جواره ويتأذى بذلك، كما يتأذى الإنسان في الدنيا بما يشاهده من عقوبة جاره، فإذا بكى أهل الميت عليه البكاءَ المحرَّم، وهو البكاء الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه؛ تألم الميت بذلك في قبره، فهذا التألم هو عذابه بالبكاء عليه، وعذابه هذا هو بسماعه لبكاء أهله، وليس بسبب ذنب يعاقَب عليه. ولذا؛ فإن القاضي أبي يعلى أفتى بأن الموتى إذا عُمِل عندهم المعاصي فإنهم يتألمون بذلك، كما جاء في الآثار.

٢٨ ـ فههنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أنه قد يكون العمل المعيَّن أفضلَ في حق شخص، وغيرُه أفضلُ منه في حق غيره، فالغنيُّ الذي له مال كثير، ونفسه لا تَسمح ببذل شيء منه، فصدقته وإيثاره أفضلُ له من قيام الليل وصيام النهار نافلةً، والشجاعُ الشديد البأس الذي يَهابُ العدوُّ سَطوتَه، وقوفُه في الصف ساعةً وجهادُه أعداءَ الله أفضلُ له من الحج والصوم والصدقة والتطوع، والعالِم الذي قد عرف السُّنة والحلال والحرام وطُرق الخير والشر، مخالطتُه للناس وتعليمُهم ونصحُهم في دينهم أفضلُ من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح.

٢٩ ـ ومتى أراد الله بالعبد كمالًا وَفَّقَهُ لاستفراغ وسعه فيما هو مستعدٌّ له، قابلٌ له، قد هُيِئَ له، فإذا استفرغ وسعه فيه بَرَزَ على غيره، وَفَاقَ الناسَ فيه، وصار كما قيل:

ما زال يَسبِقُ حتى قال حاسدُه ... له طريقٌ إلى العلياءِ مختصرُ

٣٠ ـ قال ابن أبي الدنيا: وحدثني أبو علي، قال: كنت أسمع جارًا لي يقول في الليل: يا إلهي! خيرك عليَّ نازل، وشري إليك صاعد، وكم من مَلَكٍ كريم قد صعد إليك مني بعمل قبيح، أنت مع غناك عني تتحبب إليَّ بالنعم، وأنا مع فقري إليك وفاقتي أتمقَّت إليك بالمعاصي، وأنت في ذلك تجبرني وتسترني وترزقني.

٣١ ـ وقال يونس بن عبيد: قال رجل لأبي تميمة: كيف أصبحت؟ قال:

أصبحت بين نعمتين، ولا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله فلا يستطيع أن يُعَيِّرَني بها أحدٌ، ومودةٌ قذفها الله لي في قلوب العباد لا يَبلغها عملي.

٣٢ ـ قال سفيان الثوري: كان يقال: ليس بفقيهٍ من لم يَعُدَّ البلاءَ نعمة، والرخاءَ مصيبة.

٣٣ ـ روى ابن المبارك في الزهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لعلنا نلتقي في اليوم مرارًا يَسأل بعضنا عن بعض، ولم نُرد بذلك إلا ليُحمد الله عز وجل .

٣٤ ـ قال عبد الملك بن أبجر: ما من الناس إلا مبتلًى بعافية؛ ليُنظر كيف شكرُه، أو بليةٍ ليُنظر كيف صبرُه.

٣٥ ـ إن قيل: نِعَمُ الله دائمًا مستمرِّةٌ على العبد؛ فما الذي اقتضى تخصيصَ النعمة الحادثة بالشكر دون الدائمة، وقد تكون المستدامة أعظمَ؟

فالجواب من وجوه:

(١) أن النعمة المتجددة تُذَكِّر بالمستدامة، والإنسان موكَّلٌ بالأدنى.

(٢) أن هذه النعمة المتجددة تستدعي عبودية مجددة، وكان أسهلُها على الإنسان وأحبُّها إلى الله السجودَ شكرًا له.

(٣) أن المتجددة لها وقع في النفوس، والقلوب بها أعلق، ولهذا يُهَنَّأُ بها، ويُعزَّى بفقدها.

(٤) أن حدوث النعم توجِب فرح النفس وانبساطها، وكثيرًا ما يجرُّ ذلك إلى الأشر والبطر، والسجود ذل لله وعبودية وخضوع، فإذا تَلقى به نعمتَه كَسَر سَوْرَة فرح النفس وانبساطِها؛ فكان جديرًا بدوام تلك النعم.

٣٦ ـ ذكر ابن أبي الدنيا أن داود قال: يا رب أخبرني ما أدنى نعمك عليَّ؟ فأوحى الله إليه: يا داود تنفس، فتنفس، قال: هذا أدنى نعمي عليك.

وبهذا يتبين معنى الحديث الذي رواه أبو داود من حديث زيد بن ثابت وابن عباس: «إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير

ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم»، والحديث الذي في الصحيح: «لن يُنجيَ أحدًا منكم عملُه»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»؛ فإن أعمال العبد لا توافي نعمةً من نِعَم الله عليه.

وأما قول بعض الفقهاء: إن من حلف أن يحمد الله أفضل أنواع الحمد؛ كان بِرُّ يمينه في أن يقول: الحمد حمدًا يوافي نِعَمه، ويكافئ مزيده. فهذا ليس بحديث عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة، وإنما هو إسرائيلي عن آدم، وأصح منه: «الحمد لله غير مكفي ولا مُودَّع ولا مستغنًى عنه ربنا».

ولا يمكن حمد العبد وشكره أن يوافي نعمةً من نِعَم الله؛ فضلًا عن موافاته جميع نِعَمه، ولا يكون فعل العبد وحمده مكافئًا للمزيد.

ولكن يُحمل الأثرُ على وجه يصح، وهو: أن الذي يستحقه الله من الحمد حمدًا يكون موافيًا لنعمه، ومكافئًا لمزيده.

٣٧ ـ في الحديث: «سلوا الله العفو والعافية والمعافاة»، وهذا السؤال متضمن للعفو عما مضى، والعافية في الحال، والمعافاة في المستقبل بدوام العافية واستمرارها.

٣٨ ـ كتب بعض العلماء إلى أخ له: أما بعد: فقد أصبح بنا من نِعَم الله ما لا نُحصيه، مع كثرة ما نَعصيه، فما ندري أيهما نشكر؛ أَجميلُ ما نَشَر؟ أم قبيحُ ما سَتر؟

٣٩ ـ شكر العبد يدور على ثلاثة أركان، لا يكون شكورًا إلا بمجموعها:

(١) اعترافه بنعمة الله عليه.

(٢) الثناء عليه بها.

(٣) الاستعانة بها على مرضاته.

٤٠ ـ الشكر أخصُّ بالأفعال، والحمد أخصُّ بالأقوال، وسبب الحمد

أعمّ من سبب الشكر، ومتعلَّق الشكر وما به الشكر أعم مما به الحمد، فما يُحمد الرب تعالى عليه أعم مما يُشكر عليه، فإنه يُحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونِعَمه، ويشكر على نعمه، وما يُحمد به أخصُّ مما يُشكر به، فإنه يشكر بالقلب واللسان والجوارح، ويحمد بالقلب واللسان.

٤١ ـ إن قيل: إذا كان صبرُ الفقير أتمَّ، وشكرُ الغني أتمَّ؛ فأيهما أفضل؟ قيل: أفضلهما أتقاهما لله في وظيفته ومقتضى حاله، ولا يصح التفضيل بغير هذا ألبتة.

٤٢ ـ والتحقيق: أن الله سبحانه جَمع له بين المقامين كليهما على أتم الوجوه، فكان سيد الأغنياء الشاكرين، وسيد الفقراء الصابرين، فحصل له من الصبر على الفقر ما لم يحصل لأحد سواه، ومن الشكر على الغنى ما لم يحصل لغني سواه.

ومن تأمل سيرته وجد الأمر كذلك، فكان ﷺ أصبرَ الخلق في مواطن الصبر، وأشكرَ الخلق في مواطن الشكر، وربه تعالى كمَّل له مراتب الكمال.

٤٣ ـ حقيقة المنافسة: الرغبة التامة والمبادرة والمسابقة إلى الشيء النفيس.

٤٤ ـ في قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ﴾، الصحيح إن شاء الله أن الكفار هم الكفار بالله، وذلك عُرف القرآن، حيث ذُكِروا بهذا النعت في كل موضع، ولو أراد الزُّرَّاع لَذَكرهم باسمهم الذي يُعرفون به، كما ذَكَرهم به في قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾.

٤٥ ـ فَضَّل ابن عقيل وغيرُه نعيم العبادات على نعيم الجنات، وقالوا: هذا حقُّ الله عليهم، وذاك حظهم ونعيمهم، وحقه أفضل من حظهم، والتحقيق: أنه لا يصح التفضيل بين أمرين في دارين مختلفين، ولو أمكن اجتماعهما في دار واحدة لأمكن طلب التفضيل.

فالطاعة والإيمان في هذه الدار أفضل ما فيها، ودخول الجنة والنظر إلى وجه الله وسماع كلامه والفوز برضاه أفضل ما في الآخرة.

فهذا أفضل ما في هذه الدار، وهذا أفضل ما في الدار الأخرى، ولا يصح أن يقال: فأي الأمرين أفضل؟ بل هذا أفضل الأسباب، وهذا أفضل الغايات.

٤٦ ـ منزلة الفقر والخمول منزلة السلامة، ومنزلة الغنى والولاية منزلة الغنيمة أو العَطَب.

٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾، الصحيح أنه عام للمسلم والكافر، وليس في السُّنة الصحيحة ولا في أدلة العقل ما يقتضي اختصاص الخطاب بالكفار؛ بل ظاهر القرآن وصريح السنة والاعتبار: يدل على عموم الخطاب، ومن أدلة ذلك:

(١) قول النبي ﷺ عند قراءة هذه السورة: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت...».

(٢) فَهْم الصحابة للعموم لَمَّا قالوا له: (وأي نعيم نسأل عنه؟ وإنما هما الأسودان).

(٣) قصة النبي ﷺ عند مسلم، لَمَّا خرج مع أبي بكر وعمر بسبب الجوع، وقال النبي ﷺ في آخره: «والذي نفسي بيده! لتُسألُنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم».

٤٨ ـ من أدلة القائلين بتفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر: أن النبي ﷺ عُرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض، فلم يأخذها، وقال: «بل أجوع يومًا، وأشبع يومًا»، ولو أخذها لأنفقها كلها في مرضاة الله وطاعته، فآثَرَ مقام الصبر عنها والزهد فيها.

٤٩ ـ من أدلة القائلين بتفضيل الفقر على الغنى: أنه لو كان الغنى أفضل

من الفقر لما حَضَّ اللهُ رسولَه على الزهد في الدنيا والإعراض عنها، وذَمَّ الحرص عليها والرغبة فيها؛ بل كان ينبغي أن يَحُضَّ عليها وعلى اكتسابها والاستكثار منها، وقد أخبر أنها لو ساوت عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شَربة ماء، وأنها أهون على الله من السخلة الميتة على أهلها، وأن مَثَلَها في الآخرة كمَثَل ما يعلق بأصبع من أدخل أصبعه في البحر، وأنها ملعونة ملعون ما فيها؛ إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم، وأنها سجن المؤمن وجنة الكافر.

٥٠ ـ في الصحيحين عن خباب بن الأرت قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمِنَّا من مات لم يأكل من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير، قُتل يوم أحد وترك نَمِرَةً، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدتْ رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسُه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه، ونجعل على رجليه شيئًا من الإذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يَهْدِبُها.

وفي صحيح البخاري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: أُتي عبد الرحمن بطعام، وكان صائمًا، فقال: قُتل مصعب بن عمير وهو خير مني، وكُفن في بُرْدَة؛ إن غُطي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطي رجلاه بدا رأسه، وقُتل حمزة وهو خير مني، فلم يوجد له كفن إلا بُرْدَة، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بسط ـ أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا ـ، وقد خَشيتُ أن تكون عُجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا. ثم جَعل يبكي حتى ترك الطعام.

قال أبو سعيد ابن الأعرابي: وليس عبد الرحمن بن عوف وخباب قالا ذلك دون غيرهما، لقد قاله الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، وكرهوا ما فتح الله عليهم من الدنيا، وأشفقوا منه، وعلموا أن ما اختاره الله لنبيه كان أفضل، وأن ما أخروا له كان أنقص؛ منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبو عبيدة، وعمار بن ياسر، وسلمان، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وأبو هاشم بن عتبة، وجماعة لم نذكرهم للاختصار.

٥١ ـ دخل النبي ﷺ على عثمان بن مظعون وهو في الموت، فأَكَبَّ عليه يُقبِّله ويقول: رحمك الله يا عثمان! ما أصبتَ الدنيا ولا أصابتْ منك.

٥٢ ـ قال إسحاق بن هانئ في مسائله: قال أبو عبد الله ـ وأنا أخرج من داره ـ: قال الحسن: أهينوا الدنيا، فوالله لأَهْنَأُ ما تكون حين تُهان.

٥٣ ـ وأقل ما في حب الدنيا من الآفات: أنها تُلهي عن حُب الله وذِكره، ومن ألهاه ماله عن ذكر الله فهو من الخاسرين، وإذا لَهى القلب عن ذكر الله سَكَنَه الشيطان، وصرفه حيث أراد، ومِن فِقْهِهِ في الشر: أنه يُرضِيه ببعض أعمال الخير؛ ليريه أنه يعمل فيها الخير، وقد تعبد لها قلبه، فأين يقع ما يفعله من البر مع تعبده لها، وقد لعنه رسول الله ﷺ ودعا عليه، فقال: «لعن عبد الدينار والدرهم».

٥٤ ـ والمقصود: أن مُحب الدنيا مُعذبٌ في قبره، ومُعذبٌ يوم لقاء ربه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾، قال بعض السلف: يُعذبهم بجمعها، وتزهق أنفسهم بحبها، وهم كافرون؛ بمنعِ حقِّ الله فيها.

٥٥ ـ وأشبهُ الأشياء بالدنيا: امرأة عجوز شوهاء قبيحة المنظر والمخبَر، غَدَّارة بالأزواج، تزينت للخُطَّاب بكل زينة، وسترتْ كل قبيح.

٥٦ ـ شهوات الدنيا في القلب كشهوات الأطعمة في المعدة، وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت في المعدة غايتها، وكما أن الأطعمة كما كانت ألذ طعمًا وأكثر دسمًا وأكثر حلاوةً كان رجيعها أقذر، فكذلك كل شهوة كانت في النفس ألذ وأقوى فالتأذي بها عند الموت أشد، كما أنَّ تَفَجُّع الإنسان بمحبوبه إذا فقده يقوى بقدر محبة المحبوب.

٥٧ ـ قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾، فلم تكن الدنيا لترضيه

وهو لا يرضاها لأمته وهو يُحذر منها، وتُعرض عليه فيأباها، وإنما هو ما يعطيه من الثواب، وما يُفتح عليه وعلى أمته من ملك كسرى وقيصر، ودخول الناس في الإسلام، وظهور الدين إذْ كان ذلك محبته ورضاه، صلوات الله وسلامه عليه.

٥٨ ـ وإنما تحصل الهموم والغموم والأحزان من جهتين:

(١) الرغبة في الدنيا والحرص على جمعها.

(٢) التقصير في أعمال البر والطاعة.

٥٩ ـ إن قيل: أيهما أفضل: من يختار الغنى للتصدق والإنفاق في وجوه البر، أم من يختار الفقر والتقلل ليبعد من الفتنة ويسلم من الآفة، ويرفه قلبه على الاستعداد للآخرة فلا يشغله بالدنيا؟ أم من لا يختار لا هذا ولا هذا؛ بل يختار ما يختار الله له، فلا يُعنى باختياره واحدًا من الأمرين؟

الجواب: أن هذا موضعٌ اختَلف فيه حال السلف الصالح:

فمنهم من اختار المال؛ للجهاد به والإنفاق، وصرفِه في وجوه البر، كعبد الرحمن بن عوف وغيره من مَياسِير الصحابة.

ومنهم من اختار الفقر والتقلل، كأبي ذر وجماعة من الصحابة معه.

والفرقة الثالثة لم تختر شيئًا؛ بل كان اختيارها ما اختاره الله لها.

٦٠ ـ قال أبو بكر بن محمد عن أبيه: سئل أحمد عن المريض يشكو ما يجد من الوجع؟ فقال: تَعرف فيه شيئًا عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، حديث عائشة: «وا رأساه!» وجعل يستحسنه. والتحقيق: أن الأنين على قسمين: أنينُ شكوى، فيُكره، وأنينُ استراحة وتفريج فلا يكره.

٦١ ـ **من أسباب مَقت الله للعبد:** من يشتكي ربَّه وهو بخير.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا كهمس، عن عبد الله بن

شقيق قال: قال كعب الأحبار: «إن من حُسن العمل سُبحة الحديث، ومن شر العمل التجديف»، قيل لعبد الله: ما سُبحة الحديث؟ قال: سبحان الله وبحمده في خلال الحديث، قيل: فما التجديف؟ قال: يصبح الناس بخير، فيُسألون، فيزعمون: أنهم بِشَرٍّ.

٦٢ ـ مما يقدح في الصبر: إظهار المصيبة والتحدث بها، وكتمانُها رأس الصبر.

٦٣ ـ قال ابن المبارك: أتى رجل يزيد بن يزيد وهو يصلي، وابنه في الموت، فقال: ابنك يقضي وأنت تصلي؟ فقال: إن الرجل إذا كان له عمل يعمله، فتركه يومًا واحدًا كان ذلك خللًا في عمله.

٦٤ ـ معنى الهَلُوع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩﴾: هو الذي إذا أصابه الجوع أظهر الاستجاعة وأسرع بها، وإذا أصابه الألم أسرع الشكاية، وإذا أصابه القهر أظهر الاستضامة والاستكانة وباء بها سريعًا، وإذا أصابه الوجع أسرع الانطراح على جنبه وأظهر الشكاية، وإذا بدا له مأْخَذ طمع طار إليه سريعًا، وإذا ظفر به أحلّه من نفسه محل الروح فلا احتمال ولا إفضال.

٦٥ ـ الشح والجبن هما أردأ صفتين في العبد، ولا سيما إذا كان شحه هالعًا؛ أي: مُلْقٍ له في الهلع، وجبنُه خالعًا؛ أي: قد خلع قلبه من مكانه، فلا سماحة ولا شجاعة، لا نفع بماله ولا ببدنه.

٦٦ ـ ولما كان اسمُ الله «الحليم» أدخلَ في الأوصاف، واسمُ الله «الصبور» أدخلَ في الأفعال، كان الحلمُ أصلَ الصبر، فوقع الاستغناء به في القرآن عن اسم الصبور، والله أعلم.

٦٧ ـ كل ما يُحبه الله فهو من آثار أسمائه وصفاته، وكل ما يُبغضه فهو ما يضادها وينافيها.

فهرسة لفوائد كتاب: إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان[(١)]

ص٧ ـ ذَكر أنه لا نجاة من مصائد الشيطان إلا بدوام الاستعانة والإقبال على الله في حركاته وسكناته[(٢)].

ص٨ ـ العمل السيئ مصدره عن فساد قصد القلب، ثم يعرض للقلب من فساد العمل ما يزيده قسوة حتى يموت، والسبب: الركون إلى الشيطان.

ص١٠ ـ معنى القلب السليم الوارد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

ص ١٢ ـ القلب الميت وتعريفه.

ص١٣ ـ مخالطة صاحب القلب الميت سُقم، ومعاشرته سم، ومجالسته هلاك.

ص٢٣ ـ مَدار الهمة على ثلاث: حفظ القوة، والحِمية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة.

---

(١) هذا الكتاب للعلامة ابن القيم الذي سبقت ترجمته. وأما عن الكتاب؛ فقد وصفه المحقق ـ كما في طبعة عطاءات العلم ـ بأنه: «من أعظم مؤلفات الإمام ابن القيم وأجلِّها، وهو كتاب نادر في بابه، استقصى فيه المؤلف مصايد الشيطان ومكايده، ومهَّد لها بأبواب في أمراض القلوب وعلاجها. وقد كان المؤلف من أطباء القلوب البارعين، تناول هذا الموضوع في عددٍ من كتبه بأسلوبه الخاص، يَعتمد فيها على نصوص الكتاب والسنة وآثار السلف، ويمزجها بشيء من الشعر في المواعظ والآداب، ويُرشد الناس إلى إصلاح عقيدتهم وسلوكهم وتزكية نفوسهم، ويهديهم إلى الصراط المستقيم»، وقال المحقق ـ أيضًا ـ: «خَصَّص المؤلفُ هذا الكتابَ للتحذير من مصايد الشيطان ومكايده، وتناول كثيرًا من الأمراض القلبية والاعتقادات الفاسدة وضلالات الفرق والطوائف بالبحث والدراسة، وتوسَّع في معالجتها وردِّ الشُّبه التي يتعلق بها رؤوس البدع والضلال. ويُعتبر هذا الكتاب من أفضل الكتب التي أُلِّفت في بابه، ومن أهمّ مؤلفات ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

(٢) تنبيه: الإحالة هنا إلى طبعة: عطاءات العلم.

ص٢٣ ـ ذِكرُ تَضَمُّنِ القرآنِ لأصول الصحة الثلاثة:

(١) حِفظ القوة: أمر الله المسافر المريض أن يفطر؛ حفظًا لقوته.

(٢) والحمية عن المؤذي: حمى الشارع الحكيم المريض عن استعمال الماء البارد في الوضوء والغسل إذا كان يضره؛ حميةً له عن ورود المؤذي عليه من ظاهر بدنه، فكيف بالمؤذي له من باطنه.

(٣) واستفراغ المادة الفاسدة: فإنه سبحانه أباح للمحرِمِ الذي به أذى من رأسه أن يحلقه، فيستفرغ بالحلق الأبخرة المؤذية له، وهذا من أسهل أنواع الاستفراغ وأخفها، فنبه به على ما هو أحوج إليه منه.

ص ٢٦ ـ وهذا كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن، ويشقى بما يشقى به البدن، فكذلك البدن يتألم كثيرًا بما يتألم به القلب، ويُشقيه ما يُشقيه.

ص٣٢ ـ الوحي إنما ينفع القلوب الحية، وحياتُنا إنما هي بما يدعونا إليه الرسول من العلم والإيمان.

ص٣٧ ـ وينبغي أن يعرف أن هاتين القوتين: قوة العلم والتمييز، وقوة الإرادة والحب: لا تتعطلان من القلب؛ بل إن استعمل قوته العلمية في معرفة الحق وإدراكه، وإلا استعملها بمعرفة ما يليق به ويناسبه من الباطل، وإن استعمل قوته الإرادية العملية في العمل به، وإلا استعملها في ضده، فالإنسان حارث همام بالطبع، كما قال النبي ﷺ: «أصدق الأسماء حارث وهمام»، فالحارث: الكاسب العامل، والهمام: المريد.

ص٤٧ ـ وليس المقصود بالعبادات والأوامر المشقةَ والكلفةَ بالقصد الأول، وإن وقع ذلك ضمنًا وتبعًا في بعضها.

ص٤٩ ـ قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣﴾، هَضَمَ معنى الآية من قال: ينظرون إلى أعدائهم يعذبون، وينظرون إلى قصورهم وبساتينهم؛ بل المراد: ينظرون إلى وجه ربهم تعالى.

ص ٥٠ ـ وقوله في آخر المطففين: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥﴾ فأطلق النظر

ولم يقيده، ويُحمل على النظر إلى الله تعالى؛ لأنه مقابل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾.

ص٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٥٥﴾، الصحيح أن معناها: أن العذاب بها في الدنيا هو: ألمُ أصحاب الدنيا وتعبهم في طلبها وإيثارها على الآخرة، ومن أبلغ العذاب في الدنيا: تشتيت الشمل، وتَفَرُّق القلب، وكون الفقر نُصْبَ عيني العبد لا يفارقه.

ص٥٨ ـ محب الدنيا لا ينفك من ثلاث: هَمٌّ لازم، وتعب دائم، وحسرة لا تنقضي؛ لأن محبها لا يَنال منها شيئًا إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه.

ص٥٨ ـ نصيحة الحسن إلى عمر بن عبد العزيز = نصيحة عظيمة.

ص٦١ ـ والمقصود: أن من أحب شيئًا سوى الله، ولم تكن محبته له لله، ولا لكونه مُعِينًا له على طاعة الله: عُذِّب به في الدنيا.

ص٧٢ ـ قال ابن القيم عن الرازي: وهو أفضل أهل زمانه على الإطلاق في علم الكلام والفلسفة.

ص٧٣ ـ القلب لا يزكو ولا ينمو ولا يتم صلاحه إلا بالقرآن والإيمان.

ص٧٤ ـ غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد عظيمة:

ص٧٥ ـ ١ ـ حلاوة الإيمان ولذته.

ص٧٦ ـ ومحبة غير الله إنما تُبْلَى به القلوب الفارغة من حب الله والإخلاص له، فإن القلب لا بد له من التعلق بمحبوب، فمن لم يكن الله وحده محبوبَه وإلهَه ومعبوده؛ فلا بد أن يتعبد قلبُه لغيره، ولهذا تعلقت امرأة العزيز بيوسف، مع أنها ذات بعلٍ؛ لِشِرْكِها، ويوسف امتنع لإخلاصه.

٢ ـ نور القلب وصحة الفراسة.

٣ ـ قوة القلب وشجاعته وثباته.

ص٨٠ ـ وقد اختلف في الضمير في قوله: (زكاها)، فقيل: هو لله، أو إلى فاعل: (أفلح)، وهو: (مَنْ)، وعلى الأول: قد أفلحتْ نفسٌ زكاها الله، وعلى الثاني: قد أفلح من زكى نفسه.

استدل الأولون بـ:

(١) حديث: «رَبِّ أَعطِ نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»، فالله هو المزكّي، والعبد هو المتزكي، وما جاء في القرآن من إضافة الزكاة إلى العبد، نحو: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: تَقبل تزكية الله لك فتزكى.

(٢) أنه اختيار ترجمان القرآن ابن عباس، فإنه قال: (قد أفلح من زكى اللهُ نفسَه)، واختاره ابن جرير.

(٣) ويشهد له قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾، فأخبر أنه خالق النفس وصفاتها.

واستدل الفريق الآخر: أنه ظاهر الكلام، ويدل عليه: أن النفس مؤنثة، والضمير مؤنث، ولو كان يرجع إلى الله لكان وجهه: قد أفلحت نفس زكاها. أو أفلحت من زكاها. وعليه جمهور المفسرين، وأصحاب ابن عباس.

وثمت قول ثالث: أي: قد خاب من دسّ نفسه مع الصالحين وليس منهم.

ص٨٦ ـ وجمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾؛ القلب، والمراد بالطهارة: إصلاح الأخلاق والأعمال.

وقال قتادة: «نفسَك فطهر من الذنب»، وعليه: فالثياب عبارة عن النفس، والعرب تكني بالثياب عن النفس، ومنه قول الشماخ:

رَمَوْها بأثوابٍ خفافٍ فلا تَرَى   لها شَبَهًا إلا النّعام المنفرا

أي: رموها بأبدانهم.

وقال عنترة:

فَشَكَكْتُ بالرُّمح الأصم ثيابَه ليس الكريمُ على القنا بمحرّم

يعني: نفسه.

ص٩١ ـ وقد يُكنى عن النساء بالثياب واللباس، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.

ص٩٥ ـ جعل الله الدخول عليه موقوفًا على الطهارة، وكذلك دخول الجنة موقوف على الطيب والطهارة.

ص٩٦ ـ وسألت شيخ الإسلام عن معنى دعاء النبي ﷺ: «اللهم طهرني من خطاياي بالماء والثلج والبَرَد»؛ كيف تطهر الخطايا بذلك؟ وما فائدة التخصيص بذلك؟

فقال: الخطايا توجِب للقلب حرارة ونجاسة وضعفًا، والخطايا بمنزلة الحطب، والماء يغسل الخبث، ويطفئ النار.

ص٩٦ ـ من كمال بيانه ﷺ: تمثيل الأمر المعنوي بالأمر المحسوس.

ص ٩٩ ـ قوله ﷺ إذا خرج من الخلاء: «غفرانك»؛ في هذا: أن النّجو يثقل البدنَ، فنبَّه إلى ثِقل الذنوب، وأن بقاءها يؤذي، كبقاء النجو في البدن.

ص١٠٠ ـ النجَس: عين النجاسة، والنجِس: المتنجس.

ص١٠٦: نجاسة الزنا واللواط أغلظ من غيرهما؛ من جهة: أنها تُفسد القلب، وتضعف توحيده جدًّا، وأحظى الناس بها أكثرهم شركًا، والإخلاص يُبعده.

ص١٠٧ ـ كلما قوي التوحيد صُرف عن القلب تعبد الصور والعشق لها.

ص ١٠٧ ـ فليس في الذنوب أفسد للقلب والدين من هاتين الفاحشتين.

ص١٠٩ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾.

ص١١٢ ـ من عرف كل شيء ولم يعرف ربه: فكأنه لم يعرف شيئًا، ومن لم يظفر بمحبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه: فكأنه لم يظفر بشيء من اللذات. وكل من عرف الله: أحبه ولابد.

ص١١٣ ـ قد يمرض القلب ويشتد ولا يشعر به صاحبه؛ لاشتغاله عنه، وقد يشعر بمرضه، ولكن يشتد عليه تحمّل الدواء والصبر عليه، فإن دواءه في مخالفة الهوى، وذلك أصعب شيء عليه. وتارة يصبر ثم ينفسخ عزمه لضعف علمه وبصيرته وصبره.

ص١١٤ ـ كلام أبي شامة: أن المراد بلزوم الجماعة: لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلًا. ثم ذكر سؤال عمرو بن ميمون الأودي لابن مسعود.

ص١١٦ ـ مقولة محمد بن أسلم الطوسي: «ما بلغني سُنةٌ عن رسول الله ﷺ إلا عملت بها...».

ص ١١٦ ـ من علامات أمراض القلوب: عدولها عن الأغذية النافعة إلى الضارة، وعدولها عن دوائها النافع إلى دائها الضار.

ص١١٧ ـ أنفع الأغذية: غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية: دواء القرآن.

ص١١٨ ـ من علامات صحة القلب: ارتحاله عن الدنيا، ونزوله في الآخرة.

ص١١٨ ـ وكلما صح القلب من مرضه: ترحل إلى الآخرة، وقرب منها، حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتلَّ: آثر الدنيا واستوطنها.

٢ ـ ومن علامات صحة القلب: أنه لا يزال يَضرِب على صاحبه حتى ينيب إلى الله، ويُخْبِت إليه.

ص١٢٠ ـ ٣ ـ أنه لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره؛ إلا من يدله عليه، ويُذَكِّرُه به، ويذاكره بهذا الأمر.

(٤) أنه إذا فاته وِرْدُه وجد لفواته ألمًا.

(٥) الشوق إلى الخدمة، كما يشتاق الجائع إلى الطعام والشراب.

(٦) إذا دخل في الصلاة ذهب هَمُّه وغَمُّه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها.

(٧) أن يكون هَمُّه واحدًا، وأن يكون في الله.

(٨) أن يكون أشحَّ بوقته أنْ يذهب ضائعًا مِن أشد الناس شحًّا بماله.

(٩) أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل.

ص١٢١ ـ كلام عظيم يكتب بدمع العيون: القلب الصحيح هو: الذي يكون همه كله في الله، وحُبُّه كله له...

ص١٢٥ ـ اتفق السالكون إلى الله على اختلاف طُرقهم وتباين سلوكهم: على أن النفس قاطعةٌ بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يُدْخَل عليه سبحانه ولا يُوصَل إليه إلا بعد تركها، وإماتتها بمخالفتها، والظفر بها.

ص١٢٦ ـ الناس على قسمين: قوم ظفرت بهم نفوسهم، وقوم ظفروا بأنفسهم.

ص ١٣٠ ـ قال الحسن: إن المؤمن ما تَراه ـ واللهِ ـ إلا يلوم نفسه على كل حالاته، يستقصرها في كل ما يفعل، فيندم ويلوم نفسه، وإن الفاجر لَيَمضِي قُدُمًا لا يعاتب نفسه.

ص ١٣٧ ـ فحُقَّ على الحازم والمؤمن بالله واليوم الآخر: أن لا يغفل عن محاسبة نفسه، والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها، فكل نَفَس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا خَطَر لها...

ص١٣٩ ـ حَقُّ الله في طاعته ستةٌ:

(١) الإخلاص في العمل.

(٢) المتابعة.

(٣) شهود مشهد الإحسان فيه.

(٤) شهود مِنة الله عليه.

(٥) النصيحة له.

(٦) شهود تقصيره فيه.

ص١٤٠ ـ أضر ما على العبد: الإهمال، وترك المحاسبة، والاسترسال، وتسهيل الأمور، وتمشيتها.

ص١٤٠ ـ وجماع المحاسبة: المحاسبة على الفرائض، ثم المناهي، ثم الغفلة، ثم الكلام، ثم الجوارح.

ص١٤٢ ـ النعيم المسؤول عنه نوعان: نوعٌ أُخِذ من حِلّه، وصُرف في حقه، فيُسأل عن شكره، ونوعٌ أُخِذ بغير حِلّه، وصُرف في غير حقه، فيُسأل عن مستخرجه ومصرفه.

ص١٤٥ ـ قصة صِلة بن أشيَم مع الأسد.

ص١٤٧ ـ فالنفس داعية إلى المهالك، معينة للأعداء، طامحة إلى كل قبيح، متبعة لكل سوء، فهي تجري بطبعها في ميدان المخالفة، فالنعمة التي لا خطر لها: الخروج منها، والتخلص من رقّها، فإنها أعظم حجاب بين العبد وربه...

ص١٤٩ ـ ومَقْتُ النفس في ذات الله من صفات الصِّديقين، ويدنو العبد به من الله سبحانه في لحظة واحدة أضعاف ما يدنو بالعمل.

ص١٥١ ـ مِن أنفع ما للقلب: النظر في حق الله على العبد، فإن ذلك يورثه الإزراء على نفسه، وهذا محل نظر العارفين.

ص١٥٣ ـ تضمن دعاء: أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه...: أسباب الشر وغايته.

ص١٥٧ ـ الاستعاذة بالله من الشيطان عند قراءة القرآن لها ثمان فوائد.

ص١٦٤ ـ جاء في الحديث تفسيرُ همز الشيطان ونفخه ونفثه: (وهمزه: المُوتَة، ونفخه: الكِبْر، ونفثه: الشعر)، والتحقيق أن همزات الشياطين: دفعهم الوساوس والإغراء إلى القلب.

ص١٧١ ـ كلام ابن تيمية في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ...﴾.

ص١٧٣ ـ حقيقة الأز في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾، قال ابن عباس: تغريهم إغراءً. وله معنيان:

(١) التحريك.

(٢) الإيقاد والإلهاب. وهما متقاربان.

ص١٧٩ ـ قول من قال: الأَيمان كنايةٌ عن الحسنات، والشمائلُ كنايةٌ عن السيئات، في قول الله تعالى: ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾، قولٌ حسن؛ لأن العرب تقول: اجعلني في يمينك، ولا تجعلني في شمالك، تريد: اجعلني من المقدَّمين عندك.

ص١٨٥ ـ رخص أحمد تثقيب أُذني البنت، وكرهه في حق الصبي، واحتُجَّ بحديث أم زرع، وفيه: «أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ»، وقال النبي ﷺ: «كنتُ لك كأبي زَرْعٍ لأمّ زَرْع».

ص١٩٠ ـ فالمَلَك والشيطان يتعاقبان على القلب كتعاقب الليل والنهار، فمِن الناس من يكون ليله أطول من نهاره، وآخر بضده، ومن الناس من يكون زمنه نهارًا كله، وآخر بضده.

ص١٩٣ ـ ومن كيد الشيطان: أنه يخوِّف المؤمنين من جنده وأوليائه، حتى لا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر.

ومن مكايده: أنه يسحر العقل دائمًا حتى يكيده، ولا يسلم منه إلا من شاء الله.

ص١٩٧ ـ كان عبد الله بن عباس يقرأ: (ملكين) بكسر اللام في قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾، ويقول: «لم يطمعا أن يكونا من الملائكة، ولكن استشرفا أن يكونا ملِكين، فأتاهما من جهة الملك».

وأما على القراءة بفتح اللام فيقال: كيف أَطْمَعَ عدوُّ الله آدمَ أن يكون بأكله من الشجرة من الملائكة، وهو يرى الملائكة لا تأكل ولا تشرب؟ فالجواب. . .

ص١٩٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾؛ تضمن عدة مؤكدات.

ص٢٠١ ـ دلُّه وسَمْتُه: الدَّلُّ: ما يدل ظاهره على باطنه، والسّمت: هيأته ووقاره ورزانته.

ص٢٠٢ ـ ومن كيده: أنه ينظر في نَفْس العبد: إن كان الغالب عليه القوة والإقدام؛ قاده إلى الغلو والزيادة، وإن كان الغالب عليه الانكفاف والإحجام؛ قاده إلى التقصير.

ص٢٠٩ ـ أوصى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع، ولا يلقاهم إلا بالعبوس والإعراض، وكذلك النساء والمردان.

ومن كيده: أنه يأمرك أن تَلقى المساكين بوجه عبوس.

ص٢١١ ـ كان رسول الله ﷺ يشتري حاجته ويحملها بنفسه، وانظر نماذج من تواضع الصحابة.

ص٢١٤ ـ فما يُلقَى في القلوب لا عبرة به ولا التفات إليه إن لم يُعرَض على ما جاء به الرسول، وإلا فهو من إلقاء النفس والشيطان.

ص٢١٥ ـ قول الجنيد: عن أبي سليمان الداراني: «ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أيامًا فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين من الكتاب والسنة».

ص٢١٥ ـ قول أبو زيد: لو نظرتم إلى الرجل أُعطِي من الكرامات حتى

يترفّع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود.

ص٢٢٢ ـ قال المرُّوذي: «وضّأت أبا عبد الله بالعسكر، فسترته من الناس؛ لئلا يقولوا: إنه لا يحسن الوضوء؛ لقلة صَبِّه الماء».

ص٢٣١ ـ نَقْل ابن القيم عن ابن قدامة في الوسوسة.

ص٢٣٧ ـ لو أدرك رسول الله ﷺ الموسوسين لمقتهم، ولو أدركهم عمر لضربهم وأدربهم، ولو أدركهم الصحابة لبدعوهم.

ص٢٣٩ ـ النية الحاصلة لا يمكن تحصيلها، والموجودة لا يمكن إيجادها؛ لأن شرط إيجاد الشيء كونه معدومًا...

ص٢٤٠ ـ إن قال الموسوس: هذا مرض بُليت به، فيقال: نعم، سببه: قبولك من الشيطان ولم يَعذر اللهُ أحدًا بذلك.

ص٢٤٧ ـ قول سعيد بن المسيب: إن لي رَكْوَةً أو قدحًا ما يسع إلا نصف مُدٍّ أو نحوه، أبول ثم أتوضأ منه، وأُفْضِل منه فضلًا.

ص٢٥٠ ـ إذا قَرنت حديث: «سيكون في هذه الأمة قوم يَعْتَدُون في الطُّهور والدعاء»، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، وعلمت أن الله يحب عبادته = أنتج لك من هذا أن وضوء الموسوس ليس بعبادة يقبلها الله، وإن أسقطت الفرض عنه.

ص٢٥١ ـ فأمر النبي ﷺ بتكذيب الشيطان في قوله: «إذا أتى أحدَكم الشيطانُ فقال له: أحدثتَ، فليقل له: كذبتَ...»، فيما يحتمل صدقه؛ فكيف إذا كان كذبه معلومًا متيقنًا، كقوله للموسوس: لم تفعل كذا، وقد فَعَله.

ص٢٥٩ ـ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ لما خلع نعليه في الصلاة قال: «إن جبريل أتاني فأخبرني أن بهما خبثًا، فإذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه، ثم لينظر، فإن رأى خبثًا فليمسحه بالأرض، ثم ليصل

فيهما»، وتأويل ذلك وحمْله على ما يستقذر؛ من مخاط أو نحوه من الطاهرات لا يصح؛ لوجوه. . .

ص٢٧٠ ـ ذُكر عن بعض الصحابة الإتيانُ إلى المسجد حافين، فقال المجد ابن تيمية: «وهذا كله يقوي طهارة الأرض بالجفاف. . .»، وقال أبو قلابة: «جفاف الأرض طهورها».

ص٢٩٨ ـ كانت قراءة الرسول ﷺ سهلة رسلة.

ص٣٠١ ـ قال ابن تيمية: والاحتياط حسنٌ؛ ما لم يُفضِ بصاحبه إلى مخالفة السنة، فإذا أفضى إلى ذلك فالاحتياط ترك هذا الاحتياط.

ص٣٠٢ ـ الشبهات: ما يشتبه فيه الحق بالباطل، والحلال بالحرام، على وجه لا يكون فيه دليل على أحد الجانبين. . .

ص٣٠٢ ـ الوسواس تنطع وغلو، وليس فِعله يفضي إلى ترك الشبهة.

ص٣٣٩ ـ إبطال زعم أن العلة عن النهي عن الصلاة إلى القبور لأجل النجاسة من تسعة أوجه.

ص٣٤٨ ـ نقل ابن القيم عن شيخ الإسلام كلامًا في النهي عن ملازمة قبر النبي ﷺ .

ص٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ الاستدلال على بطلان الدعاء عند القبور بعدم عمل الصحابة والتابعين.

ص٣٧٣ ـ قول أبي الدرداء وأنس وضَجَرُهما من أهل زمانهما.

ص٣٨٧ ـ أسباب افتتان عباد القبور بها ثلاثة.

ص٣٨٩ ـ ليس كل من أجيبت دعوته يكون مرضيًّا عنه، أو أن الله يحبه.

ص٣٩٥ ـ كلام حول الشفاعة.

ص٤٠٤ ـ ٤٠٥ ـ نَهى مالكٌ عن الغناء، ومذهب أبي حنيفة من أشد

المذاهب، وقال أبو يوسف ـ في دار يُسمع منها صوت المعازف ـ: ادخل عليهم بغير إذنهم.

ص٤٠٧ ـ كلام ابن الصلاح في الغناء، وحكايته للإجماع، وقوله: من تتبع ما اختَلَف فيه العلماء وأَخَذ بالرخص من أقاويلهم؛ تزندق أو كاد.

ص٤٠٩ ـ قال سفيان بن عيينة: كان يقال: «احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل...»، قال ابن القيم: هما سبب فساد هذه الأمة.

ص٤٠٩ ـ قال سليمان التيمي: لو أخذتَ برخصة كل عالم أو زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله.

ص٤١٩ ـ **أسماء الغناء:** بضعة عشر اسمًا.

ص٤٣٥ ـ **حكمة:** الشاعر يَظُنُّ فَيُحَقِّق، ولا يستأني فيتثبت، ولا يأخذ الفضل فيعفو.

ص٤٤١ ـ من علامات النفاق: قلة ذكر الله، والكسل عند القيام إلى الصلاة، ونقر الصلاة.

ص٤٥٧ ـ الأجوبة عن ادعاء ضعف حديث: «ليكونن أقوام من أمتي قوم يستحلون الحِرَ والحرير».

ص٤٥٨ ـ قوله: «الحِرَ»؛ إن كان بالحاء والراء = استحلال الفرج الحرم. وإن كان بالخاء والزاي = فمعناه نوع من الحرير.

ص٥١٨ ـ الزهري تفرد برواية نحو ستين سُنَّةً لم يروها غيره.

ص٥٨٣ ـ **المخادعة هي:** الاحتيال والمراوغة؛ بإظهار الخير مع إبطان خلافه، وهو موافق لاشتقاقه في اللغة، فإنهم يقولون: طريق خَيْدَع، وللسراب الخَيْدَع، وضبٌّ خَدِع، وأصله: الإخفاء والتستر.

ص٥٨٩ ـ من أكل الربا عالمًا بحرمته: تُرجى له التوبة، ومن أكله مستحلًّا له بحيلة: فهو مُصِرٌّ، ويفضي به إلى شر طويل.

ص٦١١ ـ قال النضر بن شميل: في كتاب الحيل ثلاث وعشرون مسألة كلها كفر. وقال حفص بن غياث: ينبغي أن يكتب عليه كتاب الفجور.

ص٦١٦ ـ إذا تدبرت الشريعة وجدتها قد أتت بسد الذرائع إلى المحرمات، خلاف الحيل التي توصل إليها.

ص٦١٧ إلى ٦٣٢ ـ أمثلة من الأحكام الشرعية على سد الذرائع.

ص٦٢٨ ـ الصحابة اتفقوا على قتل الجماعة الكثيرة بالواحد؛ لئلا يُتخذ ذريعةً إلى إهدار الدماء، وتعاون الجماعة على قتل المعصوم.

ص٦٢٩ ـ منع رسول الله ﷺ الرجل من أخذ حقه ممن خانه على صورة الخيانة: «أدِّ الإمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»؛ لأن ذلك ذريعة إلى إساءة الظن به، ونسبته إلى الخيانة، ولكونه ذريعةً إلى أخذ الزائد عن حقه.

ص٦٤١ ـ استدل البخاري في صحيحه على بطلان الحيل بقوله ﷺ: «لا يُجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع؛ خشيةَ الصدقة»، وقوله: «إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه».

ص٦٦٢ ـ المحرم في باب الحيل: أن يقصد بالعقود الشرعية غير ما شرعها الله ورسوله له، فيقصد المحرَّم بتلك الحيلة.

ص٦٧٩ ـ نص أحمد في مجوسي باع مجوسيًّا خمرًا، ثم أسلما: يأخذ الثمن الذي قد وجب له يوم باعه.

ص٧٨١ ـ كل صاحب باطل لا يتمكن من ترويج باطله إلا بإخراجه في قالَب حق.

ص٧٩٠ ـ المتقدمون من المصنفين ـ كابن شيبة وعبد الرزاق ووكيع وغيرهم ـ يذكرون في أثناء التراجم آثارًا لا تُطابق الترجمة، وإن كان لها بها نوعُ تعلُّق.

ص٨٠٣ ـ قصة أيوب عليه السلام، وتوجيه ضَرْبِهِ لامرأته.

ص٨١٧ ـ عادة الله تعالى في الغايات العظيمة الحميدة: إذا أراد أن يوصل عبده إليها هيأ له أسبابًا من المحن والمشاق، فيكون وصوله إلى تلك الغايات كوصول أهل الجنة إليها بعد الموت.

ص٨١٦ ـ في قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وإخوته ضروبٌ من الحِيَل المستحسنة.

ص٨١٨ ـ فالغايات الحميدة في خبايا الأسباب المكروهة الشاقة، كما أن الغايات المكروهة المؤلمة في خبايا الأسباب المشتهاة المستلَذة.

ص٨٣٦ ـ كلام عظيم عن عشاق الصور.

ص٨٤٥ ـ قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾: عنى بالمرة: صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات...

ص٨٥٥ ـ قال ثوبان: كان رسول الله ﷺ إذا راعَه أمر قال: «الله ربي، لا أشرك به شيئًا»، وفي لفظ: «هو الله لا شريك له»، وقالت أسماء بنت عميس: علمني رسول الله ﷺ كلماتٍ أقولها عند الكرب: «الله، الله ربي، لا أشْرِك به شيئًا».

ص٨٥٩ ـ فالنفس تهوى ما يضرها ولا ينفعها؛ لجهلها بمضرته لها تارةً، أو لفساد قصدها تارة، أو لمجموعهما تارة.

ص٨٥٩ ـ أصل كل خير هو العلم والعدل، وأصل كل شر هو الجهل والظلم.

ص٨٦٢ ـ كان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول في المسائل الخبرية والعملية: أهل الشبهات والأهواء.

ص٨٦٥ ـ **المحبة النافعة ثلاثة أنواع:** محبة الله، ومحبة في الله، ومحبة ما يعين على طاعة الله واجتناب معصيته، والضارة ثلاثة أنواع: المحبة مع الله، ومحبة ما يبغضه الله، ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله أو تنقصها.

ص٨٦٦ ـ محبة الصور المحرمة وعشقها من موجِبات الشرك.

ص٨٧٣ ـ قد يكون الشيء من أعظم المحرمات وليس فيه حد مقدَّر، كالميتة والدم ولحم الخنزير.

ص٨٧٤ ـ الكفر والفسوق درجات، كالإيمان، ثم ساق ابن القيم الآيات الدالة على ذلك.

ص٨٧٦ ـ تتفاوت درجات الذنب بحسب الزمان والمكان والأحوال، فالزنى في رمضان ليس كغيره. وبحسب الفاعل، فالحر ليس كالعبد، والزنى من الشيخ أقبح من الشاب، ومن العالِم أقبح من الجاهل.

ص٨٨٤ ـ ومعلوم أن شارب الخمر لا يدوم سكره بها، وأما سَكرة العشق فَقَلَّ أن يستفيق صاحبها؛ إلا إذا جاءت الرسل تطلبه للقدوم على الله تعالى.

ص٨٩١ ـ لفظ الفتنة في القرآن يُراد به: الامتحان الذي لم يفتتن صاحبه؛ بل خلص من الافتتان، ويراد بها الامتحان الذي حصل معه افتتان.

ص٨٩٩ ـ العبد في هذه الدار مفتون بشهواته، ونفسه الأمارة، وشيطانه المغوي الـمُزين، وقرنائه...

ص٩٠٠ ـ فتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقِلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى.

ص٩٠٢ ـ كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوًى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه.

ص٩١٢ ـ قد دارت عبارات السلف على أن الفضل والرحمة ـ في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ ـ هو: العلم والإيمان واتباع الرسول، وهذا من أعظم الرحمة.

ص٩١٧ ـ ومن رحمة الله بعباده: تنغيص الدنيا عليهم، وتكديرها؛ لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا في النعيم المقيم، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان.

ص٩٢١ ـ سوء الظن بالله مرجعُه إلى أمرين:

(١) حُسن ظن العبد بنفسه ودينه، واعتقادُه أنه قائم بما يجب عليه، وتارك لما نهي عنه.

(٢) اعتقاده أن الله قد لا يؤيد صاحب الدِّين الحق، وأنه يجعله يعيش عمره مُستضامًا مظلومًا مقهورًا.

ص٩٢٣ ـ سعادة العبد وكمال لذته ونعيمه موقوف على هذه المقامات الخمسة: علمه بالنعيم المطلوب، ومحبته له، وعلمه بالطريق الموصل إليه، وعمله به، وصبره على ذلك.

ص٩٢٥ ـ الإنسان مجبول على حب نفسه، فهو لا يرى إلا محاسنها، ولا يرى لخصمه إلا مساوئه؛ بل قد يشتد به حُبُّه لنفسه حتى يرى مساوئها محاسن: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾.

ص٩٤١ ـ فأَلَمٌ يسير يُعْقِبُ لذةً عظيمة دائمة أولى بالاحتمال من لذة يسيرة تعقِبُ أَلَمًا عظيمًا دائمًا، والتوفيق بيد الله.

ص٩٤١ ـ البلاء الذي يصيب العبد في الله لا يَخرج عن أربعة أقسام: بلاء في النفس، أو المال، أو العِرض، أو الأهل ومن يُحب.

ص٩٤٤ ـ محبة الله والأنس به والشوق إليه والرضا به وعنه: أصل الدين.

ص٩٤٥ ـ المخلوق كلما خِفته استوحشت منه وهربت منه، واللهُ سبحانه كلما خِفته أنِسْتَ به وفررت إليه.

ص٩٤٦ ـ محبة الله شأنها عظيم.

ص٩٤٦ ـ الحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه فوق كل حلاوة.

ص٩٤٧ إلى ٩٥٠ ـ كلام عظيم في محبة الله.

ص٩٥٠ ـ النفوس ثلاثة: مطمئنة إلى ربها، وهي أشرف النفوس وأزكاها، ونفس مجاهدة صابرة، ونفس مفتونة بالهوى والشهوات.

ص٩٧٤ ـ ذكر أن مشركي الصائبة يصومون لبعض أصنامهم.

ص١٠٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ...﴾ قوله: نتخذ، فيه قراءتان صحيحتان:

(١) فتح النون وكسر الخاء = قراءة الجمهور.

(٢) ضم النون وفتح الخاء = قراءة الحسن ويزيد بن القعقاع. وكلاهما صحت لفظًا ومعنى، وقراءة الجمهور أبلغ وأحسن.

ص٩٨٠ ـ فصلٌ في أن القرآن أبطل تشبيه المخلوق بالخالق، ولا توجد طائفة من طوائف بني آدم شبهوا الخالق بالمخلوق.

ص١٠٠٩ ـ صَبَأَ: إذا خرج من شيء إلى شيء، وصَبَا يَصْبُو: إذا مال، **فالأول:** ميل عن الشيء، **والثاني:** ميل إليه، واسم الفاعل: صَابِئٌ، والثاني: صابٍ، كقاضٍ، وجَمْع الأول: صابئون، والثاني: صابون.

ص١٠١٧ ـ معنى فيلسوف: محبة الحكمة، وأصله: فِيْلاسوفا. فيلا: محب، سُوفا: الحكمة.

ص١٠١٩ ـ الأصل أن الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها.

وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصًّا بمن خرج عن ديانات الأنبياء، وفي عرف المتأخرين اسمٌ لمن تَلَقَّف تهذيب ابن سينا لفلسفة أرسطو، وهم المشاؤون خاصة، ولا يَعرف سواها المتأخرون من المتكلمين.

ص١٠١٩ ـ قيل: ليس من يقول بقدم العالم سوى أرسطو.

ص١٠١٩ ـ الأساطين من الفلاسفة قبل أرسطو كانوا يقولون بحدوث العالم، وإثبات الصانع، وأنه فوق العالم وفوق السماوات بذاته وعلى الصفات والأفعال، كما قرره: أبو البركات البغدادي.

ص١٠٢١ ـ حكى أرباب المقالات أن أول من عُرِف عنه القولُ بقدم العالم أرسطو، وكان مشركًا يعبد الأصنام، وقد تعقبه بالرد عليه طوائفُ المسلمين، من الجهمية والقدرية والمعتزلة.

ص١٠٢٧ ـ الرازي لا يعرف الفلسفة إلا من طريق ابن سينا.

ص١٠٣٠ ـ أفلاطون كان معروفًا بالتوحيد وإنكار عبادة الأصنام.

ص١٠٥٤ ـ كان بعض أئمة الإسلام إذا رأى صليبيًّا أغمض عينيه، وقال: لا أستطيع أن أملأ عيني ممن سب إلهه ومعبوده بأقبح السب. وقددقال عقلاء الملوك: إن جهاد هؤلاء واجب شرعًا وعقلًا، إنهم عارٌ على بني آدم.

ص١٠٨٦ ـ أصل السجود: الانحناء لمن تعظمه، فكل مُنْحَنٍ لشيء معظمًا له فهو ساجد، قاله ابن جرير وغيره.

ص١١٠٩ ـ تَنَاقُضُ إبليس وعباد الأصنام والنصارى والفرعونية.

ص١١٢١ ـ قال يهودي للنبي ﷺ: إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استراح، فشق ذلك على النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾، ونزل عقيبها: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، فأمره الله أن يصبر على قول المشركين فيما نسبوه إليه، ويكون له أسوة بربه؛ حيث قال أعداؤه فيه ما لا يليق.

ص١١٣٤ ـ من المعلوم أن مَن أثبت شيئًا ونفى نظيره فقد تناقض.

ص١١٣٦ ـ الخلاف في التوراة: هل هي مبدلة أم التبديل والتحريف وقع في التأويل دون التنزيل؟ انظر الخلاف.

ص١١٣٩ ـ الأدلة على أن الذبيح إسماعيل.

انتهيت من الفهرسة (١٤/ ١١/ ١٤٣٤هـ)

فوائد من تفسير ابن كثير(١)

١ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: مات النبي ﷺ ولم يَجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ونحن ورِثْنَاه.

قال ابن كثير: معنى قول أنس: «ولم يَجمع القرآن»؛ يعني: من الأنصار سوى هؤلاء، وإلا فمن المهاجرين جماعةٌ كانوا يجمعون القرآن، كالصِّدِّيق، وابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وغيرهم.

وقال أبو بكر الباقلاني: قول أنس رضي الله عنه: «لم يَجمعه غير أربعة»، يحتمل: لم يأخذه تَلَقِّيًا من فِي رسول الله ﷺ غير هؤلاء الأربعة، وأن بعضهم تَلَقَّى بعضَه عن بعض. قال: وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ؛ لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول لهم.

---

(١) اسم تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم)، وابن كثير هو: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير. وكتابه هذا يُعَدُّ من أهم كتب التفسير، فقد فسر القرآن كاملًا، وجرى على نمط بديع في التفسير، فهو يذكر الآية أو الآيات، ثم يذكر المعنى العام لها، كما اعتمد رحمه الله أسلوب تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالحديث، ثم بأقوال الصحابة فالتابعين. وأما الإسرائيليات فقد أعرض عن كثير منها، وفي هذا يقول ـ كما في تفسير سورة الأنبياء ـ: «... ما قَصَّهُ كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بني إسرائيل، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم: قبلناه؛ لموافقته الصحيح، وما خالف شيئًا من ذلك: رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة: لا نُصدقه ولا نُكذبه؛ بل نجعله وقفًا، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما لا يُنتفع به في الدين، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة، والذي نسلكه في هذا التفسير: الإعراضُ عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية؛ لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروَّج عليهم، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة».

٢ ـ ترتيب الآيات والسور أمرٌ توقيفيٌّ متلقًّى عن الرسول ﷺ ، وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٣ ـ اختلفوا في المراد: بأن القرآن نزل على سبعة أحرف، على خمسة وثلاثين قولًا، كما ذكرها ابن حبان، وذكر القرطبي منها خمسة، ولخصها ابن كثير وحاصلها:

(١) أي: سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة. وهو قول الأكثر، كابن عيينة، وابن وهب، والطبري، والطحاوي.

(٢) أن بعضه على حرف، وبعضه على حرف آخر.

(٣) أن لغات القرآن السبع منحصرة في مُضر على اختلاف قبائلها خاصة.

(٤) أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء:

أ ـ ما تتغير حركته، ولا تتغير صورته ولا معناه.

ب ـ ومنها ما لا تتغير صورته، ويختلف معناه، مثل: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾، ولو فتحت العين والدال في باعد لاختلف المعنى.

ت ـ وقد يكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف مثل: ﴿نُنشِزُهَا﴾: وننشرها.

(٥) المراد بها: معاني القرآن، وهي: أمر، ونهي، ووعد، ووعيد، وقصص، ومجادلة، وأمثال، ووعد.

٤ ـ حاصل ما ذكره ابن كثير عن ترتيب سور القرآن: أن مصاحف الصحابة مختلفة اختلافًا شديدًا، وهذا يدل على أن ذلك ليس توقيفًا، وأن معنى قول ابن مسعود: إنما يَقرأ ذلك منكوس القلب. أي: من نكس آياته؛ بأن يقرأ السورة بالعكس، وأيضًا يُستدل بقول عائشة: (ولا يضرك أيَّهُ قرأت قبل).

٥ ـ قال رسول الله ﷺ : «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها

على الله». وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم الذي شرفه الله تعالى على كل كتاب أنزله، جعله مهيمنًا عليه، وناسخًا له، وخاتمًا له؛ لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة، وهذا القرآن نزل منجمًّا بحسب الوقائع؛ لشدة الاعتناء به، وبمن أَنزله عليه، وكل مرة ينزل فيها شيءٌ من القرآن كنزول كتاب من الكتب المتقدمة.

٦ ـ قال ﷺ: «لم يَأْذَنِ الله لشيء ما أَذِنَ لنبي أن يَتغنى بالقرآن»، معناه: أن الله ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت؛ لكمال خَلقهم، وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك.

٧ ـ المراد بالتغني بالقرآن: تَحسين الصوت به، وتَحزينه، وفسَّره الشافعي: يَتَحَزَّنُ ويَتَرَنَّمُ به.

٨ ـ يجوز تَكَلُّف الترتيل؛ لقول أبي موسى: أما والله لو علمت أنك تستمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرًا.

٩ ـ والغرض المطلوب شرعًا: إنما هو التحسين بالصوت الباعثُ على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن يُنَزَّهُ عن هذا ويُجَلُّ ويُعَظَّم.

١٠ ـ شأنُ خيار الأبرار: أن يكمل في نفسه، وأن يَسعى في تكميل غيره.

١١ ـ اختلفوا في الأفضل: قراءة القرآن عن ظهر قلب، أم من المصحف؟ الأكثر على النظر من المصحف؛ لاشتماله على عبادتين: التلاوة، والنظر إلى المصحف. وقد صرح به السلف، وكرهوا أن يأتي يوم ولم يفتحِ العبدُ المصحف لينظر فيه. وقد جاء عن عدد من الصحابة القولُ بالنظر في المصحف، وذهب بعضهم إلى تعليق الأفضل بحسب الخشوع، وذكر النووي أنه الظاهر من فعل السلف.

١٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت؛ بل هو نُسي»، والنهي عن قول: نسيت آية كذا وكذا؛ لأنه ليس من فعل العبد، وقد يَصدر عنه أسبابُه؛ من التناسي والتغافل والتهاون المفضي إلى ذلك، فأما النسيان نفسُه فليس بفعله، ولهذا قال: «بل هو نُسي»، وقد أُسند النسيان إلى العبد في قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾، وهو ـ والله أعلم ـ من باب المجاز السائغ بذكر المسَبَّبِ وإرادة السبب؛ لأن سبب النسيان قد يكون ذنبًا.

١٣ ـ اختلفوا في معنى السورة: مِمَّ هي مشتقة؟

(١) قيل: من الإبانة والارتفاع.

(٢) لشرفها وارتفاعها، كسور البلد.

(٣) وقيل: لكونها قطعة من القرآن وجزءًا منه، مأخوذ من أسآر الإناء، وهو البقية.

(٤) وقيل: لتمامها وكمالها؛ لأن العرب يسمون الناقة التامة سورة.

قال ابن كثير: ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها، كما سُمي سور البلد؛ لإحاطته بمنازله ودوره، والله أعلم.

١٤ ـ قال القرطبي: أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيءٌ من التراكيب الأعجمية، وأجمعوا على وجود أعلام أعجمية، كإبراهيم ونوح ولوط.

١٥ ـ من أسماء الفاتحة:

(١) الصلاة، لأنها شرط فيها.

(٢) الشفاء.

(٣) الرقية.

(٤) أساس القرآن؛ لكنها من تسمية ابن عباس.

(٥) الكنز.

(٦) أم القرآن.

(٧) السبع المثاني.

١٦ ـ وسميت أم الكتب: قيل: إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته. قال ابن جرير: والعرب تسمي كل جامِع أمرٍ أو مقدِّمٍ لأمر ـ إذا كانت له توابعُ تتبعه هو لها إمام جامع ـ أُمًّا، فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: أم الرأس، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أمًّا.

١٧ ـ استدل بعضهم بحديث: «ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بأخير سورة في القرآن؟ . . . ثم ذكر الفاتحة»؛ على تَفاضل بعض الآيات والسور على بعض، كما هو المحكي عن كثير من العلماء، منهم: إسحاق بن راهويه، وأبو بكر بن العربي، وابن الحصار من المالكية.

وذهب بعضهم إلى أنه لا تَفاضل في ذلك؛ لأن الجميع كلام الله، ولئلا يوهم التفضيلُ نقصَ المفضل عليه.

١٨ ـ ثلاث آيات وردت بإحسان الخُلق مع العدو الإنسي، وأعقبت بالاستعاذة من العدو الشيطاني:

(١) ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾.

(٢) ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

(٣) ﴿... ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾.

والنكتة: أن الله يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه؛ ليرده عنه طبعُه الطيب الأصل إلى الموادة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة؛ إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم؛ لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبلُ، كما قال الله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ

﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾، وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾، وقد أَقسم للوالد إنه لمن الناصحين، وكذب، فكيف معاملته لنا وقد قال: ﴿... فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾.

١٩ ـ ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أي: أستجير بِجَناب الله من الشيطان الرجيم؛ أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أُمرت به، أو يحثني على فعل ما نُهيت عنه، فإن الشيطان لا يَكفه عن الإنسان إلا اللهُ.

٢٠ ـ الشيطان في لغة العرب مشتق من شَطَن إذا بَعُد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وقيل: مشتق من شاط؛ لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب.

٢١ ـ الرجيم بمعنى: مرجوم؛ أي: مطرود عن الخير كله، والرجيم بمعنى: الراجم؛ لأنه يَرجم الناس بالوساوس والربائث.

٢٢ ـ فإن قيل: فإذا كان الرحمن أشد مبالغة؛ فهلَّا اكتُفِي به عن الرحيم؟

٢٣ ـ الجواب: روي عن عطاء الخراساني ما معناه: أنه لما تَسمى غيرُه تعالى بالرحمن، جِيء بلفظ الرحيم؛ ليقطع التوهم بذلك، فإنه لا يُوصف بالرحمن الرحيم إلا الله تعالى.

٢٤ ـ سبب تخصيص ملكه ليوم الدين؛ مع أنه أَخبر بأنه رب العالمين، وملك كل شيء: لأن هناك تزول أملاك الخلائق، ولا يَدعي أحدٌ هنالك شيئًا، ولا يَتكلم أحدٌ إلا بإذنه.

٢٥ ـ قُدمت العبادة على الاستعانة لأنها المقصودة، والاستعانة هي وسيلة إليها، والأَولى تقديم الأهم فالأهم.

٢٦ ـ سمّى الله رسوله ﷺ بعبده في أشرف المقامات:

(١) ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾: عند إنزال الكتاب.

(٢) ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ...﴾: عند قيامه في الدعوة.

(٣) ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾: عند إسرائه به.

(٤) وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقاتٍ يَضيقُ صدره من تكذيب المخالفين له، حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾.

٢٧ ـ اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وحاصلها يرجع إلى: المتابعة لله وللرسول ﷺ.

٢٨ ـ فإن قيل: كيف يَسأل المؤمن الهداية في كل وقت؛ من صلاة وغيرها، وهو متصف بذلك؟ فالجواب: أن العبد مفتقرٌ إلى الله في كل ساعةٍ وحالةٍ في تثبيته على الهداية، ورسوخه فيها، وتبصره، وازدياده منها، واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؛ إلا ما شاء الله، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله، فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار، وحاصله: استمر بنا عليه ولا تَعدل بنا إلى غيره.

٢٩ ـ نزع بعضهم في الدلالة على أن المأموم لا يقرأ الفاتحة في الصلاة الجهرية بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾، فذَكر الدعاءَ عن موسى وحده، ومِن سياق الكلام ما يدل على أن هارون أَمَّن، فنَزَل منزلة من دعا، فدل ذلك على أن من أَمَّن على دعاء فكأنما قاله، فلهذا قال من قال: إن المأموم لا يقرأ؛ لأن تأمينه على قراءة

الفاتحة بمنزلة قراءتها، ولهذا جاء في الحديث: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»، وكان بلال يقول: لا تسبقني بآمين. فدل هذا المَنْزَع على أن المأموم لا قراءة عليه في الجهرية، والله أعلم.

٣٠ ـ جاء في الصحيح تسمية الرسول ﷺ سورة البقرة، وكذلك عند ابن مردويه لما تأخر الصحابة ناداهم رسول الله: «يا أصحاب سورة البقرة».

٣١ ـ الحكمة من الابتداء بالحروف المقطعة في أول السور: الراجح: أنه أُتي بها لبيان إعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله؛ مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها. ورجحه ابن تيمية والمزي والزمخشري. وذكر الزمخشري أنها كُررت ونُوعت من جهة عدد الأحرف؛ ليكون أبلغَ في التحدي.

٣٢ ـ كل سورة افتُتحت بالحروف فلا بد أن يُذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة.

٣٣ ـ يطلق الهدى ويراد به:

(١) ما يقر في القلب من الإيمان، وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، وقال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾، وقال: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾، وقال: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

(٢) ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والإرشاد إليه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

٣٤ ـ الإيمان في اللغة يراد به: التصديق المحض. وقد يُستعمل في القرآن والمراد به ذلك، كما قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾. وكذلك إذا استُعمل مقرونًا مع الأعمال، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

٣٥ ـ منهم من فسر: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ بالخشية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾. وهي: خلاصة العلم والإيمان.

٣٦ ـ لمؤمني أهل الكتاب خصوصية، وذلك أنهم يؤمنون بما بأيديهم مفصلًا، فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصلًا كان لهم على ذلك الأجر مرتين؛ لكن قد يؤجر غيرهم مثلهم أو أكثر مما يحصل له من التصديق واليقين.

٣٧ ـ قال القرطبي: وأجمعت الأمة على أن الله ﷻ قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين؛ مُجَازاةً لكفرهم، كما قال: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، وذَكر حديث تقليب القلوب: (ويا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك)، وذكر حديث حذيفة الذي في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا، فأيُّ قلب أُشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأيُّ قلب أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيضَ مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباد، كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا».

قال ابن جرير: تعليقًا على حديث: «إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت، حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾».

فأخبر رسول الله ﷺ أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قِبَل الله تعالى والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر عنها مُخَلِّص، فذلك هو الختم والطبع.

٣٨ ـ ذكر ابن جرير أن العرب تُسمِّي من أَعطى بلسانه غير الذي في ضميره تقيةً لينجو مما هو له: مخادعًا.

٣٩ ـ لا يَعلم النبي ﷺ أعيان المنافقين؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ﴾.

٤٠ ـ قال بعضهم: العمى في العين، والعَمَهُ في القلب.

٤١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا قد أُعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُه وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»، قوله صلى الله عليه وسلم: «وإنما كان الذي أُوتيتُه وحيًا»؛ أي: الذي اختصصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه، بخلاف غيره من الكتب الإلهية، فإنها ليست معجزةً عند كثير من العلماء، والله أعلم.

٤٢ ـ قال بعض السلف: إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهمه بكيتُ على نفسي؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾.

٤٣ ـ قول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم ـ كما قد يتوهمه بعض المفسرين ـ، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول؛ أي: لا يسألونه شيئًا لم يَأذن لهم فيه، وهاهنا لما أَعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقًا، قال قتادة: وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها، فقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك.

٤٤ ـ استدل بعض العلماء ـ كالقرطبي ـ بقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾، على وجوب تنصيب الخليفة؛ ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه.

٤٥ ـ الصحيح أن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ أي: أسماء الأشياء كلها؛ ذواتها وصفاتها وأفعالها.

٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾، المراد: ذمهم على تركهم لما يأمرون به، وليس على أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.

٤٧ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾، ذكر ابن جرير أن العرب تُسمِّي اليقين ظنًّا، والشك ظنًّا. وذكر أن الشواهد عليه أكثر من أن تحصر.

٤٨ ـ فرعون: عَلَمٌ على كل من ملك مصر كافرًا، وتُبَّع: لمن ملك اليمن، وبَطْلَيْمُوسَ: لمن ملك الهند.

٤٩ ـ ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾، فُسِّر المَنُّ بعدة تفسيرات متقاربة، والظاهر أن المراد: كل ما امتن الله به عليهم؛ من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كَدٌّ.

٥٠ ـ سبب تسمية اليهود:

(١) من الهوادة، وهي المودة.

(٢) من التهود، وهي التوبة، كقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ أي: تُبنا.

(٣) لنسبتهم إلى يهودا، أكبر أولاد يعقوب.

(٤) لأنهم يتهودون؛ أي: يتحركون عند قراءة التوراة.

٥١ ـ سبب تسمية النصارى:

(١) لتناصرهم فيما بينهم.

(٢) من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها ناصرة.

٥٢ ـ ذكر الزمخشري فائدة في قوله تعالى: ﴿...فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، فعبَّر بالمضارع في القتل؛ لأنه أراد وصفهم بذلك في المستقبل؛ لأنهم حاولوا قتل النبي ﷺ.

٥٣ ـ رجح الطبري أن معنى الغُلف في قوله تعالى: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾؛ أي: في غلاف، فلا يَخلص إليها مما تقول شيء، وقرأ: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾.

٥٤ ـ استُدل بهذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ على تكفير الساحر.

٥٥ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾: يسع خلقه بالكفاية والإفضال والجود.

٥٦ ـ قوله: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ استدل بعضهم بهذه الآية على أن الكفر ملة واحدة.

٥٧ ـ ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: محلٌّ تشتاق إليه الأرواح وتَحِنُّ.

٥٨ ـ الصحيح أن يعقوب كان حيًّا في حياة إبراهيم عليه السلام ؛ بدليل:

(١) ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ .

(٢) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ .

٣ ـ ثبت أن يعقوب بنى بيت المقدس، كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة.

وثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «بيت المقدس»، قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة».

٥٩ ـ ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ ؛ لأن القاتل إذا أراد القتل فتذكر العاقبة فامتنع؛ كان في ذلك حياة.

٦٠ ـ القرآن أُنزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا في بيت العزة، ثم أُنزل على النبي ﷺ مُنَجَّمًا.

٦١ ـ الفقهاء جعلوا باب الاعتكاف بعد باب الصوم اقتداء بالقرآن.

٦٢ ـ حديث بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، فإن الإمام أحمد رحمه الله رواه عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله عن مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «نَسَمةُ المؤمن طائر يَعْلق في شجر الجنة، حتى يُرْجِعه الله إلى جسده يوم يبعثُه».

٦٣ ـ قاعدة في القرآن: إذا ذُكر للأنبياء فضل وعطاء ذُكر بعده ما للمؤمنين.

٦٤ ـ استنبط بعضهم من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ ؛ أن الله تعالى أرحم بالولد من والديه.

٦٥ ـ كان ﷺ ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء، وينام بالإزار.

٦٦ ـ النصارى من جهلهم مختلفون جدًّا في مذاهبهم، وقد أَحسن القائل: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولًا.

٦٧ ـ سميت هذه الحيوانات التي يُصطاد بهن جوارح من الجرح، وهو الكسب، كما تقول العرب: فلان جرح أهله خيرًا؛ أي: كسبهم خيرًا، ويقولون: فلان لا جارح له؛ أي: لا كاسب له، وقال الله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: ما كسبتم من خير وشر.

٦٨ ـ قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾، لم يَدَّعِ النصارى البنوةَ كالبنوة التي ادعوها لعيسى، وإنما أرادوا معزتهم لديه وحظوتهم عنده، ولهذا قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾.

٦٩ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما ندمت على حديث ما ندمت على حديث سألني عنه الحجاج، وهو حديث العرنيين.

فكان الحجاج إذا صَعِد المنبر يقول: إن رسول الله ﷺ قد قطع أيدي قوم وأرجلَهم، ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا؛ بحالِ ذَوْدٍ من الإبل، فكان الحجاج يحتج بهذا الحديث على الناس.

٧٠ ـ روي أن أبا العلاء المعري لما قدم بغداد اشتهر عنه أنه أورد إشكالًا على الفقهاء في جعلهم نصاب السرقة ربع دينار، ونظم في ذلك شعرًا دَلَّ على جهله وقلة عقله، فقال:

يَدٌ بخمسِ مئينَ عَسْجَدٍ وديت ... ما بالها قُطِعت في رُبع دينارِ
تناقضٌ ما لنا إلا السكوتُ له ... وأن نَعوذَ بمولانا من النارِ

ولما قال ذلك واشتهر عنه تَطَلَّبَهُ الفقهاء فهرب منهم، وقد أجابه الناس في ذلك، فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله أن قال: لما كانت أمينة، كانت ثمينة، ولما خانت هانت.

٧١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾؛ أي: مؤمنة به مصدقة له، وهذا

أعلى مقاماتها، فدل على أنها ليست بنبية كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق، ونبوة أم موسى، ونبوة أم عيسى؛ استدلالًا منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم، وبقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾، وهذا معنى النبوة، والذي عليه الجمهور: أن الله لم يبعث نبيًّا إلا من الرجال، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾، وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماعَ على ذلك.

٧٢ ـ لما أُخبر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾.

٧٣ ـ جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُنصب لكل غادر لواءٌ عند استه يومَ القيامة، فيقال هذه غَدْرة فلان بن فلان»، والحكمة في هذا: أنه لما كان الغدر خفيًّا لا يَطلع عليه الناس، فيوم القيامة يصير علمًا منشورًا على صاحبه بما فعل.

٧٤ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾: ولم يقل من فوقهم؛ لأن الرحمة تنزل من فوقهم.

٧٥ ـ في قوله تعالى: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾، قال الحسن: قاس إبليس، وهو أول من قاس، إسناده صحيح، وقال: أول من قاس إبليس، وما عُبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس.

٧٦ ـ قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾: وهذا من أبين الدلالة على خطأ من زعم أن الله لا يعذب أحدًا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها؛ إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عنادًا منه لربه فيها؛ لأنه لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه مُهْتد.

٧٧ ـ قال بعض السلف: جمع الله الطب كله في نصف آية: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾.

٧٨ ـ قال ابن جرير: والأعراف جَمع عُرْف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عُرْفًا، وإنما قيل لعرف الديك عرفًا لارتفاعه.

٧٩ ـ قال الحافظ ابن كثير عن سحرة فرعون الذين آمنوا: كانوا في أول النهار سحرة، فصاروا في آخره شهداء بررة.

٨٠ ـ قال الحسن: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وَجِلٌ خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمِن.

٨١ ـ كان عمر بن الخطاب يشتهي الجراد ويحبّه.

٨٢ ـ قال قتادة: بلغني أن الذي قتل الناقة طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن وعلى الصبيان، قلت: وهذا هو الظاهر؛ لقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾، وقال ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾، وقال: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾، فأسند ذلك على مجموع القبيلة؛ فدل على رضى جميعهم بذلك.

٨٣ ـ قول موسى لأخيه هارون: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، من باب التنبيه والتذكير، وإلا فهارون نبيٌّ شريف كريم على الله.

٨٤ ـ قال ابن عيينة في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: سأنزع عنهم فَهْم القرآن وأصرفهم عن آياتي.

٨٥ ـ قوله: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾؛ لأنه أرأف وأنجع، وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه.

٨٦ ـ الغفر هو: الستر وترك المؤاخذة بالذنب، والرحمةُ إذا قُرنت مع الغفر يراد بها: أن لا يوقعه في مثله في المستقبل.

٨٧ ـ فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين.

٨٨ ـ ابن كثير اختار في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾: **أن المشركين هم من ذريته وليس آدم وحواء، وهذا مذهب الحسن.**

٨٩ ـ أصل النزغ: الفساد؛ إما بالغضب أو غيره، كما قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾.

٩٠ ـ أفرد البخاري مصنفًا في مسألة: القراءة خلف الإمام، واختار وجوبها في السرية والجهرية.

٩١ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ﴾: أمر الله المؤمنين أن لا يُقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب.

٩٢ ـ الصحابة فتحوا مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة.

٩٣ ـ الكافر هو الذي يستر الشيء ويغطيه، ومنه سمي الليل كافرًا؛ لأنه يستر الأشياء، والزارع كافرًا؛ لأنه يغطي الحب في الأرض، كما قال تعالى: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾.

٩٤ ـ في قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾، **عن عون قال: هل سمعتم معاتبةً أحسن من هذا؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبة.**

٩٥ ـ نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾، فسألهم رسول الله ﷺ، فقالوا إنا نُتبع الحجارةَ بالماء، رواه البزار، وإنما ذكرته بهذا اللفظ؛ لأنه مشهور بين الفقهاء، ولم يعرفه كثير من المحدثين المتأخرين أو كلهم، والله أعلم.

٩٦ ـ قال عطاء بن أبي رباح: ما كنت لأدع الصلاة على أحد من أهل القبلة، ولو كانت حبشية حبلى من الزنا؛ لأني لم أسمع الله حجب الصلاة إلا عن المشركين، يقول الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

٩٧ ـ عن مجاهد في معنى الأوَّاه: الحفيظ الوَجِل، يذنب الذنب سرًّا ثم يتوب منه سرًّا.

٩٨ ـ قال ابن مسعود وابن عباس: أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكر الله.

٩٩ ـ لم يؤمن لموسى من قوم فرعون إلا نفر يسير؛ منهم امرأته، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه.

١٠٠ ـ الأُمَّةُ تُستعمل في القرآن والسُّنة في معان متعددة، فيراد بها:

(١) الأمد، كقوله: ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعۡدُودَةٍ﴾.

(٢) وتستعمل في الإمام المقتدى به، كقوله: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾.

(٣) وتستعمل في الملة والدين، كقوله تعالى إخبارًا عن المشركين أنهم قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾.

(٤) وتستعمل في الجماعة، كقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾.

(٥) وتستعمل الأمة في الفرقة والطائفة، كقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾.

١٠١ ـ قوله تعالى: ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾، ليس بمذمة ولا عيب؛ لأن الحق إذا وَضح لا يبقى للرأي ولا للفكر مجال؛ بل لا بد من اتباع الحق والحالة هذه لكل ذي زكاء وذكاء؛ بل لا يفكر هاهنا إلا غبي أو عَيي، والرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إنما جاءوا بأمر جلي واضح.

١٠٢ ـ قال علماء البيان في قول الملائكة: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ﴾، فَرَدُّه عليهم أحسنُ مما حَيَّوه به؛ لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام.

١٠٣ ـ في قوله: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾، فيه تعجيل العشاء.

١٠٤ ـ قوله: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾، من هاهنا استدل من استدل على أن الذبيح إنما هو إسماعيل، وأنه يمتنع أن يكون هو

إسحاق؛ لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد له بعدُ يعقوب الموعود بوجوده، ووعد الله حق لا خُلف فيه، وهذا من أحسن الأدلة على هذا.

١٠٥ ـ جاء في سورة هود: أن قوم شعيب أتتهم صيحة، وفي الأعراف رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها، وإنما ذُكر في كل سياق ما يناسبه:

ففي الأعراف لما قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾، ناسب أن يذكر الرجفة، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها.

وفي هود لما أساؤوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ذكر الصيحة التي استلبثتهم وأخمدتهم.

وفي الشعراء لما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾، قال: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وهذا من الأسرار الدقيقة ولله الحمدُ والمنةُ كثيرًا دائمًا.

١٠٦ ـ قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: أي: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا. قال الحافظ ابن كثير: لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بأعمالهم.

١٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾، كأنهم ـ والله أعلم ـ إنما سجنوه لما شاع الحديث؛ إيهامًا أنه راودها عن نفسها، وأنهم سجنوه على ذلك. ولهذا لما طلبه الملك الكبير في آخر المدة امتنع من الخروج حتى تتبين براءته مما نسب إليه من الخيانة.

١٠٨ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾: لما قالا ما قالا وأخبرهما، قالا: ما رأينا شيئًا، فقال: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان. وحاصله: أن من تحلم بباطل، وفسره: فإنه يلزم

بتأويله، والله تعالى أعلم، وقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن معاوية بن حيدة، عن النبي ﷺ قال: «الرؤيا على رِجل طائر ما لم تُعبر، فإذا عُبرت وقعت».

١٠٩ ـ قال الضحاك: وضعتني أمي وقد حملتني في بطنها سنتين، وولدتني وقد نبتت ثنيتي.

١١٠ ـ لا ينافي وصف غير الفاتحة من السبع الطوال بالسبع المثاني، لما فيها من هذه الصفة، كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضًا، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾، فهو مثاني من وجه، ومتشابه من وجه، وهو القرآن العظيم أيضًا، كما أنه ﷺ لما سُئل عن المسجد الذي أُسس على التقوى، فأشار إلى مسجده، والآية نزلت في مسجد قباء، فلا تَنافي، فإنَّ ذِكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة، والله أعلم.

١١١ ـ كثيرًا ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة الدينية، كقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

ولما ذكر تعالى في هذه السورة ـ سورة النحل ـ الحيواناتِ من الأنعام وغيرها التي يركبونها ويبلغون عليها حاجة في صدورهم، وتحمل أثقالهم إلى البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة، شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إليه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾.

١١٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، فيه إشارة إلى صعوبة الصبر.

١١٣ ـ قال الحسن في قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾: قد عدل ـ واللهِ ـ من جعلك حسيبَ نفسك.

١١٤ ـ يؤخذ من نوم الكلب مع أصحاب الكهف: فائدةُ صحبةِ الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذِكر وخبر وشأن.

١١٥ ـ وقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾؛ أي: إنه لبصير بهم سميع لهم، قال ابن جرير: وذلك في معنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه، وتأويل الكلام: ما أَبصرَ اللهَ لكل موجود، وأسمعَه لكل مسموع، لا يَخفى عليه من ذلك شيء.

١١٦ ـ قول زكريا: ﴿... فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ أي: ميراث النبوة؛ للحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث».

١١٧ ـ قال عمرو بن ميمون: ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب، وتلا قوله: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥﴾.

١١٨ ـ قال بعض السلف: لا تجد أحدًا عاقًّا لوالديه إلا وجدته جبّارًا شقيّا، ثم قرأ: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢﴾.

١١٩ ـ العرب تسمي المجلس: النادي، قال تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾.

١٢٠ ـ قال الحسن: إن الله اتخذ على الحكام ثلاثًا: لا يشتروا به ثمنا قليلًا، ولا يتبعوا فيه الهوى، ولا يخشوا فيه أحدًا، ثم تلا: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾، وقال: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

١٢١ ـ قال الأصمعي: كنت عند أبي عمرو بن العلاء، فجاءه عمرو بن عبيد، فقال: يا أبا عمرو، هل يخلف الله الميعاد؟ فقال: لا، فذكر آية وعيد، فقال له: أَمِنَ العجم أنت؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لُؤمًا، وعن الإيعاد كرمًا.

١٢٢ ـ قال ابن جرير: وأصل المنسك في كلام العرب: هو الموضع

الذي يعتاده الإنسان ويتردد إليه؛ إما لخير أو شر، قال: ولهذا سميت مناسك الحج بذلك لترداد الناس إليها وعكوفهم عليها.

١٢٣ ـ الخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها.

١٢٤ ـ عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق؛ كراهةَ أن يهجم منا على أمر يكرهه. إسناده صحيح.

١٢٥ ـ قوله تعالى ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾، قد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، حتى رُوي عن عمر أنه رأى شابًّا يمشي رويدًا، فقال: ما بالك أأنت مريض؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، فعلاه بالدرة وأمره أن يمشي بقوة، وإنما المراد بالهون هنا: السكينة والوقار.

١٢٦ ـ قول الناس من قوم فرعون: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾، ولم يقولوا نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى؛ لأن الرعية على دين ملوكهم.

١٢٧ ـ قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾: أسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قَدَرِ الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدبًا، كما قال تعالى آمرا للمصلي أن يقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ إلى آخر السورة، فأسند الإنعام والهداية إلى الله تعالى، والغضب حذف فاعله أدبًا، وأسند الضلال إلى العبيد، كما قالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

١٢٨ ـ عن عبد الله بن مسعود قال: أفرس الناس ثلاثة: عزيز مصر حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾، والمرأة التي قالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾، وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

١٢٩ ـ قال بعض السلف: ليس أحد أعظم مِنةً على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيًّا ورسولًا معه إلى فرعون ومَلَئِه، ولهذا قال تعالى في حق موسى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾.

١٣٠ ـ إبراهيم عليه السلام بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، وسخا بولده للقربان، وجعل ماله للضيفان، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان.

١٣١ ـ في الحديث الوارد في الصحيح: أن إبراهيم حين مر على ذلك الجبار فسأل إبراهيم عن سارة ما هي منه، فقال: أختي، ثم جاء إليها فقال لها: إني قد قلت له إنك أختي فلا تكذبيني، فإنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، فأنت أختي في الدين.

وكأن المراد من هذا ـ والله أعلم ـ أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك، فإن لوطًا عليه السلام آمن به من قومه، وهاجر معه إلى بلاد الشام.

١٣٢ ـ حكمة: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا نزل القدر عَمِي البصر وذهب الحذر.

١٣٣ ـ قال الحسن في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: أخفى قومٌ عملهم فأخفى الله لهم ما لم تَرَ عينٌ ولم يخطر على قلب بشر.

١٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وهذا نصٌّ في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولًا واحدًا.

١٣٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾: إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال العذر؛ غير الذكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه؛ إلا مغلوبًا على تركه.

١٣٦ ـ قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾، فيه دليل على تحريم التطفيل، وهو الذي تُسميه العرب الضَّيْفَن، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابًا في ذم الطفيليين، وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها.

١٣٧ ـ ذكر الخطيب في الجامع لآداب الراوي والسامع قال: رأيت بخط الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كثيرًا ما يكتب اسم النبي ﷺ من غير ذكر الصلاة عليه كتابة، قال: وبلغني أنه كان يصلي عليه لفظًا.

١٣٨ ـ عن ابن خيرة وكان من أصحاب عليٍّ رضي الله عنه: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة، قيل: وما التعسر في اللذة؟ قال: لا يصادف لذة حلال إلا جاءه من ينغصه إياها.

١٣٩ ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية.

١٤٠ ـ قال بعض العلماء: من خصائص سورة (يس) أنها لا تُقرأ عند أمرٍ عسيرٍ إلا يسره الله تعالى، وكأنَّ قراءتها عند الميت لِتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح، والله تعالى أعلم.

١٤١ ـ قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾، يقول عز وجل مخبرًا عن نبيه محمد ﷺ أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له؛ أي: ما هو في طبعه، فلا يُحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جِبلته، ولهذا ورد أنه ﷺ كان لا يحفظ بيتًا على وزن منتظم؛ بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه.

١٤٢ ـ عن الضحاك قال: ما نعلم أحدًا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب، ثم تلا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾.

١٤٣ ـ كان العلماء في زمن موسى يسمّون بالسحرة، ولم يكن السحر عندهم مذمومًا، فليس قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من قَبِيل السحر.

١٤٤ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ما عاقبتَ أحدًا عصى الله تعالى فيكَ بمثل أن تُطيعَ الله تبارك وتعالى فيه.

١٤٥ ـ انتزع الإمام مالك رحمه الله من قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر؛ لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك.

١٤٦ ـ في قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾، قال قتادة: مَن تفكر في خَلق نفسه عَرف أنه إنما خُلق وَلُيِّنتْ مفاصله للعبادة.

١٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ هذه الصيغة تُستعمل في اللغة لإثبات المخبَر عنه، ونفي ما زاد عليه، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ﴾ أي: ما هي بألين من الحجارة، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة، وكذا قوله: ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ﴾، وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾؛ أي: ليسوا أقل منها؛ بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها. فهذا تحقيق للمخبَر به لا شك ولا تردد، فإن هذا ممتنع، وهكذا هاهنا هذه الآية، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾.

١٤٨ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾: هو وعيد من الله تعالى للعباد، وليس بالله شُغل.

١٤٩ ـ كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لكراهته ذلك.

١٥٠ ـ قوله صلى الله عليه وسلم في الصلاة: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهى»؛ فمن باب أولى في غير الصلاة.

١٥١ ـ قوله تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ﴾؛ دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائمًا.

١٥٢ ـ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾، قال العلماء: اختارتِ الجارَ قبل الدار.

١٥٣ ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾، قال قتادة: أي طهرها من المعاصي، وكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث ولم يَفِ بعهد الله: إنه لَدَنِس الثياب، وإذا وفى وأصلح: إنه لمطهر الثياب.

١٥٤ ـ في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾، وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة.

١٥٥ ـ لا يُعرف عن السلف القول بأن قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ غير الإبل.

١٥٦ ـ في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾، قال ابن جرير: الأمثال من الناس جُمع بينهم.

١٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾؛ أي: ذَكِّر حيث تنفع التذكرة، ومن هاهنا يؤخذ أنه لا يوضع العِلم عند غير أهله.

١٥٨ ـ عن أبي موسى الأشعري: من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى.

١٥٩ ـ قال عكرمة: من جَمع القرآن لم يُرَدَّ إلى أرذل العمر.

١٦٠ ـ ذُكر عن جماعة من السلف أن ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر ليس فيه ليلة القدر.

١٦١ ـ قال عطاء بن دينار: الحمد لله أنه قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾، ولم يَقُل: في.

١٦٢ ـ المراد بالفتح في سورة النصر: فتح مكة؛ لأن أحياء العرب كانت تَتَلَوَّم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي.

١٦٣ ـ امرأة أبي لهب: أروى بنت حرب بن أمية = أخت أبي سفيان.

فوائد من لطائف المعارف(١)

١ ـ مسألة: كيف يُجمع بين حديث أبي هريرة: «لا تَقدموا رمضان بيوم أو يومين، إلا من كان يصوم صومًا فليصمه»، وحديث عمران في الصحيح أن النبي ﷺ قال لرجل: «هل صُمت من سُرَرِ هذا الشهر شيئًا؟ قال: لا، قال: فإذا أفطرت فصم يومين»، وفي رواية للبخاري: أظنه يعني رمضان. وفي رواية لمسلم وعلقها البخاري: «هل صمت من سُرَرِ شعبان شيئًا»؟

قال ابن رجب: لا يصح أن يُفسر سَررُ الشهر وسِراره بأوله؛ لأن أول الشهر يشتهر فيه الهلال ويُرى من أول الليل، ولذلك سمي الشهر شهرًا لاشتهاره وظهوره، فتسمية ليالي الاشتهار ليالي السرار قلبٌ للغة والعرف.

وقال: فيُرَجَّح حديث أبي هريرة على حديث عمران، فإن حديث أبي هريرة فيه نهي عام للأمة عمومًا، فهو تشريع عامٌ للأمة، فيعمل به، وأما حديث عمران فهي قضية عين في حق رجل معين، فيتعين حَمله على صورةِ صيامٍ لا يُنهى عن التقدم به؛ جمعًا بين الحديثين.

وأحسن ما حُمل عليه: أن هذا الرجل الذي سأله النبي ﷺ كان قد علم منه ﷺ أنه كان يصوم شعبانَ أو أكثره؛ موافقة لصيام النبي ﷺ، وكان قد أفطر فيه بعضه، فسأله عن صيام آخره، فلما أخبره أنه لم يصم آخره؛ أمره بأن يصوم بدله بعد يوم الفطر؛ لأن صيام أول شوال كصيام آخر شعبان، وكلاهما حريم لرمضان.

(١) كتاب (لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف)، لزين الدين أبي الفرج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب. وعنوان الكتاب دالٌّ على مقصوده، فقد تَعرَّض فيه المؤلف لعامة شهور السنة، وذَكر ما فيها من مناسبات، وما يُشرع في تلك المناسبات من الوظائف، جامعًا في ذلك بين التقرير العلمي الرصين، والجانب الوَعْظِي الإيماني.

وفيه دليل على استحباب قضاء ما فات من التطوع بالصيام، وأن يكون في أيام مشابهة للأيام التي فات فيها الصيام في الفضل.

وفي الجملة، فحديث أبي هريرة هو المعمول به في هذا الباب عند كثير من العلماء، وأنه يُكره التقدم قبل رمضان بالتطوع بالصيام بيوم أو يومين لمن ليس له به عادة ولا سَبَق منه صيام قبل ذلك في شعبان متصلًا بآخره.

٢ ـ لكراهة التقدم قبل رمضان بصوم ثلاثة معان:

(١) أنه على وجه الاحتياط لرمضان، فيُنهى عن التقدم قبله لئلا يُزاد في صيام رمضان ما ليس منه، كما نُهي عن صيام يوم العيد لهذا المعنى، وكذا صوم يوم الشك.

(٢) للفصل بين الفرض والنفل.

(٣) للتَّقَوِّي على صيام رمضان.

٣ ـ الدنيا كلها شهر صيام المتقين، يصومون فيه عن الشهوات المحرمات، فإذا جاءهم الموتُ فقد انقضى شهر صيامهم، واستهلوا عيد فطرِهم.

٤ ـ من صام اليوم عن شهواته أفطر عليها بعد مماته، ومن تعجل ما حُرم عليه قبل وفاته عوقب بحرمانه في الآخرة وفَواتِه.

٥ ـ من رُحم في شهر رمضان فهو المرحوم، ومن حُرم خيره فهو المحروم، ومن لم يتزود فيه لمعاده فهو ملوم.

٦ ـ من لم يربح في هذا الشهر ففي أي وقت يربح، ومن لم يُقَرَّب فيه من مولاه فهو على بُعده لا يربح.

٧ ـ خطب عمر بن عبد العزيز آخر خطبة خطبها فقال فيها: إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولن تتركوا سدًى، وإن لكم معادًا يَنْزِل الله فيه للفصل بين عباده، فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحُرم جنةً عرضها السموات والأرض، ألا ترون إنكم في أسلاب الهالكين،

وسيرثها بعدكم الباقون كذلك، حتى تَرِد إلى خير الوارثين، وفي كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله، فتودِّعونه وتدعونه في صَدْع من الأرض غير موسّد ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن الترابَ، وواجه الحساب، غنيًّا عما خَلَّف، فقيرًا إلى ما أسلف، فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقيته، وإني لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثرَ مما أعلم عندي، ولكن أستغفر الله وأتوب إليه، ثم رفع طَرَف ردائه وبكى حتى شَهَقَ، ثم نزل فما عاد إلى المنبر بعدَها حتى مات.

٨ ـ **تجتمع أنواع الصبر في الصوم:** فإن فيه صبرًا على طاعة الله، وعن معصيته بترك الشهوات، وعلى أقدار الله من جهة ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن.

٩ ـ الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبُه، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ . . .﴾.

١٠ ـ مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب:

(١) شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل، كالحرم.

(٢) شرف الزمان، كشهر رمضان، وعشر ذي الحجة: سئل رسول الله ﷺ: أي الصدقة أفضل؟ قال: «الصدقة في رمضان».

١١ ـ في رواية: «كل عمل ابن آدم له؛ إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به»، أحسن ما قيل فيها: ما قاله سفيان بن عيينة رحمه الله، قال: هذا من أجود الأحاديث وأحكمها، إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده، ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله، حتى لا يبقى إلا الصوم، فيتحمل الله عز وجل ما بقي عليه من المظالم، ويدخله بالصوم الجنة. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان. ومعناه: أنه لا سبيل لأحد إلى أخذ أجر الصيام؛ بل أجره مدخر عند الله تعالى.

١٢ ـ قوله: «فإنه لي»، قيل في معناه أقوالٌ كثيرة، ومن أحسن ما ذكر فيه

وجهان؛ **أحدهما:** أن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جُبلت على الميل إليها؛ لله تعالى. ولا يوجد هذا المعنى في غير الصيام، فإن قيل: في الإحرام والصلاة وُجِد المعنى المذكور؟ نقول: الإحرام ليس فيه ترك كل الشهوات؛ بل يباح الأكل والشرب مطلقًا. وبالنسبة للصلاة: فإن مدتها لا تطول، فلا يجد المصلي فَقْدَ الطعام والشراب في الصلاة.

١٣ ـ إذا اشتد توقان النفس إلى ما تشتهيه، مع قدرتها عليه، ثم تركته لله في موضع لا يطّلع عليه إلا الله؛ كان ذلك دليلًا على صحة إيمانه.

١٤ ـ لَمَّا علم المؤمن أن رضى مولاه في ترك شهواته قَدَّم رضى مولاه على هواهُ، فصارت لذته في ترك شهواته لله؛ لإيمانه باطلاع الله عليه.

١٥ ـ الوجه الثاني: أن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره؛ لأنه مُركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله. وهذا اختيار أبي عبيد وغيره.

١٦ ـ كان بعض السلف يود لو تمكن من عبادة لا تشعر بها الملائكة الحَفَظَة.

١٧ ـ من فوائد الصيام:

(١) كسر النَّفْس.

(٢) تخلي للقلب للفِكر والذكر، فإن خُلوَّ الباطن من الطعام والشراب يُنَوِّر القلب، ويوجِب رِقَّتَه، ويزيل قسوته، ويُخليه للذكر والفكر.

(٣) أن يعرف الغنيُّ قدرَ نعمة الله عليه.

(٤) أن الصيام يضيّق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم.

١٨ ـ التقرب إلى الله بالطاعات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات.

١٩ ـ الصائم ترك شهواته لله بالنهار تقربًا إلى الله وطاعةً له، ويبادر إليها في الليل تقربًا إلى الله وطاعةً له، فما تركها إلا بأمر ربه، ولا عاد إليها إلا

بأمر ربه، فهو مطيع له في الحالين، ولهذا نُهِيَ عن الوصال في الصيام، فإذا بادر الصائم إلى الفطر تقربًا إلى مولاه، وأَكَل وشَرِب وحَمِد الله؛ فإنه يُرجى له المغفرة أو بلوغ الرضوان، وإن نوى بأكله وشربه تقويةَ بدنه على القيام والصيام كان مثابًا على ذلك.

٢٠ ـ وأما فَرَحُه عند لقاء ربه: فبما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخرًا.

٢١ ـ الأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر، وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائنُ لأهلها، فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة.

٢٢ ـ الصائمون على طبقتين:

(١) من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله يرجو عنده عوض ذلك في الجنة. وقد جاء في الحديث: «إنك لن تدع شيئًا اتقاء الله إلا آتاك الله خيرًا منه»، خرجه أحمد.

(٢) من يصوم في الدنيا عما سوى الله، فيحفظ الرأس وما حوى، ويحفظ البطن وما وعى، ويذكر الموت والبِلَى، ويريد الآخرة، فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته.

٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ...﴾، قال مجاهد: نزلت في الصائمين.

٢٤ ـ من صام عن شهواته في الدنيا أدركها غدًا في الجنة، ومن صام عما سوى الله فعيده يوم لقائه.

٢٥ ـ في طِيْبِ رِيحِ خُلُوفِ فم الصائم عند الله معنيان:

(١) أن الصيام لما كان سِرًّا بين العبد وبين ربه في الدنيا: أظهره الله في الآخرة علانية للخلق؛ ليشتهر بذلك أهل الصيام ويعرفون بصيامهم بين الناس؛ جزاءً لإخفائِهم صيامَهم في الدنيا.

(٢) أن من عَبَد الله وأطاعه وطلب رضاه في الدنيا بعمل، فنشأ من عمله آثارٌ مكروهة للنفوس في الدنيا، فإن تلك الآثار غير مكروهة عند الله؛ بل هي محبوبة له وطيبة عنده؛ لكونها نشأت عن طاعته واتباع مرضاته، فإخباره بذلك للعاملين في الدنيا فيه تطييب لقلوبهم؛ لئلا يُكْرَه منهم ما وُجد في الدنيا.

٢٦ ـ كل شيء ناقصٍ في عُرف الناس في الدنيا إذا انتسب إلى طاعة الله ورضاه: فهو الكامل في الحقيقة.

٢٧ ـ يا غيوم الغفلة عن القلوب تَقَشَّعي! يا شموسَ التقوى والإيمان اطلعي! يا صحائف أعمال الصائمين ارتفِعي! يا قلوب الصائمين اخشعي! يا أقدام المتهجدين اسجدي لربك واركعي! يا عيون المجتهدين لا تهجعي! يا ذنوب التائبين لا تَرْجِعي! يا أرض الهوى ابلعي ماءك ويا سماء النفوس أَقْلِعي! يا بروق العُشاقِ للعُشاقِ المعي! يا خواطر العارفين ارتعي! يا هِمَمَ المحبين بغير الله لا تَقْنَعِي! يا جُنَيدُ اطرب! يا شِبْليُّ احضر! يا رابعة اسمعي! قد مُدت في هذه الأيام موائد الإنعام للصوام فما منكم إلا من دُعي: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾، ويا هِمَمَ المؤمنين أسْرِعي... فطوبى لمن أجاب فأصاب، وويل لمن طُرد عن الباب وما دعي.

٢٨ ـ تَضَاعُفُ جود النبي ﷺ في رمضان لأسباب:

(١) شرف الزمان، ومضاعفة أجر العمل فيه، وفي الترمذي عن أنس مرفوعًا: «أفضل الصدقة صدقة رمضان».

(٢) إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجبُ المعينُ لهم مثلَ أجرهم، كما أن من جهز غازيًا فقد غزا.

(٣) أنه شهر يجود الله بالرحمة والمغفرة والعتق من النيران، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه.

(٤) أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجِبات الجنة، كما في

الحديث: «لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدامَ الصيامَ، وصلى بالليل والناسُ نيام».

(٥) أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها، وخصوصًا إن ضمَّ إلى ذلك قيام الليل.

(٦) جبر ما يحصل في الصيام من الخلل والنقص.

(٧) إعانة الصائمين على التَّقَوِّي على طعامهم وشرابهم: بمنزلة من ترك شهوة لله وآثر بها غيره.

٢٩ ـ كان ﷺ يطيل القراءة في قيام رمضان أكثر من غيره.

٣٠ ـ وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة، كشهر رمضان، خصوصًا الليالِيَ التي يُطْلَبُ فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة، كمكة لمن دخلها من غير أهلها: فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن؛ اغتنامًا للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة.

٣١ ـ واعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين، ووفى بحقوقهما، وصبر عليهما: وُفِّيَ أجرهما بغير حساب.

٣٢ ـ جاء عند أحمد من حديث عبد الله بن عمرو: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أيْ ربِّ! منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: مَنَعْتُه النوم بالليل فشفعني فيه، فيُشَفَّعان».

٣٣ ـ قال ابن مسعود: ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف: بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يَخْلِطُون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون.

٣٤ ـ قال أحمد بن أبي الحواري: إني لأقرأ القرآن وأنظر في آيةٍ آيةٍ، فيحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويَسَعُهم أن يشتغلوا

بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقَّه وتلذّذوا به واسْتحْلَوا المناجاة به؛ لذهب عنهم النوم فرحًا بما قد رُزقوا.

٣٥ ـ كل قيام لا ينهى عن الفحشاء والمنكر: لا يزيد صاحبه إلا بُعدًا، وكل صيام لا يصان عن الزور والعمل به: لا يورث صاحبه إلا مقتًا وردًّا! يا قوم أين آثار الصيام؟! أين أنوار القيام؟!

٣٦ ـ هذا ـ عبادَ الله ـ شهر رمضان الذي أُنْزِل فيه القرآن وفي بقيته للعابدين مستمتع، وهذا كتاب الله يُتلى فيه بين أظهركم ويُسْمع، وهو القرآن الذي لو أُنزل على جبل لرأيته خاشعًا يتصدع، ومع هذا فلا قلبٌ يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيامٌ يصان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيُرجى في صاحبه أن يشفع، قلوب خَلَتْ من التقوى فهي خراب بَلْقَع، وتراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تَسْمع.

كم تُتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة! وكم يتوالى علينا شهرُ رمضان وحالُنا فيه كحال أهل الشقوة؟! أين نحن من قوم إذا سمعوا داعيَ الله أجابوا الدعوة، وإذا تُليت عليهم آيات الله جَلَتْ قلوبهم جَلْوة، وإذا صَاموا صامَتْ منه الألسنة والأسماع والأبصار، أفما لنا فيهم أسوة؟!

كلما حسنت منا الأقوالُ ساءت الأعمالُ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

٣٧ ـ **إشكال:** ثبت أن النبي ﷺ كان يصوم شهر شعبان، ولم يُنقل عنه أنه كان يصوم المحرَّم، إنما كان يصوم عاشوراء، وقولُه ﷺ في آخر سنة: «لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع»؛ يدل على أنه كان لا يصوم التاسع قبل ذلك.

قال ابن رجب: والذي ظهر لي ـ والله أعلم ـ أن التطوع بالصيام نوعان:

أحدهما: التطوع المطلق بالصوم، فهذا أفضله المحرَّم، كما أن أفضل التطوع المطلق بالصلاة قيام الليل.

والثاني: ما صيامه تَبَعٌ لصيام رمضان قبله وبعده، فهذا ليس من التطوع المطلق.

وبيان هذا: أن السنن الرواتب التي بعد الفرائض أفضل من قيام الليل عند جمهور العلماء؛ لأن الرواتب مِن لَوَاحِق الفرائض.

٣٨ ـ إضافة شهر محرم إلى الله تدل على شرفه وفضله؛ لأن الله تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته.

فوائد من بعض رسائل ابن رجب

١ ـ الشح: الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على أن يأخذ الأشياء من غير حلها، ويمنعها من حقوقها، وحقيقته: شره النفس إلى ما حرم الله.

البخل: إمساك الإنسان عما في يده.

وقد يُستعمل الشح بمعنى البخل والعكس.

٢ ـ وَقَلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فوُفق، بل يوكل إلى نفسه، كما قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة: «يا عبد الرحمن! لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها».

٣ ـ قال ابن رجب: وها هنا نكتةٌ دقيقة، وهي: أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يُريَ أنه متواضعٌ عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبه عليه السلف الصالح، قال مطرف بن عبد الله بن الشخّير: كفى بالنفس إطراءً أن تذمها على الملأ، كأنك تريد بذمها زينتها، وذلك عند الله سَفَه.

٤ ـ استُدل على جواز تمني الموت بقوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٥ ـ قد تنفسخ العزائم عند وقوع الحقائق.

٦ ـ قوله ﷺ : «الرضا بعد القضاء» ولم يقل قبل القضاء.

٧ ـ قال النبي ﷺ : «إني لست مثلكم، إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني»، يشير إلى أنه يستغني عن قوت جسده بما يمنحه الله من قوت روحه عند الخلوة به والأنس بذكره ومناجاته مما يورده على قلبه من المعارف القدسية والمواهب الإلهية.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا﴾، فرّق الله بين الظلم والعدوان:

(١) **الظلم:** ما كان بغير حق بالكلية.

(٢) **العدوان:** مجاوزة الحدود وتعديها فيما أصله مباح.

٩ ـ الأمور التي تُطلب من الله نوعان:

(١) خير محض، كسؤاله خشيتَه ومحبتَه = يُطلب بلا تردد ولا تعليق.

(٢) ما لا يُعلم هل هو خير للعبد أو لا، كسؤال الموت والحياة والغِنى والولد ونحوه من حوائج الدنيا = لا يُسأل إلا ما يُعلم فيه الخيرة للعبد.

١٠ ـ قال محمد بن جعفر: الغضب مفتاح كل شر.

١١ ـ قيل لابن المبارك: اجمع لنا حسن الخلق في كلمة، قال: ترك الغضب.

١٢ ـ القصد: التوسط في الإنفاق.

١٣ ـ قال عمر بن عبد العزيز لما عوتب في خلافته على تضييقه على نفسه: إن أفضل القصد عند الجِدَة، وأفضل العفو عند المقدرة.

١٤ ـ قوله ﷺ : «وبينهما أمور مشتبهات» هذه الأمور منها:

(١) ما يَقوى شَبَهُه بالحرام = يَقوى فيه التحريم.

(٢) ما يَبعد شَبَهُه بالحرام = يَقوى فيه الكراهة.

(٣) ما يَتردد بين الحلال والحرام = يُتردد فيه.

واجتناب الكل حسن.

١٥ ـ قوله ﷺ: «فيهما ـ أي السورين ـ أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة»؛ شَبَّه المحارم بالأبواب المفتحة غير المغلقة ولا المقفلة، وجعل عليها ستورًا مرخاة؛ بحيث يتمكن كلُّ أحد من رفع تلك الستور وولوج تلك الأبواب.

١٦ ـ قوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ...﴾، هو القرآن عند أكثر السلف.

١٧ ـ شُبِّهتِ الرافضةُ باليهود في نحو من سبعين خصلة.

١٨ ـ ومن أحب أهل الذكر والطاعة ـ على وجه السنة ـ وجالسهم؛ فإنه يُغفر له معهم وإن لم يكن منهم؛ فإنهم هم القوم لا يَشقى بهم جليسهم.

١٩ ـ العزيمة: القصد الجازم المتصل بالفعل، وقيل: استجماع قوى الإرادة على الفعل.

٢٠ ـ شكر المنعم يكون:

(١) **بالقلب:** الاعتراف بها منه، وأنها بفضله، ومحبة الله على نعمه.

(٢) **باللسان:** الثناء بالنعم، وذكرها، وتعدادها، وإظهارها.

(٣) **بالجوارح:** ألا يُستعان بها على معصيته، بل على طاعته.

٢١ ـ كان الربيع بن حراش موصوفًا بالصدق، يقال: إنه لم يكن يكذب قط، وكان له ابنان عاصيان للحجاج، وكان الحجاج يطلبهما، فقدما على أبيهما، فبعث الحجاج إلى الربيع، وقال: سيعلم بنو عبس أن شيخهم اليوم يكذب، فقال له: أين ابناك؟ فقال: تركتهما في البيت والله المستعان، فقال: قد عفونا عنهما بصدقك.

فوائد من ذيل طبقات الحنابلة[١]

١ ـ أجاز صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت٧٣٩) لابن رجب بعض المرويات، وقد توفي صفي الدين ولابن رجب ثلاثُ سنين، وبهذه الإجازة أيضًا حدث عنه كثيرًا في الذيل، وبها يصفه بشيخنا، ويبيح لنفسه الرواية عنه، فمن قوله: أنشدني شيخنا الإمام صفي الدين في كتابه لنفسه.

٢ ـ ذكر ابن الجوزي عن ابن عقيل: أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فإن رضيتَ أن تكون مثلَهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت. (ص٣٣٧).

٣ ـ قال ابن عقيل: هذا المذهب[٢] إنما ظلمه أصحابه؛ لأن أصحاب أبي حنيفة والشافعي إذا برع واحد منهم في العلم تولى القضاء وغيره من الولايات، فكانت الولاية سببًا لتدريسه واشتغاله بالعلم، فأما أصحاب أحمد فإنه قَلَّ فيهم مَن تعلق بطرف من العلم إلا ويُخرِجه ذلك إلى التعبد والتزهد؛ لغلبة الخير على القوم، فينقطعون عن التشاغل بالعلم (ص٣٤٨).

٤ ـ سئل ابن عقيل فقيل له: ما تقول في عزلة الجاهل؟ فقال: خبال ووبال، تضره ولا تنفعه. فقيل له: فعزلة العالم؟ قال: ما لَكَ ولها، معها حذاؤها وسقاؤها، تَرِدُ الماء وترعى الشجر إلى أن يلقاها ربها. (ص٣٥٤).

---

(١) كتاب (الذيل على طبقات الحنابلة) للحافظ ابن رجب، وسبقت ترجمته. والكتاب كما يُعلم من عنوانه: مختصٌّ بتراجم علماء الحنابلة، وهو إكمالٌ لذلك الكتاب الذي وَضَعَه ابن أبي يعلى، وسبق الكلام عنه، ولذا قال الحافظ ابن رجب في مقدمة الكتاب: «هذا كتابٌ جمعتُه وجعلته ذيلاً على كتاب طبقات فقهاء أصحاب الإمام أحمد، للقاضي أبي الحسين محمد ابن القاضي أبي يعلى، رحمهم الله تعالى. وابتدأتُ فيه بأصحاب القاضي أبي يعلى، وجعلتُ ترتيبه على الوفيات...».

(٢) يعني مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

٥ ـ ومن كلامه في صفة الأرض أيام الربيع: إن الأرض أهدت إلى السماء غُبْرَتها بترقية الغيوم، فكستها السماءُ زُهرَتَها من الكواكب والنجوم. وقال: كأن الأرض أيام زهرتها مِرْآةُ السماء في انطباع صورتها. (ص٣٥٤).

٦ ـ من الأمثلة عند العرب: فلان بيضة البلد. ويراد به الذم أو المدح.

٧ ـ لولا أن القلوب توقن باجتماع ثانٍ لتفطرت المرائر لفراق المحبوبين (ص٣٦٠).

فوائد من شرح منظومة الآداب الشرعية(١)

١ ـ جرت عادة الأصحاب بأنهم يتبعون مؤلفاتهم الفقهية بمقدمة في الآداب. قال الحجاوي في مقدمة الشرح: «ولما نظم القصيدة الطويلة في الفقه أتبعها بهذه القصيدة في الآداب؛ اقتداءً بطريقة جماعة من الأصحاب... في إتْباع الكتاب بمقدمة في الآداب، فأتْبع كتابَه بهذه القصيدة».

٢ ـ قال النخعي: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه، نظروا إلى سمته وصلاته وإلى حاله، ثم يأخذون عنه.

٣ ـ نص ابن تيمية على جواز السلام على غير النبي ﷺ، كأنْ يقال: قال فلان ﷺ، وقال: والسلام على غيره باسمه جائز من غير تردد.

(١) كتاب (شرح منظومة الآداب لابن عبد القوي)، الشرح للشيخ العلامة: موسى بن أحمد الحجاوي، أحد كبار فقهاء الحنابلة، وهو صاحب كتاب الإقناع وزاد المستقنع وغيرهما. وأما منظومة الآداب فهي للشيخ أبي عبد الله، محمد بن عبد القوي، الـمُلقَّب بـ(الناظم). وأما عن الكتاب، فقد قال الحجاوي في مقدمة شرحه: «ولما نظم ـ يعني ابن عبد القوي ـ القصيدةَ الطويلة في الفقه، أَتْبَعَها بهذه القصيدة في الآداب؛ اقتداءً بطريقة جماعة من الأصحاب...، ولم أرَ أحدًا نشط إلى شرحها، مع كثرة المشتغلين بها وبِدَرْسِها، وقد استخرتُ الله تعالى وشرعتُ في شرحٍ لها، يُبيِّن مشكلها، وتتضح به دلائلها، وأُضيف له بعض المسائل من غيرها بعد ذكر مسألة الكتاب...».

٤ ـ أجمعوا على جواز الصلاة على غير النبي ﷺ تبعًا.

٥ ـ قال الحسن: من دعا لفاسقٍ بالبقاء فقد أحبّ أن يُعصَى الله.

٦ ـ في قوله تعالى: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾، دلالةٌ على جواز وصف الإنسان نفسه بالفضل عند من لا يعرفه. قاله القاضي أبو يعلى، وقال ابن الجوزي في توجيه مدح يوسف لنفسه مع أن شأن الأنبياء والصالحين التواضع وهضم النفس: أنه لَمَّا خلا مدحُه لنفسه من بغي وتكبر، وكان مراده به الوصولَ إلى حقٍّ يُقِيمه، وعدلٍ يُحييه، وجورٍ يُبطِله؛ كان ذلك جميلًا جائزًا.

٧ ـ النظر والكلام أوسع مَداخل الشيطان؛ فإن جارحتَهما لا تُملآن، بخلاف البطن.

٨ ـ قال أحمد: إذا كان الرجل مُعلِنًا بفسقه فليس له غِيبة. وكذا قال الحسن.

٩ ـ نص الإمام أحمد على جواز الكذب في مواضع ثلاثة: للزوجة، والإصلاح، والحرب.

١٠ ـ قال عمر: ليس كُلُّ البيوت تُبنى على الحُبِّ.

١١ ـ **المعاريض**: أن يريد بلفظه خِلافَ ظاهره.

١٢ ـ يشترط في الإنكار على صاحب المنكر: كونه مجاهرًا، وأن يكون المنكر مُجمعًا عليه، قاله ابن رجب، وقال: فأما المختلَف فيه؛ فمن أصحابنا من قال: لا يجب إنكارُه على من فعله مجتهدًا فيه، أو مقلدًا لمجتهد تقليدًا سائغًا، واستثنى القاضي: ما ضعف فيه الخلاف، وكان ذريعة إلا محظورٍ متفقٍ عليه.

١٣ ـ إن خَشي الـمُنكِر السبَّ أو إسماع الكلام السيء فلا يَسقط عنه؛ لأن الآمر بالمعروف يَلقى ذلك في الغالب.

١٤ ـ لا يَملك الإنسان منعَ امرأته الذمية من شرب الخمر؛ لاعتقادها إباحته.

١٥ ـ ذكر ابن رجب أن من أنواع الصدقة: الصدقة بغير مال، وهو ما فيه تَعْدِيَةُ الإحسان إلى الخلق.

١٦ ـ ذكر نوايا من يريد إنكار المنكر:

(١) ابتغاء رضوان الله وثوابه.

(٢) خوف العقاب في تركه، وغضبًا لله على انتهاك محارمه.

(٣) نصيحةً للمؤمنين ورحمةً لهم.

(٤) رجاء إنقاذهم مما أَوقعوا أنفسهم فيه؛ من التعرض لعقوبة الله وسخطه.

(٥) إجلالًا لله ومحبة له.

(٦) أن يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال.

ومَن لحظ هذا المقام هان عليه ما يَلقى من الأذى في الله، وربما دعا لمن آذاه!

١٧ ـ قال الإمام أحمد: الناس يحتاجون إلى مُداراةِ ورفقِ الآمر بالمعروف، بلا غلظة؛ إلا رجلًا معلنًا بالفسق، فلا حرمة له.

١٨ ـ يسوغ الإنكار على النساء السافرات في الطريق.

١٩ ـ لا يغرم بإتلاف الصور المحرمة على الحيطان؛ بخلاف الصور المصورة على الستور والثياب.

٢٠ ـ قال الإمام أحمد: إذا سلم الرجل على المبتدع فهو يحبه؛ لحديث: «ألا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

٢١ ـ قال سفيان: من ترأس في حداثته كان أدنى عقوبته أن يفوته حظٌّ كثيرٌ من العلم.

٢٢ ـ ذكر ابن تيمية أن المظهر للمنكر يجب الإنكار عليه علانية ولا تبقى له غيبة، وينبغي لأهل الخير أن يهجروه ميتًا، إذا كان فيه كفٌّ لأمثاله.

٢٣ ـ قال ابن تيمية: إن المستتر بالمنكر يُنكر عليه، ويستر عليه.

٢٤ ـ الهجر المحرم يزول بالسلام. ذكره ابن حمدان والسامري.

٢٥ ـ عن ابن عمر: السلام من أسماء الله تعالى، فمَن أكثر السلام أكثر ذكر الله.

٢٦ ـ الإجماع على عدم وجوب السلام، والإجماع على وجوب الرد.

٢٧ ـ لا يُكره السلام على المصلِّي؛ لعدم إنكار النبي ﷺ على الرجل الذي سلم عليه وهو يصلي.

٢٨ ـ يجب على الرسول تبليغُ السلام إذا تَحَمَّله؛ لأنه مأمور بأداء الأمانة.

٢٩ ـ لا يجوز بداءة أهل الذّمة بالسلام، وإذا سلموا وجب الرد عليهم عندنا وعند عامة العلماء.

٣٠ ـ نص الإمام أحمد على عدم جواز الزيادة في رد السلام على أهل الذمة على قول: وعليكم.

٣١ ـ ذكر الإمام أحمد أنه لا يعجبه مصافحة أهل الذمة.

٣٢ ـ إذا أُلقي السلام على جماعة أجزأ أن يَرِدَّ منهم واحدٌ.

٣٣ ـ قال الأحناف: لا يجب رد سلام السائل على باب الدار؛ لأنه سَلَّم لشعار سؤاله؛ لا للتحية.

٣٤ ـ قال أبو هريرة: إن من أبخل الناس من بخل بالسلام، والمغبون من لم يَرُدَّ.

٣٥ ـ نص الإمام أحمد على جواز تقبيل أخته.

٣٦ ـ كان الإمام أحمد يُقبَّل رأسه وجبهته ولا ينكر ذلك.

٣٧ ـ لا يجوز تقبيل يد الغنيِّ لأجل غِناه.

٣٨ ـ إذا تناجى اثنان دون اثنين لم يكره.

٣٩ ـ نص الإمام أحمد أن الرجل إذا كان في نافلة فإنه يخرج منها إذا دعاه أحد أبويه.

٤٠ ـ ذكر ابن تيمية أنه ليس للوالدين إلزام الولد بنكاح من لا يريد، وأنه إذا امتنع لم يكن عاقًّا.

٤١ ـ ذِكر الله بالقلب مستحبٌّ حتى في الخلاء، ويدلُّ عليه قولُ العلماء بحمد العاطس في قلبه إن كان في الخلاء.

٤٢ ـ نص الإمام أحمد على أن له أن يقرأ البسملة إن قرأ من بعض سورة ولو خارج الصلاة.

٤٣ ـ إذا عطس رجل وهو بعيد وسمعه؛ لكنه لا يَعلم هل حمد الله أم لا؟ فيقول: يرحمك الله إن كنتَ حمدتَ الله.

٤٤ ـ وروي أن المشمِّت للعاطس يُخيَّر بقول: يرحمك الله، أو الإتيان بميم الجمع.

٤٥ ـ ذكر ابن تيمية أن الإمام أحمد نص على أن الرجل إذا عطس ثلاث مرات فالرابعة لا تشميت فيها، ويقال له: عافاك الله؛ لأنه ريح.

وقد جاء في التحديد بثلاث عدَّةُ أحاديث، والمعتبر بفعل التشميت ثلاثًا؛ لا بعود العطسات، فلو عطس ثلاثًا متواليًا فإنه يُشمِّته، قولًا واحدًا؛ لأنه لم يشمت قبل ذلك.

٤٦ ـ يقال: تثاءبت، ولا يقال: تثاوبت. ذكره الجوهري.

٤٧ ـ يجوز استطباب اليهودي والنصراني إذا كان خبيرًا بالطب، ثقةً عند الإنسان.

٤٨ ـ قاعدة: كل شيء تبيحه الضرورة فإن الإكراه يبيحه؛ إلا الإكراه على شرب الخمر.

٤٩ ـ الرجل المكرَه على الزنا يُحَدُّ عند الأصحاب؛ لأن الوطء لا يكون إلا بانتشار، والإكراه ينافيه.

٥٠ ـ الأخذ والإعطاء باليمين = مسنون.

٥١ ـ أول من ذَهَّب الكعبة: الوليد بن عبد الملك.

٥٢ ـ يسن أن يصان المسجد عن الصبي غير المميز.

٥٣ ـ يباح إنشاد الشعر المباح، وعقد النكاح في المسجد.

٥٤ ـ يباح غلق أبواب المسجد؛ لئلا يدخله من يُكره دخوله إليه.

٥٥ ـ نص الإمام أحمد على كراهة إسناد الظهر إلى القبلة إن كان في المسجد.

٥٦ ـ نص الإمام أحمد على كراهة الجلوس بين الظلِّ والشمس، وقد صح عن النبي ﷺ النهي عنه، كما قاله إسحاق بن راهويه.

٥٧ ـ النوم على الوجه والبطن مكروه؛ لأن النبي ﷺ رأى رجلًا مضطجعًا في المسجد على بطنه فقال: «إن هذه نومة يبغضها الله».

٥٨ ـ يكره القِران، وهو: أن يدفع بأكثر من تمرة ويأكلها دفعة واحدة.

٥٩ ـ لا تُقتل حيات البيوت حتى تستأذن. يقول: لا تؤذنا اذهب بسلام. ويستثنى: الأبتر، وذو الطفيتين، والحية التي يُخاف منها.

٦٠ ـ يكره النوم فوق السطح الذي لم يُحط بحجر.

٦١ ـ يستحب في الشرب: ١ ـ أن يمص مصًّا. ٢ ـ أن يشرب ثلاثًا. ٣ ـ أن يحمد عند كل انتهاء ويسمِّي عند كل ابتداء.

٦٢ ـ ذكر النووي أن التسمية عند الأكل مُجمعٌ على استحبابها.

٦٣ ـ قال المزني: البسوا ثياب الملوك، وأميتوا قلوبكم بالخشية.

٦٤ ـ الصور إذا كانت ممتهنة فإنها لا تَحرم.

٦٥ ـ ينبغي للمرء إذا أكل أن يخلِّل ما بين المواضع بعد الأكل ويلقيه.

٦٦ ـ الضيف لا يملك الصدقة بما أُذن له بأكله.

٦٧ ـ يُكره مسح الأصابع والسكين في الخبز، وأن يأكل ما انتفخ من الخبز ووجهه ويترك الباقي.

٦٨ ـ **ومن الآدب:** ألا يتكلم على الطعام بما يُقذر الآخرين، ولا بما يضحكهم؛ لئلّا يشرقوا.

٦٩ ـ ليس لصاحب الطعام أن يمدحه؛ لأنه دناءة.

٧٠ ـ يستحب للآكل مع جماعة ألا يرفع يده قبلهم.

٧١ ـ السنة الأكل باليد، ويجوز بالملعقة.

٧٢ ـ إن كان في مجلس الدعوة رجل مضحك بالفحش والكذب = لم يَجب الحضور.

٧٣ ـ تشييع الضيف إلى باب الدار من المأثور عن الشعبي.

٧٤ ـ كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا استثقل رجلًا قال: اللهم اغفر لنا وله وأرحنا منه. وكان حماد بن سلمة يقول: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون.

٧٥ ـ الخضاب بالحناء خاص بالمرأة، ويجوز للرجل للحاجة.

٧٦ ـ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالسراويل ومدحها.

٧٧ ـ كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبّ من الألوان الخضرة، ويكره الحمرة، ويقول: هي زينة الشيطان.

٧٨ ـ وقال الميموني: ما رأيت أحدًا أنظف ثوبًا ولا أشدَّ تعاهدًا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ولا أنقى ثوبًا وأشدَّ بياضًا من أحمد بن حنبل.

٧٩ ـ ظاهر كلام الإمام أحمد: منع الصور ذوات الأرواح على لعب الأطفال.

٨٠ ـ إن شك في الفعل الذي فعله؛ هل هو قبيح أم لا = أثم؛ لأنه مأمور بأن لا يُقْدِم على الفعل الذي يشك في قبحه.

٨١ ـ ذكر ابن تيمية أن التوبة العامة تقتضي مغفرة الذنوب كلِّها؛ إلا أن يعارضها إصرار على ذنب لو استحضره لم يَتُب منه.

٨٢ ـ اختيار ابن تيمية وابن القيم والقاضي: أن التائب من الغيبة لا يُعلم من اغتابه؛ بل يدعو له دعاءً يكون في مقابلة مظلمته؛ لأن في إعلامه زيادةَ إيذاءٍ له.

٨٣ ـ تصح توبة من عجز عما حرم عليه من قول أو فعل.

٨٤ ـ من ترك التوبة مع القدرة عليها تهاونًا: لزمته التوبة من تفريطه في التوبة.

٨٥ ـ التوبة من البدعة تكون بالاعتراف بها، والرجوع عنها، واعتقاد ضدِّ ما كان يعتقدُ منها.

٨٦ ـ ذكر ابن تيمية أن الكبيرة تحبط ما يقابلها من الحسنات عند أكثر أهل السنة.

٨٧ ـ قال عمر رضي الله عنه: ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون أمر الله.

فوائد من كتاب: أدب الطلب ومنتهى الأرب(١)

١ ـ وهكذا صاحب المعرفة وحامل الحجة وثاقب الفهم، لو وطن نفسه على الإرشاد، وتكلم بكلمة الحق، ونَصَر الله سبحانه ونَصَر دينه، وقام في

(١) هذا الكتاب من تأليف الشيخ العلامة محمد بن علي الشوكاني، وهذا الكتاب ـ كما يُعلم من عنوانه ـ في آداب طَلَبِ العلم، فقد تحدث فيه عن أهمية الإخلاص لله تعالى، وحُسن القصد حال تحصيل العلم الشرعي، وحذَّر فيه من التعصب وحَثَّ على الإنصاف، ثم دعا طالب العلم إلى توطين النفس على الجد في الطلب حتى يبلغ مراتب الاجتهاد، وعَرَّج بعد ذلك على عدد من المسائل والقضايا المهمة لطالب العلم، كبيان أهم أنواع العلوم التي ينبغي لطالب العلم الاهتمامُ بها.

تبيين ما أمره الله بتبيينه؛ لَحَمِد مسراه وشكر عاقبته، وأراه الله سبحانه من بدائع صنعه وعجائب وقايته وصِدْق ما وعد به من قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾؛ ما يزيده ثباتًا، ويشد من عضده، ويقوي قلبه في نصرة الحق ومعاضدة أهله.

٢ ـ ذكر الشوكاني أن المرء إذا قال كلمة الحق وابتُلي بها: فنهايةُ ما ينزل عليك ويحل بك أن تكون قتيلًا للحق وشهيدًا للعلم، فتظفر بالسعادة الأبدية، وتكون قدوة لأهل العلم إلى آخر الدهر، وخزيًا لأهل البدع وقاصمة لظهورهم، وبلاء مصوبًا عليهم، وعارًا لهم ما داموا متمسكين بضلالهم، سادرين في عمايتهم، واقعين في مزالقهم، وكم قد سبقك من عباد الله إلى هذه الطريقة، وظفر بهذه المنزلة العلية، وفيهم لك القدوة، وبهم الأسوة.

٣ ـ وبالجملة، فمن عرف الفنونَ وأهلها معرفة صحيحة لم يبقَ عنده شك أن اشتغال أهل الحديث بفنهم لا يساويه اشتغال سائر أهل الفنون بفنونهم، ولا يقاربه؛ بل لا يعد بالنسبة إليه كثيرَ شيء.

٤ ـ فإنه لا أمانة لرافضي قط، على من يخالفه في مذهبه ويَدين بغير الرفض؛ بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له، لأنه عنده مباح الدم والمال، وكل ما يظهره من المودة فهو تقية يذهب أثره بمجرد إمكان الفرصة، وقد جربنا هذا تجريبًا كثيرًا فلم نجد رافضيًّا يُخْلِص المودةَ لغير رافضي، وإن آثره بجميع ما يملكه، وكان له بمنزلة الخَوَل، وتودد إليه بكل ممكن.

٥ ـ المصاب بالعمى لا يقود الأعمى.

٦ ـ ومن الأسباب المانعة من الإنصاف: ما يقع من المنافسة بين المتقاربين في الفضائل، أو في الرئاسة الدينية أو الدنيوية، فإنه إذا نفخ الشيطان في أنفهما، وترقت المنافسة: بلغت إلى حد يَحمل كل واحد منهما على أن يَرد ما جاء به الآخرُ إذا تمكن من ذلك وإن كان صحيحًا جاريًا على منهج الصواب.

وقد رأينا وسمعنا من هذا القبيل عجائبَ صَنَعَ فيها جماعةٌ من أهل العلم صَنِيْعَ أهل الطاغوت، وردوا ما جاء به بعضهم من الحق، وقابلوه بالجدال الباطل، والمراء القاتل.

٧ ـ قال الشوكاني بعد ما ذكر بعض فضائل العلم من قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾، وقوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، وقوله ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾، وقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»، قال: وناهيك بهذه المزية الجليلة والمنقبة النبيلة، فأكرِم بنفسٍ تطلب غاية المطالب في أشرف المكاسب، وأحببْ برجل أراد من الفضائل ما لا تدانيه فضيلة، ولا تساميه منقبة، ولا تقاربه مكرُمة، فإن نالوه على الوجه الذي تصوروه فقد ظفروا من خير العاجلة والآجلة، وشرف الدنيا والآخرة، بما لا يظفر به إلا من صنع صنيعهم، ونال نيلهم، وبلغ مبالغهم، وإن اخترمهم دونه مخترم، وحال بينهم وبينه حائل: فقد أعذروا، وليس على من طلب جسيمًا، ورام أمرًا عظيمًا، إن منعته عنه الموانع، وصرفته عنه الصوارف؛ من بأس.

وما أحسن ما قاله الشريف الرضي:

لا بد أن أَركبها صعبةً ... وقاحةً تحت غُلامٍ وَقاحْ
أُجهِدها أو تنثني بالردى ... دون الذي أمَّلْتُ أو بالنجاحْ
إما فتًى نال المنى فاشتفى ... أو بطلٌ ذاق الردى فاستراحْ

٨ ـ وإنَّ لِحُسن النية وإخلاص العمل تأثيرًا عظيمًا في هذا المعنى، فمن تعكست عليه بعضُ أموره من طلبة العلم، أو أُكْلِفَ عليه مطالبه، وتضايقت مقاصده؛ فليعلم أنه بذنبه أصيب، وبعدم إخلاصه عوقب، أو أنه أصيب بشيء من ذلك محنةً له وابتلاء واختبارًا؛ لينظر كيف صبره واحتماله، ثم يفيض عليه بعد ذلك من خزائن الخير ومخازن العطايا ما لم يكن بحسبان،

ولا يبلغ إليه تصوره، فليعضَّ على العلم بناجذه، ويشد عليه يده، ويشرح به صدرَه؛ فإنه لا مَحالة واصلٌ إلى المنزل الذي ذكرنا، نائلٌ للمرتبة التي بَيَّنَّا.

٩ ـ وما أحسن ما حكاه بعض أهل العلم عن الحكيم أفلاطون: الفضائل مُرَّة الأوائل حُلْوة العواقب، والرذائل حلوة الأوائل مُرَّة العواقب.

وقد صدق؛ فإن مَن شَغل أوائل عمره وعُنفوان شبابه بطلب الفضائل: لا بد أن يفطِم نفسَه عن بعض شهواتها، ويحبسها عن الأمور التي يشتغل بها أترابه ومعارفه؛ من الملاهي ومجالس الراحة وشهوات الشباب، فإذا انتهى إليه ما هم فيه من تلك اللذات والخلاعات؛ وجد في نفسه بحكم الشباب وحداثة السن وميل الطبع ما هناك مرارة، واحتاج إلى مجاهدة يرد بها جامحَ طبعه، ومتفلت هواه، ومتوثب نشاطه، ولا يتم له ذلك إلا بإلجام شهوته بلجام الصبر، ورباطها بمربط العفة.

١٠ ـ وكما تشعبت مباحث علم المناظرة فقد تشعبت عند المتأخرين مباحثُ علم البديع، فإن الموجودَ في كتب المتقدمين من أنواعه اللفظية والمعنوية دون أربعين نوعًا، وعند أهل البديعيات زيادة على مئة وخمسين نوعًا.

١١ ـ وإياك أن يثنيك عن الاشتغال بهذا الفن(١) ما تسمعه من كلمات بعض أهل العلم في التنفير عنه والتزهيد فيه والتقليل لفائدته، فإنك إن عملت على ذلك وقبلت ما يقال في الفن قبل معرفته: كنت مقلدًا فيما لا يدري ما هو، وذلك لا يليق بما تطلبه من المرتبة العلية، والكون في الطبقة الأولية؛ بل اعرفه حق معرفته وأنت بعد ذلك مُفَوَّض، فما تقوله ـ من مدح أو قدح ـ فإنه لا يقال لك حينئذ: أنت تمدح ما لا تعرفه، أو تقدح فيما لا تدري ما هو(٢).

---

(١) يعني علم الكلام.

(٢) أقول: اقرأ ما يأتي في المدونة الشعرية: قسم: الإيمان والاعتقاد، عنوان: ذم البدع؛ لترى أبياتًا للشوكاني تَصِف حيرة مَن يخوض في هذه الغمار، وهو رَحِمَهُ اللهُ مسبوق إلى تلك النتيجة، فلا داعي لتكرار التجربة، حتى لو كان المرء يسعى إلى بلوغ مرتبة الاجتهاد!! =

١٢ ـ وبالجملة؛ فالمجتهد على التحقيق وهو من يأخذ الأدلةَ الشرعية من مواطنها على الوجه الذي قدمناه، ويفرض نفسه موجودًا في زمن النبوة، وعند نزول الوحي، وإن كان في آخر الزمان، وكأنه لم يسبقه عالم، ولا تقدمه مجتهد، فإن الخطابات الشرعية تتناوله كما تناولت الصحابة، من غير فرق.

١٣ ـ إن من كان بهذه المنزلة الرفيعة من العلم إذا كان لا يقتدر على النظم كان ذلك خدشة في وجه محاسنه، ونقصًا في كماله.

١٤ ـ ينبغي ـ أي للعالم ـ أن يكون كلامُه على قدر علمه، وهو إذا لم يمارس جيد النظم والنثر كان كلامه ساقطًا عن درجة الاعتبار عند أهل البلاغة.

١٥ ـ العلم ثمرة شجرتها الألفاظ.

١٦ ـ وما أقبح بالعالم المتبحر في كل فن أن يتلاعب به في النظم والنثر من لا يجاريه في علم من علومه، ويتضاحكَ منه من له أدنى إلمام بمستحسن الكلام ورائق النظام.

١٧ ـ كفاك من شرٍّ سماعُه[١].

١٨ ـ ومن جملة ما ينبغي له استحضاره: ألا يغتر بمجرد الاسم دون

= وقد قال الشوكاني رحمه الله عن نفسه: «وها أنا أخبرك عن نفسي، وأوضح لك ما وقعت فيه في أمسي: فإني في أيام الطلب وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام، وتارة علم التوحيد، وتارة علم أصول الدين، وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم، ورمت الرجوع بفائدة، والعود بعائدة، فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة، وكان ذلك من الأسباب التي حببت إليَّ مذهب السلف، على أني كنت قبل ذلك عليه، ولكن أردت أن أزداد فيه بصيرة، وبه شغفًا، وقلتُ عند النظر في تلك المذاهب...»، ثم ذكر الأبيات التي نقلت في الموضع المشار إليه.

(١) هذا من أمثال العرب، فارجع إلى كتاب: نهاية الأرب (٣/ ٢٧)؛ لمعرفة معنى المثل وقِصتِه.

النظر في معاني المسميات وحقائقها، فقد يسمى الشيء باسم شرعي، وهو ليس من الشرع في شيء؛ بل هو طاغوتٌ بَحْتٌ.

١٩ ـ ومن رام أن ينصر باطلًا، أو يدفع حقًّا، فهو مركوس، من غير فرق بين رئيس ومرؤوس، «وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل»، وعند عزائم الرحمن يندفع كيد الشيطان.

٢٠ ـ قال الشوكاني مبطلًا لدليل الاستحسان: فإن الله تعالى لم يتعبد أحدًا من عباده بدليل يستدل به أحد من علماء الأمة ويمكنه التعبير عنه وإبرازه من القول إلى الفعل؛ إلا إذا كان صحيحًا تقوم به الحجة، فكيف يتعبدهم بما انقدح في نفس فَرْدٍ من أفرادهم على وجهٍ لا يمكنه التعبير عنه ولا إبرازه إلى الخارج؟ فإن هذا الذي انقدح في نفسه لا ندري ما هو، ولا كيف هو، فكيف يكون حجة على أحد من الناس وقد عجز صاحبه عن بيانه، وعسرت عليه ترجمته؟

وبالجملة؛ تِبيان فساد هذا لا يحتاج إلى إيضاح وإفهام البشر وإن بلغت في الضعف أيَّ مبلغ وقاربت أفهامَ الدواب، فهي لا تطلب البرهان على بطلان هذا الهذيان.

٢١ ـ فإن من القوارع القرآنية، والزواجر المصطفوية، ما يغسل كل قذر، ويَرْحَض كل درن، ويدمغ كل شبهة، ويدفع كل عارض من عوارض السوء.

فوائد من كتاب: بهجة قلوب الأبرار(١)

١ ـ وذلك أن على العبد أن ينوي نية كلية شاملة لأموره كلها، مقصودًا بها وجه الله والتقرب إليه وطلب ثوابه واحتساب أجره والخوف من عقابه، ثم يستصحب هذه النية في كل فرد من أفراد أعماله وأقواله وجميع أحواله.

(١) كتاب (بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار)، للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي. وقد كَشَف المؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ عن مؤلَّفه بقوله في =

٢ ـ فمن نوى فعل الخير وقصد به المقاصد العليا ـ وهي ما يقرب إلى الله ـ فله من الثواب والجزاء: الجزاءُ الكامل الأوفى، ومن نقصت نيته وقصده: نقص ثوابه، ومن توجهت نيته إلى غير هذا المقصد الجليل: فاته الخير وحصل على ما نوى من المقاصد الدنيئة الناقصة.

٣ ـ والأعمال إنما تتفاضل ويَعْظُم ثوابها بحسب ما يقوم بقلب العامل من الإيمان والإخلاص، حتى إن صاحب النية الصادقة ـ وخصوصًا إذا اقترن بها ما يَقْدِرُ عليه من العمل ـ يلتحق صاحبها بالعامل.

٤ ـ وفي البخاري مرفوعًا: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أداها الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله»، فانظر كيف جَعَل النية الصالحة سببًا قويًّا للرزق وأداء الله عنه، وجَعَل النية السيئة سببًا للتلف والإتلاف.

٥ ـ يُستدل بحديث: «من أحدث من أمرنا ما ليس منه فهو رد»، و«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا...»؛ على أن كل عبادة فُعِلت على وجهٍ منهي عنه: فإنها فاسدة.

٦ ـ قال المصنف في شرح حديث: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده...»: وزاد النسائي والترمذي: «والمؤمن من أمنه الناس على...»، وعند البيهقي: «والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله»، فهذا الحديثُ مَن قام بما دل عليه: فقد قام بالدين كله، مَن سَلِم المسلمون من

= المقدمة: «فليس بعد كلام الله أصدق ولا أنفع ولا أجمع لخير الدنيا والآخرة من كلام رسوله وخليله محمد ﷺ ....، وقد بدا لي أن أَذكر جملةً صالحة من أحاديثه الجوامع في المواضيع الكلية، والجوامع في جنس، أو نوع، أو باب من أبواب العلم، مع التكلم على مقاصدها وما تدل عليه، على وجه يَحصل به الإيضاح والبيان مع الاختصار؛ إذِ المقام لا يَقتضي البسط»، ثم قال في ختام هذا الكتاب: «تمت هذه الرسالة المشتملة على شرح تسع وتسعين حديثًا من الأحاديث النبوية الجوامع، في أصناف العلوم، والمواضيع النافعة، والعقائد الصحيحة، والأخلاق الكريمة، والفقه والآداب، والإصلاحات الشاملة، والفوائد العامة».

لسانه ويده، وأمنه الناس على دمائهم وأموالهم، وهَجَر ما نهى الله عنه، وجاهد نفسه على طاعة الله: فإنه لم يبقَ من الخير الديني والدنيوي الظاهري والباطني شيئًا إلا فعله، ولا من الشر شيئًا إلا تركه، والله الموفق وحده.

٧ ـ حديث أبي هريرة: «يأتي الشيطان إلى أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ . . .» احتوى هذا الحديث على أنه لا بد أن يُلْقِي الشيطان هذا الإيراد الباطل؛ إما وسوسة محضة، أو على لسان شياطين الإنس وملاحدتهم، وقد وقع كما أخبر، فإن الأمرين وَقَعَا، لا يزال الشيطان يدفع إلى قلوبِ مَن ليست لهم بصيرة هذا السؤالَ الباطل، ولا يزال أهل الإلحاد يُلقون هذه الشبهة التي هي أبطل الشُّبَه، ويتكلمون عن العلل وعن مواد العلم بكلام سخيف معروف.

وقد أرشد النبي إلى دفع هذا السؤال بأمور ثلاثة:

(١) الانتهاء: فإن الله تعالى جعل للأفكار والعقول حدًّا تنتهي إليه ولا تتجاوزه، ويستحيل لو حاولت مجاوزته أن تستطيع؛ لأنه محال، ومحاولة المحال: من الباطل والسَّفَه، ومِن أمحل المحال: التسلسل في المؤثرين والفاعلين، فإن المخلوقات لها ابتداء ولها انتهاء، وقد تتسلسل في كثير من أمورها حتى تنتهي إلى الله الذي أوجدها وأوجد ما فيها من الصفات والمواد والعناصر، قال الله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾، فإذا وصلت العقول إلى الله تعالى: وقفتْ وانتهتْ؛ فإنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، فأَوَّلِيَّتُه تعالى لا مُبتدأ لها مهما فرضت الأزمان والأحوال، وهو الذي أوجد الأزمان والأحوال والعقول.

(٢) الاستعاذة: فمن تعوذ بالله بصدق وقوّة؛ أعاذه الله.

(٣) أن يدفعه بما يضاده؛ من الإيمان بالله ورُسله.

٨ ـ العجز الوارد في حديث: «كل شيء بِقَدَرٍ؛ حتى العَجْزُ والكَيْسُ»

معناه: الخيبة والخسران، والكَيْس: الجِد في طاعة الرحمن، والمراد بالعجز: الذي يُلام عليه العبد، وهو عدم الإرادة، وهو الكسل، لا عدم القدرة.

٩ ـ دل مفهوم: «من يرد الله به خيرًا...»؛ على أن مَن أَعرض عن هذه العلوم بالكلية: فإن الله لم يُرِد به خيرًا؛ لحرمانه الأسبابَ التي تُنال بها الخيرات، وتُكتسب بها السعادة.

١٠ ـ حديث: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...»؛ دل على أن محبة الله تتفاضل؛ لأن محبته للمؤمن القوي أعظم من محبته للمؤمن ضعيف.

١١ ـ ولمَّا فاضل النبيُّ ﷺ بين المؤمنين قويِّهم وضعيفِهم: خشي مِن تَوَهُّمِ القدح في المفضول، فقال: «وفي كل خير»، وفي هذا الاحتراز فائدةٌ نفيسة، وهي: أن على مَن فاضل بين الأشخاص أو الأجناس أو الأعمال: أنْ يَذكر وجه التفضيل، وَجِهة التفضيل، ويحترز بذكر الفضل المشترك بين الفاضل والمفضول؛ لئلا يتطرق القدح إلى المفضول، وكذلك في الجانب الآخر: إذا ذُكرت مراتب الشر والأشرار، وذُكر التفاوت بينهما: فينبغي بعد ذلك أن يُذكر القدر المشترك بينهما من أسباب الخير أو الشر، وهذا كثير في الكتاب والسنة.

١٢ ـ الأمور النافعة قسمان: أمور دينية وأمور دنيوية:

والعبد محتاج إلى الدنيوية كما أنه محتاج إلى الدينية، ومدار سعادته وتوفيقه: الحرص والاجتهاد في الأمور النافعة منهما مع الاستعانة بالله تعالى، فمتى حرص العبد على الأمور النافعة واجتهد فيها وسلك أسبابها وطرقها، واستعان بربه في حصولها وتكميلها كان ذلك كمالَه وعنوانَ فلاحِه، ومتى فاته واحد من هذه الأمور الثلاثة: فاته من الخير بحسبها، فمن لم يكن حريصًا على الأمور النافعة؛ بل كان كسلانًا: لم يدرك شيئًا، فالكسل هو أصل الخيبة والفشل، فالكسلان لا يدرك خيرًا، ولا ينال مَكرُمة، ولا يحظى بدين ولا دنيا، ومتى كان حريصًا ولكن على غير الأمور النافعة؛ إما على

أمور ضارة، أو مُفوّتة للكمال: كان ثمرةُ حرصه الخيبةَ وفواتَ الخير وحصولَ الشر والضرر، فكم من حريص على سلوك طرق وأحوال غير نافعة لم يستفد من حرصه إلا التعب والعناء والشقاء...

ثم إذا سلك العبد الطرق النافعة، وحرص عليها واجتهد فيها: لم تتم له إلا بصدق اللجأ إلى الله والاستعانة به على إدراكها وتكميلها، فبذلك تَهُون عليه المصاعب، وتتيسر له الأحوال، وتتم له النتائج والثمرات الطيبة في أمر الدين وأمر الدنيا؛ لكنه في هذه الأحوال محتاج إلى معرفة الأمور التي ينبغي الحرصُ عليها، والجدُّ في طلبها.

١٣ ـ والحالة التقريبية: أن يجتهد طالب العلم في حفظ مختصر من مختصرات الفن الذي يشتغل فيه، فإن تعذر أو تعسر عليه حفظه لفظًا: فليكرره كثيرًا متدبرًا لمعانيه، حتى ترسخ معانيه في قلبه، ثم تكون باقي كتب هذا الفن كالتفسير والتوضيح والتفريع لذلك الأصل الذي عرفه وأدركه، فإن الإنسان إذا حفظ الأصول وصار له ملكةٌ تامة في معرفتها: هانت عليه كتب الفن كلها؛ صغارُها وكبارُها، ومَن ضَيَّع الأصول: حُرم الوصول، فمن حرص على هذا الذي ذكرناه، واستعان بالله: أعانه الله، وبارك في علمه وطريقه الذي سلكه.

ومن سلك في طلب العلم غير هذه الطريقة النافعة: فاتت عليه الأوقات، ولم يدرك إلا العناء، كما هو معروف بالتجربة، والواقعُ يشهد به، فإن يسر الله له معلمًا يحسن طريقة التعليم ومسالك التفهيم: تم له السبب الموصل إلى العلم.

١٤ ـ ذكر الشيخ أن العبد ينوي بطلب الرزق:

(١) القيام بواجب نفسه، وواجب عائلته، ومن يقوم بمؤنته.

(٢) ينوي الكفافَ والاستغناء بطلبه عن الخلق.

(٣) تحصيل ما تقوم العبادات المالية من الزكاة والصدقة، والنفقات

الخيرية الخاصة والعامة مما يتوقف على المال، ويقصد المكاسب الطيبة متجنبًا لخبيثها.

فمتى قصد العبد هذه المقاصد الجليلة: كانت حركاته وسعيه قُربةً يتقرب إلى الله بها.

١٥ ـ أي المكاسب أفضل؟

قد اختلف أهل العلم في ذلك، والفاصل في النزاع هذا الحديث: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله»، والنافع من ذلك معلومٌ أنه يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص.

ثم إنه عليه السلام حض على الرضا بقضاء الله وقدره بعد بذل الجهد واستفراغ الوسع في الحرص على النافع؛ ليزداد إيمانه ويسكن قلبه وتستريح نفسه، فإن «لو» في هذه الحال تفتح عمل الشيطان؛ بنقص إيمانه بالقَدَر واعتراضه عليه، وفتح أبواب الهم والحزن المضعف للقلب، وهذه الحال التي أرشد إليها النبي عليه السلام هي أعظم الطرق لراحة القلب، وأدعى لحصول القناعة والحياة الطيبة.

١٦ ـ «لو» إذا استُعملت في تمني الخير أو في بيان العلم النافع فإنها محمودة؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

١٧ ـ قوله ﷺ: «احرص على ما ينفعك»؛ من لازمه: اجتنابُ الأمور الضارة.

١٨ ـ ويعامل العلماء بالتوقير والإجلال والتعلّم والتواضع لهم وإظهار الافتقار والحاجة إلى علمهم وكثرة الدعاء لهم؛ خصوصًا وقتَ تعليمهم وفتواهم الخاصة والعامة.

١٩ ـ الضرر يرجع إلى أحد أمرين: إما تفويت مصلحة، أو حصول مضرة بوجه من الوجوه. ومنه: نَهْيُه ﷺ عن ترويع المسلم ولو كان على وجه المزاح.

٢٠ ـ حديث: «من ضَارَّ ضَارَّ اللهُ به، ومن شَاقَّ شَاقَّ اللهُ عليه»، وكما يدل الحديث بمنطوقه: أن من ضار وشاق ضره الله وشق عليه، فإن مفهومه

يدل على أن من أزال الضرر والمشقة عن المسلم فإن الله يجلب له الخير ويدفع عنه الضرر والمشاق؛ جزاءً وفاقًا، سواء كان متعلقًا بنفسه أو بغيره.

٢١ ـ مما يكفر الله به الخطايا: المصائبُ، وهي: إما فوات محبوب، أو حصول مكروه بدني أو قلبي أو مالي؛ لكن المصائب ليست من فعل العبد فلهذا أَمَره بما هو من فِعله، وهو أن يُتْبِعَ السيئةَ الحسنةَ.

٢٢ ـ من أخص ما يكون بالخُلق الحسن: سَعة الحلم على الناس، والصبر عليهم، وعدم الضجر منهم، وبشاشة الوجه، ولطف الكلام، والقول الجميل المؤنس للجليس.

٢٣ ـ واعلم أن من تفكر في كثرة نِعَم الله، وتفطن لآلاء الله الظاهرة والباطنة: استحيا من ربه أن يفقده حيث أمره.

٢٤ ـ العوائد والتقليد الأعمى: يوجب استحسان القبيح، واستقباح الحسن.

٢٥ ـ قال الحنابلة: الحيوانات أقسام:

(١) نجس حيًّا وميتًا، في ذاته وأجزائه وفضلاته، وذلك كالكلاب، والسباع كلها، والخنزير، ونحوها.

(٢) ما كان طاهرًا في الحياة نجسًا بعد الممات، وذلك كالهرة وما دونها في الخلقة، ولا تُحِلُّه الذكاة ولا غيرها.

(٣) ما كان طاهرًا في الحياة وبعد الممات، ولكنه لا يَحِل أكله، وذلك كالحشرات التي لا دَمَ لها سائل.

(٤) ما كان طاهرًا في الحياة وبعد الذكاة، وذلك كالحيوانات المباح أكلها، كبهيمة الأنعام ونحوها.

(٥) ما كان طاهرًا في الحياة وبعد الممات، ذُكِّيَ أو لم يُذَكَّ، وهو حلال، وذلك كحيوانات البحر كلها، والجراد.

٢٦ ـ قوله ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة...؛ ما اجتُنبت الكبائر»؛ يؤخذ منه: أن كل نص جاء فيه تكفير بعض الأعمال الصالحة للسيئات، فإنما المراد به: الصغائر؛ لأن هذه العبادات الكبار إذا كانت لا تُكفَّر بها الكبائرُ فكيف بما دونها.

٢٧ ـ من كانت نيته عمل خير، ولكنه اشتغل بعمل آخر أفضل منه، ولا يمكن الجمع بين العملين، فإن الله يكتب له ذلك العمل الذي منعه منه عملٌ أفضل منه، وكذلك لو اشتغل بنظيره.

٢٨ ـ حديث: «ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغنِ يغنه الله...»، وذلك بأن يجاهد المرء نفسه على أمرين: انصرافها عن التعلق بالمخلوقين، بالاستعفاف عما في أيديهم، فلا يطلبه بمقالِه، ولا بلسان حاله، ولهذا قال ﷺ لعمر: «ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرِف ولا سائل فخُذه، وما لا فلا تُتبعه نفسك»، فَقَطْعُ الإشرافِ في القلب، والسؤالِ باللسان؛ تعففًا وترفعًا عن مِنَنِ الخلق، وعن تَعلُّق القلب بهم: سببٌ قوي لحصول العفة.

وتمام ذلك: أن يجاهد نفسه على الأمر الثاني، وهو الاستغناء بالله، والثقة بكفايته، فإنه من يتوكل على الله فهو حسبه، وهذا هو المقصود، والأول وسيلة إلى هذا.

٢٩ ـ «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»، فجَمَع الخير كله في هذا الدعاء، فالهدى: هو العلم النافع، والتقى: هو العمل الصالح وتَرْك المحرمات كلها، هذا صلاح الدين.

وتمامُ ذلك بصلاح القلب، وطمأنينته بالعفاف عن الخلق، والغنى بالله، ومن كان غنيًّا بالله فهو الغني حقًّا، وإن قَلَّتْ حواصله.

٣٠ ـ قوله ﷺ: «ومن يتصبر يصبره الله»، الصبر كسائر الأخلاق، يَحتاج إلى مجاهدة للنفس وتمرينها، فلهذا قال: «ومن يتصبر»؛ أي: يجاهد نفسه على الصبر.

٣١ ـ وبالصبر يُنال الفلاح، ولهذا ذَكر الله أهل الجنة، فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾، وكذلك قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾، فهم نالوا الجنة بنعيمها، وأدركوا المنازل بالصبر، ولكن العبد يَسأل الله العافية من الابتلاء الذي لا يدري ما عاقبته، ثم إذا وَرَدَ عليه فوظيفته الصبر.

٣٢ ـ فالصدقة لا تَنْقُص المالَ؛ لأنه لو فُرض أنه نقص من جهة، فقد زاد من جهات أُخَر، فإن الصدقة تبارك المال، وتدفع عنه الآفات وتنميه، وتفتح للمتصدق من أبواب الرزق وأسباب الزيادة أمورًا ما تُفتح على غيره.

٣٣ ـ قوله ﷺ: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه»، فيه تنبيهٌ على حُسن القصد والإخلاص لله في تواضعه.

٣٤ ـ وهنا يقف القلم، ويَسِيح قلب الصائم؛ فرحًا وطربًا بعمل اختصه الله لنفسه، وجعل جزاءه من فضله المحض، وإحسانه الصِّرْف.

٣٥ ـ قوله ﷺ: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه»، هذان ثوابان؛ عاجل، وآجل:

(١) **العاجل**: مشاهَد، إذا أفطر الصائم فرح بنعمة الله عليه، وفرح بنيل شهواته.

(٢) **الآجل**: فرحه عند لقاء ربه برضوانه وكرامته.

٣٦ ـ وكل ما تأثر عن العبادات من المشقات والكريهات فهو محبوب لله، ومحبوب الله عند المؤمن مُقدَّم على كل شيء.

٣٧ ـ قوله ﷺ: «رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى، سمحًا إذا اقتضى»، فالسماحة في مباشرة المعاملة، وفي القضاء والاقتضاء، يُرجى لصاحبه كل خير ديني ودنيوي؛ لدخوله تحت هذه الدعوة.

٣٨ ـ **النكاح**: أَمَرَ الله به ورسولُه، ورتب عليه من الفوائد شيئًا كثيرًا: عون الله، وامتثال أمر الله ورسوله، وأنه من سنن المرسلين، وتحصين

الفرج، وغض البصر، وتحصيل النسل، والإنفاق على الزوجة والأولاد، وهو أفضل من العبادات القاصرة.

٣٩ ـ حديث: «من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن»، مفهومه: أن الطبيب الحاذق ونحوه إذا باشر ولم تَجْنِ يده، وترتب على ذلك تلف: فليس بضامن؛ لأنه مأذون فيه من المكلف أو وليه، فكل ما ترتب على المأذون فيه فهو غير مضمون.

٤٠ ـ حديث: «ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم...، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»، فيه دليل على أصل: أنه إذا تعارض مفسدتان تحقيقًا أو احتمالًا، راعينا المفسدة الكبرى فدفعناها؛ تخفيفًا للشر.

٤١ ـ يفهم من حديث: «لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف»؛ أنه إذا تعارضت طاعة هؤلاء[١] الواجبة، ونافلة من النوافل؛ فإن طاعتهم تُقَدَّم.

٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلۡفَضۡلَ بَیۡنَكُمۡۚ﴾؛ أي اجعلوا للفضل والإحسان موضعًا من معاملاتكم، ولا تَستقصوا في جميع الحقوق.

٤٣ ـ أصول الطب: تدبير الغذاء:

(١) بأن لا يأكل حتى تَصْدُق الشهوة، وينهضم الطعام السابق انهضامًا تامًا.

(٢) تحري الأنفع من الأغذية.

(٣) الحمية عن جميع المؤذيات.

(٤) نظافة الهواء والبدن والثياب، والبُعد عن الروائح الخبيثة، والرياضة المتوسطة.

---

(١) أي: الولاة والوالدين والزوج وغيرهم.

٤٤ ـ الحسب نوعان:

(١) حسب يتعلق بنسب الإنسان، وشرف بيته، وهذا النوع إنما هو مدح لأنه مظنة أن يكون صاحبه عاملًا بمقتضى حسبه، مترفعًا عن الدنايا، متحليًا بالمكارم، فهو مقصود لغيره.

(٢) فهو الحسب الحقيقي، وهو حُسن الخُلق، المحتوي على الحلم الواسع، والصبر، والعفو، وبذل المعروف، والإحسان.

٤٥ ـ حُسن الخُلق مع الخَلق: بذل الندى، واحتمال الأذى، وكف الأذى. قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾.

٤٦ ـ وشر الناس: من كان صريع شهوته وغضبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٧ ـ فالحازم إذا ضاقت عليه الدنيا لم يَجمع على نفسه بين ضيقها وفقرها، وبين فقر القلب وحسرته وحزنه؛ بل يسعى لراحة القلب وسكونه وطمأنينته.

حديث: «إذا قمت إلى الصلاة فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدًا، وأجمع الإياس مما في أيدي الناس»:

تكميل الصلاة: وذلك بأن يحاسب نفسه على كل صلاة يصليها، وأنه سَيُتِم جميع ما فيها؛ من واجب وفرض وسنة، وأن يتحقق بمقام الإحسان الذي هو أعلى المقامات، وذلك بأن يقوم إليها مستحضرًا وقوفه بين يدي ربه، وأنه يناجيه بما يقوله؛ من قراءة وذِكر ودعاء، ويخضع له في قيامه وركوعه وسجوده وخفضه ورفعه وأفعاله فيها، وعليه توطين نفسه على ذلك من غير تردد ولا كسل قلبي.

اليأس عصمة، ومن أيس من شيء؛ استغنى عنه، فكما أنه لا يسأل بلسانه إلا الله، فلا يُعَلِّق قلبه إلا بالله، فيبقى عبدًا لله حقيقةً، سالمًا من عبودية الخلق، قد تحرر من رِقهم، واكتسب بذلك العز والشرف.

٤٨ ـ سبب النهي عن تمني الموت: أنه يضعف النفس، ويحدث الخَوَر

والكسل، ويُوْقِع في اليأس، والمطلوبُ من العبد مقاومةُ هذه الأمور، والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به.

٤٩ ـ مسألة: كيف يُجمع بين حديث: «اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيرًا لي»، وحديث: «لا يَقُلْ أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ولكن ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مُكْرِه له...»؟

نقول: الحديث الأول علق بعلم الله وإرادته في الأمور المعيَّنة التي لا يَدري العبدُ مِن عاقبتها ومصلحتها.

وأما الثاني: فهو منهيٌّ عنه؛ لأنه في الأمور التي يَعلم العبد حاجته وضرورته إليها، وهي مغفرة الله ورحمته ونحوها، فإن العبد يسألها ويطلبها من ربه طلبًا جازمًا لا تردد فيه؛ لأن العبد مأمور ومُحَتَّمٌ عليه السعيُ فيها وفي جميع ما يَتوسل به إليها.

وقد استثنى كثير من العلماء: جواز تمني الموت خوفًا من الفتنة؛ أخذًا من قول مريم: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾، كما استثنى بعضهم تمني الموت شوقًا إلى لقاء الله؛ أخذًا من قول يوسف: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٥٠ ـ وعلامة الرحمة الموجودة في قلب العبد: أن يكون مُحِبًّا لوصول الخير لكافة الخلق عمومًا وللمؤمنين خصوصًا، كارهًا حصول الشر والضرر عليهم، فبقدر هذه المحبة والكراهة: تكون رحمته. وكذلك رحمة الأطفال الصغار والرقة عليهم.

٥١ ـ من حكمة الله التي يُحمد عليها: أن جعل الجزاء من جنس العمل، فكما وَصَل رَحِمَهُ بالبر والإحسان المتنوع، وأدخل على قلوبهم السرور: وَصَلَ الله عُمره، ووصل رزقه.

٥٢ ـ في دعاء السفر: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾، فيه التذكر بسفر الدنيا الحسي لسفر الآخرة المعنوي.

٥٣ ـ جميع ما في القرآن من الأسماء الحسنى والصفات العظيمة: تفاصيل لهذه الأسماء التي ذكرت في هذه السورة[١]؛ بل كل ما في القرآن من العبوديات الظاهرة والباطنة وأصنافها وتفاصيلها: تفصيل لمضمون هذه السورة.

٥٤ ـ النوعان اللذان ذُكِرا في قوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين...»، فهذان النوعان من الإحسان لا يعادلهما شيء:

(١) ينفع الخلق بماله، ويدفع حاجاتهم، وينفق في المشاريع الخيرية فتقوم ويتسلسل نفعها، ويعظم وقعها.

(٢) ينفع الناس بعلمه...

فوائد من حلية طالب العلم[٢]

١ ـ قال بعض العلماء: العلم صلاة السر وعبادة القلب.

٢ ـ قال سفيان الثوري: ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي.

٣ ـ عن عمر بن ذر أنه قال لوالده: يا أبي ما لَك إذا وعظت الناس

---

(١) يعني سورة الإخلاص.

(٢) هذا الكتاب للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، وهو من أجلّ ما كُتب في آداب طالب العلم. أبانَ فيه مؤلِّفه جملةً من آداب طالب العلم التي ينبغي له التحلي بها، كما بيَّن آفاتٍ تضادها. وقد رَتَّب الشيخ بكرٌ هذا الكتابَ النفيسَ ترتيبًا بديعًا، فذكر أولًا: أدب الطالب في نفسه، ثم أدب الطالب مع شيخه، ثم تكلم عن أدب الزمالة، وأدب الطالب في حياته، إلى غير ذلك من المسائل والتنبيهات الهامة، كل ذلك بإيجاز، وبالأسلوب الرفيع الذي عُرف به الشيخ بكر. ولأهمية هذه الرسالة القيِّمة قام الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين بالشرح والتعليق عليها.

أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بني ليستِ النائحةُ الثكلى مثلَ النائحة المستأجرة.

٤ ـ قال الذهبي في السِّيَر: «وصح عن الدارقطني أنه قال: ما شيء أبغض إليَّ مِن علم الكلام. قلت: لم يدخل الرجل أبدًا في علم الكلام ولا الجدال ولا خاض في ذلك؛ بل كان سلفيًا».

٥ ـ واحذر داء الجبابرة: الكبر، فإن الكبر والحرص والحسد أول ذنب عُصِيَ الله به، فتطاولك على معلمك كبرياء، واستنكافك عمن يفيدك ممن هو دونك كبرياء، وتقصيرك عن العمل بالعلم حَمْأَةُ كِبر، وعنوان حرمان.

العلم حرب للفتى المتعالي ... كالسيل حربٌ للمكان العالي

فالزم ـ رحمك الله ـ اللصوق إلى الأرض، والإزراء على نفسك، وهضمها ومراغمتها عند الاستشراف لكبرياء أو غطرسة، أو حب ظهور أو عجب، ونحو ذلك من آفات العلم القاتلة له، المذهِبة لهيبته، المطفئة لنوره، وكلما ازددتَ علمًا أو رِفعةً في ولاية: فالزم ذلك؛ تُحْرِزْ سعادةً عظمى، ومقامًا يغبطك عليه الناس.

وعن عبد الله ابن الإمام الحجة الراوية في الكتب الستة: بكر بن عبد الله المزني رحمهما الله تعالى، قال: (سمعت إنسانًا يحدث عن أبي، أنه كان واقفًا بعرفة، فَرَقَّ، فقال: لولا أني فيهم لقلتُ: قد غُفر لهم). أخرجه الذهبي في السير، ثم قال: (قلت: كذلك ينبغي للعبد أن يُزْرِيَ على نفسه ويهضمها).

٦ ـ أسند الخطيب البغدادي رحمه الله بسند فيه لطيفة إسنادية، برواية آباءٍ تسعةٍ عن بعض، فقال: أخبرنا أبو الفرج عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن زيد بن أُكَينة بن عبد الله التميمي من حِفظه قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب يقول: (العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل).

٧ ـ قال الخطيب: يجب على طالب الحديث أن يتجنب: اللعب والعبث والتبذل في المجالس بالسُّخف والضحك والقهقهة وكثرة التنادر وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يُستجاز من المزاح بيسيره ونادره وطريفة والذي لا يُخرِج عن حد الأدب وطريقة العلم، فأما متصله وفاحشه وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلب الشر فإنه مذموم، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر ويزيل المروءة.

٨ ـ فازْوَرَّ عن زيف الحضارة؛ فإنه يؤنث الطباع، ويرخي الاعصاب، ويقيدك بخيط الأوهام.

٩ ـ لكنه الاقتصاد في اللباس برسم الشرع تحفه بالسمت بالصالح والهدي الحسن.

١٠ ـ لا تطأ بساط مَن يَغشون في ناديهم المنكر، ويهتكون أستار الأدب، متغابيًا عن ذلك، فإن فعلتَ ذلك فإن جنايتك على العلم وأهله عظيمة.

١١ ـ الغلط تحت اللغط.

١٢ ـ ذكر صاحب المعجم الوسيط في أدباء شنقيط: أنه وقع نزاع بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلة أخرى في الصلح، فتراضوا بحكم الشرع وحكَّموا عالمًا، فاستظهر قتل أربعة من قبيلة بأربعة قتلوا من القبيلة الأخرى، فقال الشيخ باب بن أحمد: مثل هذا لا قصاص فيه، فقال القاضي: إن هذا لا يوجد في كتاب، فقال: بل لم يَخْلُ منه كتاب، فقال القاضي: هذا القاموس؛ يعنى أنه يدخل في عموم كتاب، فتناول صاحب الترجمة القاموس، وأول ما وقع نظره عليه: (والهيشة: الفتنة، وأم حُبَيْن ـ هي دُوَيْبَةٌ ـ، وليس في الهيشات قود)؛ أي: في القتيل في الفتنة لا يُدْرَى قاتلُه، فتعجب الناس مِنْ مِثل هذا الاستحضار في ذلك الموقف الحَرِج.

١٣ ـ التزم الرفق في القول، مجتنبًا الكلمة الجافية، فإن الخطاب اللين يتألف النفوسَ الناشزة.

١٤ ـ (من لم يُتقِنِ الأصول حُرِمِ الوصول)، ومن رام العلمَ جملةً، ذهب جملة، وقيل: ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم.

١٥ ـ احذر أبا جهل المبتدع، الذي مسه زيغ العقيدة، وغشيته سحب الخرافة، يُحَكِّم الهوى، ويسميه العقل، ويعدِل عن النص، وهلِ العقلُ إلا في النص؟!

١٦ ـ وعن مالك: لا يؤخذ العلم من أربعة: سفيه يعلن السفه، وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنتُ لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.

١٧ ـ كان سهل التستري لا يرى إباحة الأكل من الميتة للمبتدع عند الاضطرار؛ لأنه باغٍ؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ...﴾، فهو باغٍ ببدعته.

فوائد من كتاب: المدخل المفصَّل[1]

١ ـ شَرَفٌ لأمة محمد ﷺ وحدتهم في التاريخ عن مهاجَر النبي ﷺ عن مكة ـ حرسها الله تعالى ـ إلى المدينة ـ حرسها الله تعالى ـ، ولهذه الوحْدَة

(١) كتاب (المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب) للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، «وهو كتاب يضم ثمانية مداخل: يخدم في الخمسة الأولى منها المذهب، يُعرِّف بأصوله، ويفسِّر مصطلحاته، ويضبط للدارسين طرق معرفته، ومسالك الترجيح فيه، كما يفرد المداخل الثلاثة الباقية بالترجمة للإمام أحمد بن حنبل شيخ السنة وصاحب المنة على الأمة، والتعريف بعلماء المذهب، وكتبه. وهو من أَجلِّ ما كُتب من المداخل في هذا العصر؛ جمعًا، وإتقانًا، وتحليلًا، وعمقًا، ونظرًا، وتفصيلًا، تسنده المعرفة الواسعة، والفهم الصائب، والتتبع الدقيق لأَعمال النظار والباحثين وتصرفاتهم وما وضعوه من كتب، وصنفوه من دراسات وبحوث ومؤلفات، =

التاريخية فإن العلماء المتقدمين لم يكونوا يضعون حرف: «هـ» بعد التاريخ، رمزًا للتاريخ الهجري؛ لوحدة التاريخ لديهم، وعِلمِهم به، ولأنه ليس قسيمًا لغيره كالتاريخ الميلادي، وكان في آخر من قَفَى عملَ المسلمين بعدم وضع الرمز «هـ» وعدم مقابلته بالتاريخ الميلادي هو الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

٢ ـ أول من صنف في تفسير مصطلحات الإمام أحمد في أجوبته: الحسن بن حامد، في كتابه: تهذيب الأجوبة.

٣ ـ فوائد حول مصطلح المذهب:

(١) هو اصطلاح لَحِقَ بالأئمة الأربعة بعد وفاتهم، ولا عِلم لواحد منهم بهذا الاصطلاح؛ فضلًا عن أن يكون قال به، أو دل عليه، أو دعا إليه.

(٢) وعلى الكلام السابق قيل: إن نسبة المذهب إلى صاحبه، لا يخلو من تسامح، وذلك أن الأئمة لم يكن عندهم منهاج محدد في اجتهادهم، إنما كانوا يتبعون في ذلك منهج من سبقهم من علماء التابعين، وهؤلاء عن الصحابة إلى رسول الله ﷺ.

(٣) لم يَحدث التمذهب إلا في القرن الرابع الهجري، عندما دعت الظروف إلى هذا النوع؛ من الالتزام بمنهاج معين في الفقه، ولم تكن المذاهب قد استقرت على رأس المائة الثالثة، رغم ما قيل من أنه في هذا التاريخ كان قد بطل نحو خمسمائة مذهب.

= فجاء كما يُؤَمِّل صاحبُه: جامعًا للفوائد، مقيدًا للشوارد، حافلًا بالمسائل العلمية النادرة المستجادة، والاستنباطات الفقهية المؤيدة بأدلتها، والمطايبات المختلفة، واللطائف المتعددة المجانسة لها»، انتهى من تَقدمة الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة.

أقول: ومع أهمية هذا الكتاب فإني لم أقف على سوى بضع فوائد قيدها (ريان رحمه الله)، وقد عرفتَ شيئًا من قدر هذا الكتاب مما سبق، فلعل (ريان رحمه الله) قيد فوائد أخرى في موضع لم تَصلْ إليه يدي.. وعلى كلٍّ؛ فإني أنصح طالب العلم ـ لاسيما المشتغل بالفقه الحنبلي ـ بالرجوع إلى هذا الكتاب النفيس، واستخراج ما فيه من فوائد.

(٤) بدأت بذرة المذاهب قبل القرن الرابع هجري؛ إذ كان أهل المدينة يعتمدون على فتاوى ابن عمر، وأهل مكة على فتاوى ابن عباس، وأهل الكوفة على فتاوى ابن مسعود، فكان هذا أول غرس لأصل التمذهب بالمذاهب.

٤ ـ لقب القرَّاء: ذكر ابن خلدون في المقدّمة أن القراء كان يطلق في زمن الصحابة على:

(١) الذين يقرؤون القرآن، ويفقهون معانيه، ويعرفون أحكامه، ودلالاته، حتى تأهلوا للفتيا.

(٢) أن العرب كانوا أمة أمية، فاختص من كان منهم قارئًا للكتاب بهذا الاسم؛ لغرابته يومئذ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة.

فوائد من كتاب: خصائص جزيرة العرب[١]

ص٦ ـ وجِماعُ التراخي والفتور: ضعف الإيمان في النفوس، وسكرة الركون إلى الحياة الدنيا وشهواتها.

ص١٣ ـ من أسرار كون جزيرة العرب محفوفة بثلاثة أبحر: كونه صيانة لها عن تكرار الدُّخلاء عليها، كما في حمدلةِ أعرابي ذكرها الجاحظ في البيان والتبيين: «الحمد لله الذي جعل جزيرة العرب في حاشية، وإلا لدَهَمت هذه العُجْمانُ خضراءَهم».

(١) هذا الكتاب للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، وقد أوضح الشيخ مراده بهذا المؤلَّف في مقدمته، فقال: «فهذا بيانٌ للناس عن أصل من أصول الملة، عن دار النصرة والقبلة، حبيبة المسلمين، عدوة الكافرين، عن الدار الأولى لظهور الإسلام، والخط الأخير في غُرة الوجود الإسلامي: جزيرةِ العرب؛ في حدودها، وحدود الحجاز، وخصائصها في الإسلام، والضمانات الحافظة لها. أفردتُها لما رأيتها عند الأكثرين من السنن المهجورة. . .».



ص١٤ ـ الإقليم هو: كل ناحية مشتملة على مُدُن وقُرى.

ص١٥ ـ البحر الأحمر يقال له: بحر القُلْزُم، وبحر الحبشة.

ص١٦ ـ قال ابن تيمية في تحديد مساحة جزيرة العرب: هي من بحر القُلْزُم إلى بحر البصرة، ومن أقصى حِجْر اليمامة إلى أوائل الشام، بحيث كانت تدخل اليمنُ في دارهم ولا تدخل فيها الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب حين البعث وقبله...

ص٢٢ ـ في تسمية الحجاز به توجيهان:

(١) لأنها قد احتُرِمت واحتُجِزَتْ بالجبال أو بالحِرار أو بهما، فسميت حجازًا، فهو من الاحتجاز، بمعنى: شد الوسط بالحُجْزة أو بالحجاز.

(٢) لأن جبالها وحِرارها قد حَجَزَت بين نجد والسراة، أو بين نجد واليمن، أو بين نجد وبين إقليم تهامة، وهو غائر، أو بين الشام والغور.

ص٣٦ ـ قال ابن تيمية ـ كما نقله عنه الحجاوي في باب حكم المرتد ـ: من اعتقد أن الكنائس بيوت الله، وأن الله يُعبد فيها، أو أن ما يفعله اليهودُ والنصارى عبادةً لله وطاعةً لرسوله، أو أنه يُحِبّ ذلك أو يرضاه، أو أعانهم على فتحها وإقامة دينهم، وأن ذلك قربة أو طاعة: فهو كافر، وقال في موضع آخر: من اعتقد أن زيارة أهل الذمة كنائسَهم قربةٌ إلى الله: فهو مرتد، وإن جهل أن ذلك مُحرَّم عُرف ذلك، فإن أصرّ صار مرتدًّا.

ص٤٢ ـ مسألة: أخبر رسول الله ﷺ أن بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام أربعين عامًا؟ كيف يُجمع بينه وبين ما عُلِم أن سليمان بن داود هو من بنى المسجد الأقصى؟ الجواب: أن سليمان لم يَبْنِ المسجد الأقصى، وإنما كان له تجديده، والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق بعد بناء إبراهيم للكعبة بأربعين عامًا. ذكره ابن القيم.

ص٤٥ ـ كل ما أضافه الرب إلى نفسه فله المزيّة والاختصاص على غيره ما أوجب له الاصطفاء والاجتباء.

ص٤٩ ـ تحريم المدينة كان على لسان رسول الله ﷺ سنة تسع بعد غزوة خيبر.

ص٥٠ ـ حرم المدينة ما بين لابتيها وهو الحَرَّتان. ويحدها شمالًا: أُحد، ويقال ثور، وهو جبل صغير خلف أحد. ومن الجنوب: جبل عير.

ص٦٨ ـ والإصلاح للإسلام مبنيٌّ على تقديم إصلاح الأنفس؛ باستقلال العقل والإرادة وتهذيب الأخلاق وحرية الوجدان، على إصلاح ما في الأرض من معدن ونبات وحيوان.

ص٧٨ ـ كان اللواء الأبيض للنبي ﷺ مكتوبًا عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ص٨٠ ـ لا يجوز إقرار أرض في جزيرة العرب في ملك كافر، فإن وُجد وَجب على ولي الأمر بيعه لمسلم، كما لو اشترى الكافر مملوكًا، فإنه لا يجوز بقاؤه تحت يده، قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾.

ص٨٣ ـ قال ابن تيمية: «متى اغتذَتِ القلوب بالبدع: لم يبقَ فيها فضلٌ للسُّنن، فتكون بمنزلة من اغتذى بالطعام الخبيث».

ص٩٠ ـ ذكر ابن تيمية أن الفقهاء من أصحاب أحمد وغيره، منهم أبو يعلى وابن عقيل والشيخ عبد القادر الجيلي: أن من اللباس المكروه ما خالف زيّ العرب وأشبه زي الأعاجم وعاداتهم. وفي كتاب عمر: «وعليكم بالمَعَدِّيَّة، وذروا التنعُّم وزي العَجَم»، المعدية: زي بني مَعَدِّ بن عدنان وهم من العرب.



المدونة الرابعة
أشعار منتقاة

من الأمور التي كانت محل عناية من (ريان رحمه الله) حفظُ الأشعار ذات المعاني، وفي سبيل ذلك جَمَع شيئًا كثيرًا من الشعر في كراسٍ؛ إلا أنه فَقَدَهُ، وكان يتأسف على ذلك!

ومع هذا؛ ففي هذا الكراس الذي جَمَعَ فيه ـ مرةً أخرى ـ أبياتًا مِن الشعر الرائق الشيءُ الكثير المفيد والممتع.

وأُنبه إلى أن ما زاده المعتني بهذه المدونة مُصَحِّحًا ما لا بد من تصحيحه: فإنه يُوضع بين معقوفين.

كما سبق التنبيهُ إلى أن ترتيب الأبيات وتبويبَها من عَمِل المعتني، وكذلك التعليق على الأبيات في الهامش.



الإيمان والاعتقاد

معرفة الله جَلَّ جَلَالُهُ

قال لَبِيدُ بن ربيعة:

أَلَا كـلُّ شـيءٍ مـا خـلا اللهَ بـاطـلُ … وكـلُّ نـعـيـمٍ لا مـحـالـةَ زائـلُ
وكـلُّ امـرئٍ يَـوْمًـا سَـيَـعْـلَـمُ سَـعْـيَـهُ … [إذا كُشِّفَتْ عندَ الإلَهِ الـمَحاصِلُ]



مـا لـلـعـبـادِ عـلـيـه حـقٌّ واجـبٌ … كـلَّا ولا سـعـيٌ لـديـهِ ضـائـعُ
إن عُـذِّبُـوا فـبِـعَـدلِـه أو نُـعِّـمُـوا … فـبِـفَـضـلِـهِ وهـو الـكـريـمُ الـواسـعُ



قال ابن القيم:

فَـوَاللهِ لـولا اللهُ يُـسْـعِـدُ عَـبْـدَه … بـتـوفـيـقِـهِ واللهُ بـالـعـبـدِ أرحـمُ
لـمـا ثـبـتَ الإيـمـانُ يـومًـا بـقـلـبِـهِ … عـلـى هـذه الـعِـلّاتِ والأمـرُ أعـظَـمُ
ولا طاوَعَتْهُ النفسُ في تركِ شَهْوةٍ … مـخـافـةَ نـارٍ جـمْـرُهـا يَـتَـضَـرَّمُ
ولا خـافَ يـومًـا مـن مـقـامِ إلـهِـهِ … عليه بحُكمِ القِسْطِ إذ ليس يُظلَمُ



قال أبو العتاهية:

فـوا عـجـبًـا كـيـف يُـعـصَـى الإلــ … ـهُ أم كـيـف يـجـحـدُهُ الـجـاحِـدُ

وللهِ في كلِّ تحريكةٍ [وتسكينةٍ] أبدًا شاهدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدُلُّ على أنَّهُ واحدُ



[قال أبو نُوَاسٍ في وصف النَّرجِس]:

تأمَّلْ في نباتِ الأرضِ وانظُرْ إلى آثارِ ما صَنَعَ المَلِيكُ
عيونٌ من لُجَينٍ شاخصاتٌ [بأحداقٍ] هي الذهبُ السميكُ
على [قُضُبِ] الزَّبَرْجَدِ[1] شاهداتٌ بأنَّ اللهَ ليس له شريكُ



تأمَّلْ سُطُورَ الكائناتِ فإنها من المَلِكِ الأعلى إليكَ رسائلُ
[وقد] خُطَّ فيها لو تأمَّلْتَ خطَّها: (ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ)



النبوة

[قال ورقةُ بن نَوفَلٍ يستبطئُ مبعثَ النبيِّ ﷺ بعدئِذْ أخبرَتْه خديجةُ رضي الله عنها خبرَهُ مع غلامِها ميسرةَ ومع الراهب]:

لَجِجْتُ وكُنْتُ في الذكرى [لَجُوجا][2] لهمٍّ طالما بعَثَ النَّشِيجا[3]

---

(١) اللُّجين الفضة، والزَّبرجَد جوهر أخضر معروف، شبَّهَ الزهرة بالعين وشبَّه بياضَها بالفضة، وشبَّهَ وسطَها بالحدقة وشبه صُفرَتَهُ بالذهب، وشبه السِّيقانَ بالزبرجد.
(٢) اللَّجوج: المتمادي في الأمر الذي لا ينثني عنه.
(٣) نَشَجَ الباكي إذا غَصَّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

ووصْفٍ مِن خديجةَ بعدَ وصفٍ فقد طالَ انتظاري يا خديجا
ببطنِ المكَّتَينِ[1] على رجائي حديثَكِ أن أرى منه خُروجا
بما خَبَّرتِنا من قول قَسٍّ من الرُّهْبان أَكرَهُ أن يعُوجا[2]
بأنَّ محمدًا سيسودُ فينا ويَخصِمُ من يكونُ له حَجيجا
ويَظْهَرُ في البلادِ ضياءُ نورٍ يُقيم به البريةَ أن تمُوجا
فيَلقى مَن يحاربُهُ خسارًا ويَلقى مَن يُسالِمُه فُلُوجا[3]
فيا لَيْتِي إذا ما كانَ ذاكُمْ شهِدْتُ فكُنْتُ [أوَّلَهُمْ] وُلُوجا



تحكيم الشريعة

قال ابن القيم:

وَاللهِ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فإنَّهَا لَعَلَى طَرِيقِ العَفْوِ والغُفْرَانِ
لَكِنَّمَا أخْشَى انْسِلَاخَ القَلْبِ [مِنْ] تَحْكِيمِ هَذَا الوَحْيِ والقُرْآنِ
وَرِضًا بآرَاءِ الرِّجَالِ وَخَرصِهَا لَا كَانَ ذَاكَ[4] بِمِنَّةِ [الرَّحْمنِ]



[وقال: (فسبحان الله كم من حَزازةٍ في قلوب كثيرٍ من الناس من كثيرٍ من النصوص وبِوُدِّهم أن لو لم تَرِدْ؟ وكم من حَرَارةٍ في أكبادِهم منها؟ وكم من شَجًى في حُلوقِهم من مَورِدِها؟]

(١) يريدُ جانبَيْ مكة.
(٢) أي: يميل، والمعنى أنه يكره أن لا يصدُقَ قولُ الراهب.
(٣) فوزًا وظفرًا.
(٤) دعاء.

ستَبدُو لهُم تلك [السرائرُ] بالذي ... يسوءُ ويُخزِي يومَ تُبلَى السرائرُ)



الولاء والبراء

قال ابنُ سَحْمان:

ومِلَّةُ إبراهيمَ غُودِرَ نَهْجُها ... عَفَاءً(١) فأضْحَتْ طامِسَاتِ المَعالِمِ
وقد عُدِمَت فينا وكيف [وقد] سَفَتْ ... عليها السَّوافِي(٢) في جَمِيعِ الأَقَالِمِ
وما الدِّينُ إلا الحُبُّ والبُغْضُ والوَلَا ... كَذَاكَ البَرا مِن كلِّ غاوٍ وآثِمِ
وليس لها مِن سالكٍ مُتَمَسِّكٍ ... بدينِ النبيِّ الأبطَحِيِّ ابنِ هاشِمِ
فلسْنا نَرَى ما حَلَّ بالدِّينِ وانمَحَتْ ... بِهِ الملةُ السَّمحاءُ إحدى القَوَاصِمِ(٣)
فَنَأْسَى(٤) على التَّقصِيرِ مِنَّا ونَلْتَجِي ... إلى اللهِ في مَحْوِ الذُّنوبِ العَظَائِمِ
فنشكوا(٥) إلى اللهِ القلوبَ التي قَسَتْ ... ورَانَ عليها كَسْبُ تلك المَآثِمِ
أَلَسْنَا إذا ما جاءَنا مُتَضَمِّخٌ ... بأوضارِ أهْلِ الشِّركِ مِن كلِّ ظَالِمِ
نَهَشُّ إليهِمْ بالتحيةِ والثَّنا ... ونُهْرَعُ في إكرامِهِم بالوَلَائِمِ؟!
وقد برِئَ المَعصومُ مِن كلِّ مسلِمٍ ... يُقيمُ بدارِ الكُفرِ غيرَ مُصارِمِ(٦)

(١) دارسةً ممحُوَّةَ الأثر.
(٢) السوافي: الرياح تَسفِي التراب، والمراد انمحاءُ الأثر.
(٣) (ما حلَّ) مفعولُ (نرى) الأول، و(إحدى) مفعولُه الثاني، أي: لسنا نرى الحالَّ بالدين قاصمةً من القواصم، بل هو في أنفسنا يسير.
(٤) معطوفٌ على: (نرى) فهو في حيِّز النفي، أي: لسنا على هذه الحال من الأسى والالتجاء.
(٥) جملةٌ معطوفةٌ على جملةِ: (لسنا نرى)، فهو كلام مُستَأنَفٌ مُثبَت.
(٦) المصارمة: الهجر والقطيعة.

ولكِنَّما العقلُ المَعِيشِيُّ عندنا   مُسَالَمَةُ العاصِينَ من كلِّ آثِمِ



ذم البدع

[أنشد الخطَّابي في ذم الكلام]:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كالزُّجاجِ تَخَالُها   حقًّا، وكلٌّ كاسرٌ مكسورُ



وقال الشَّوكاني [في ذلك]:

[وغايةُ ما حَصَّلتُهُ مِن مَبَاحِثِي   ومِن نَظَرِي مِن بعدِ طولِ التَّدبُّرِ
هو الوقفُ ما بينَ الطريقَينِ حيرةً   فما عِلمُ مَن لم يَلْقَ غيرَ التَّحَيُّرِ؟!]
على أنني [قد] خُضتُ منه غِمَارَهُ   وما قَنِعَتْ نَفسِي بدونِ التبحُّرِ



لولا التنافُسُ في الدُّنيا لما وُضِعَتْ   كُتُبُ التناظُرِ لا المُغنِي ولا العُمَدُ(١)
يحلِّلونَ بزعمٍ منهُمُ عُقَدًا   وبالذي وَضَعُوهُ زادتِ العُقَدُ



(١) المغني والعمد كتابان للقاضي عبد الجبَّار المعتزلي، الأول في أصول الدين والثاني في أصول الفقه.

العِلم

فضل العلم والحض عليه والتحذير من الإعراض عنه

قال سابقٌ البَلَويُّ في قصيدةٍ له:

الْعِلْمُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا ... تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ
وَالْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ ... كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ
وَلَيْسَ ذُو الْعِلْمِ بِالتَّقْوَى كَجَاهِلِهَا ... وَلَا الْبَصِيرُ كَأَعْمَى مَا لَهُ بَصَرُ



الفخرُ بالعلمِ لا [بالجاهِ والمالِ] ... والمجدُ بالجِدِّ لا بالجَدِّ [والخالِ]
كَمْ مِن مليءٍ وضيءِ الوجهِ تحسَبُهُ ... للعلمِ خِلًّا ولكنْ فِكرُهُ خالي
[في المالِ والجاهِ] أسبابُ الغُرورِ ومَن ... [يعتزُّ] بالأهلِ [كالمُغترِّ] بالآلِ(١)
تِلكَ الأمورُ سَحاباتٌ تُغَيِّرُها ... حَوادِثُ الدَّهرِ مِن حالٍ إلَى حالِ
ولَكِنِ العِلمُ لا يَنفَكُّ صاحِبُه ... [مُعظَّمَ القَدْرِ] في حِلٍّ وتَرْحالِ
إن عاشَ عاشَ [أجلَّ النَّاسِ مَنْزِلةً] ... أو ماتَ ماتَ [بإعظامٍ] وإجلالِ



الْعِلْمُ يَنْهَضُ بِالْخَسِيسِ إِلَى الْعُلَا ... وَالْجَهْلُ يَقْعُدُ بِالْفَتَى الْمَنْسُوبِ



---

(١) الآل: السراب.

قال ابنُ الأعرابي:

لَنَا جُلَسَاءٌ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ   أَلِبَّاءُ مَأْمُونُونُ غَيْبًا وَمَشْهَدَا
يُفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى   وَعَقْلًا وَتَأْدِيبًا وَرَأْيًا مُسَدَّدَا
بِلَا فِتْنَةٍ تُخْشَى وَلَا سُوءِ عِشْرَةٍ   وَلَا [نَتَّقِي] مِنْهُمْ لِسَانًا وَلَا يَدَا
فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ [فَمَا] أَنْتَ كَاذِبٌ   وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفَنَّدَا(١)



قال محمدُ بن يَسِير:

ما ماتَ [مِنَّا امرُؤٌ] أَبقى لنا أدبًا   [نكونُ] منه إذا [ما] ماتَ [نَكتَسِبُ]



واعلم بأنَّ العلمَ أرفعُ رتبةٍ   وأجلُّ مُكتسَبٍ وأَسنى مَفخَرِ
فاسلُكْ سبيلَ المُقتَنِينَ لَهُ تَسُدْ   إنَّ السيادةَ تُقتَنَى بالدَّفترِ
والعالِمُ المَدعُوُّ حَبْرًا إنَّما   سَمَّاهُ باسمِ الحَبرِ حَملُ المَحبَرِ
وبِضُمَّرِ الأقلامِ(٢) يَبْلُغُ أهلُها   ما ليس يُبلَغُ بالجِيادِ الضُّمَّرِ(٣)



مما يُنسَب إلى عبد الرحمن بن حسن [بن محمد بن عبد الوهاب]:

شَمِّرْ إلى طلبِ العُلومِ ذُيُولا   وانهَضْ لذلك بُكرةً وأَصِيلا
وَصِلِ السُّؤالَ [وكُنْ] هُدِيتَ مُبَاحِثًا   فالعَيبُ عِندِي أَن تكونَ جَهولا



(١) مُخَطَّأً.
(٢) الأقلام النَّحيلة الدقيقة.
(٣) هي القليلةُ اللحمِ المُشْتَدَّتُه.

أنشد بعض العرب:

وليس العَمَى طُولَ السُّؤالِ وإنَّما ... تمامُ العَمَى طُولُ السُّكوتِ على الجَهْلِ



إذا رَأَيْتَ شَبابَ الحَيِّ قَدْ نَشَأُوا ... لا يَنْقُلُونَ قِلالَ الحِبْرِ وَالوَرَقَا
وَلا تَراهُمْ لَدى الأَشْياخِ فِي حِلَقٍ ... يَعُونَ مِنْ صالِحِ الأَخْبارِ [ما اتَّسَقا]
فَدَعْهُمُ عَنْكَ وَاعْلَمْ أَنَّهُمْ هَمَجٌ ... قَدْ بُدِّلُوا بِعُلُوِّ الْهِمَّةِ الحُمُقا



تطهير وعاء العلم

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي
وَقَالَ: اعْلَمْ بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ... وَنُورُ اللهِ لَا يُؤْتَاهُ عَاصِي



قال ابن القيم في النونية:

وَالعِلْمُ يَدْخُلُ قَلْبَ كُلِّ مُوَفَّقٍ ... مِنْ غَيْرِ بَوَّابٍ وَلَا اسْتِئْذَانِ
[وَيرُدُّهُ] المَحْرُومُ مِنْ خِذْلَانِهِ ... لَا تُشْقِنَا اللَّهُمَّ بالحِرْمَانِ



يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدَنِّسُهُ(١) ... بِالْمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلَفِ



(١) بالنفي على معنى النهي.

سياسة العلم

قال ابن النَّحَّاس:

اليومَ شيءٌ وغدًا مِثْلُه ... مِن نُخَبِ العلمِ التي تُلْتَقَطْ
[يُحصِّلُ المرْءُ بها] حِكمةً ... وإنما السيلُ اجتماعُ النُّقَطْ



قال الهلاليُّ في منظومته:

وقدِّم الأهمَّ [إنَّ العلمَ جَمّ ... والعمرُ] طَيْفٌ زارَ أو ضَيْفٌ أَلَمّ(١)



قال الزَّبِيدِيُّ في ألفية السند:

فإن أنواعَ العُلُومِ تَخْتَلِطْ ... [وبعضُها] بشرطِ بعضٍ مُرْتَبِطْ



إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا ... فَجَمْعُكَ لِلْكُتْبِ لَا يَنْفَعُ
أَأَحْضُرُ بِالْجَهْلِ فِي مَجْلِسٍ ... وَعِلْمِيَ فِي الْكُتْبِ مُسْتَوْدَعُ؟!



قال ابنُ عاصِمٍ في مُرتَقَى الوصول:

وَوَاجبٌ في مُشكِلاتِ الفَهمِ ... تَحسِينُنَا الظَّنَّ بأهلِ العِلمِ



---

(١) يُقرَأُ بالتشديد مع السكون في الشطرين.

تفاضل العلوم

قال أبو بكر ابنُ دُرَيد:

يَا طَالِبِي عِلْمِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... مَا أَنْتُمُ وَسِوَاكُمُ بِسَوَاءِ



قال إسحاقُ بن خَلَفٍ البَهْرَاني:

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَنِ[1] ... وَالمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ

وقال ابن عبد البَرِّ مُعارِضًا:

الْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ بَيْتٍ هَيِّنِ ... وَالْفِقْهُ يَجْمُلُ بِاللَّبِيبِ الدَّيِّنِ
وَالْحُرُّ يُكْرَمُ بِالْوَقَارِ وَبِالنُّهَى ... وَالْمَرْءُ تَحْقِرُهُ إِذَا لَمْ يَرْزُنِ
فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا عِنْدَ التَّقِيِّ الْمُؤْمِنِ
عِلْمُ الدِّيَانَةِ وَهْوَ أَرْفَعُهَا لَدَى ... كُلِّ امْرِئٍ مُتَيَقِّظٍ مُتَدَيِّنِ
هَذَا الصَّحِيحُ وَلَا مَقَالَةُ جَاهِلٍ: ... (فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ)
لَوْ كَانَ مُهْتَدِيًا لَقَالَ مُبَادِرًا: ... (فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَدْيُنِ)



العمل بالعلم

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ

(١) الذي في لسانه عُجْمةٌ أو عِيٌّ.

وَأَرَاكَ تُلْقِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا ... نُصْحًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ



قال أبو العتاهية:

يَا وَاعِظَ النَّاسِ قَدْ أَصْبَحْتَ مُتَّهَمًا ... إِذْ عِبْتَ مِنْهُمْ أُمُورًا أَنْتَ تَأْتِيهَا

كَالْمُلْبِسِ الثَّوْبَ مِنْ عُرْيٍ وَعَوْرَتُهُ ... لِلنَّاسِ بَادِيَةٌ مَا إِنْ[1] يُوَارِيْهَا

وَأَعْظَمُ الْإِثْمِ بَعْدَ الشِّرْكِ نَعْلَمُهُ ... فِي كُلِّ نَفْسٍ عَمَاهَا عَنْ مَسَاوِيهَا



[فَيَا سَامِعًا لَيْسَ السماعُ بِنَافِعٍ ... إذا أَنْتَ لم تَعْمَل بِمَا أَنْتَ سامعُ]

إِذَا كنتَ في الدُّنْيَا عَنِ الخيرِ عاجِزًا ... فما أنتَ في يومِ القيامةِ صانعُ؟!



صيانة العلم

قال الجُرجانيُّ عليُّ بن عبد العزيز:

يقولون لي فيكَ انقِباضٌ وإنما ... رأَوْا رجلًا عن موقفِ الذُّلِّ أحْجَما

أرى الناسَ مَنْ دَانَاهُمُ هانَ عندَهُمْ ... ومَن أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النفسِ أُكْرِما

وما كُلُّ برقٍ لاحَ لي يَسْتَفِزُّني ... ولا كلُّ مَنْ لاقَيْتُ أَرضَاهُ مُنْعِما

وإنِّي إذا ما فاتَني الأمْرُ لم أَبِتْ ... أُقَلِّبُ كَفِّي إِثْرَهُ مُتَنَدِّما

ولم أَقْضِ حقَّ العِلْمِ إن كانَ كُلَّما ... بدا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّمَا

إذا قيلَ هذا مَنْهَلٌ قلتُ: قد أرى[2] ... ولكِنَّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

---

(١) (إن) زائدةٌ للتوكيد.

(٢) (قد) هنا للتحقيق.

ولم أَبتذِلْ في خِدمةِ العِلمِ مُهْجَتي لِأَخْدُمَ مَنْ لاقَيْتُ لكنْ لأُخْدَما
أَأَشقى بِهِ غَرْسًا وأَجْنِيهِ ذِلَّةً؟! إذًا فاتِّباعُ الجَهْلِ قد كان أحزَمَا!
ولو أنَّ أهلَ العلمِ صانُوهُ صَانَهُمْ ولو عَظَّمُوهُ في النُّفُوسِ لَعُظِّما
ولكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ ودَنَّسُوا مُحَيَّاهُ بالأَطماعِ حَتَّى تَجهَّما(١)



أرسل ابن المبارك إلى إسماعيلَ بن علية [لـمَّا وَلِيَ على الصَّدَقاتِ لهارونَ الرشيد]:

يَا جَاعِلَ الْعِلْمِ لَهُ بَازِيًا يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
احْتَلْتَ لِلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينِ
فَصِرْتَ مَجْنُونًا [بِهَا] بَعْدَمَا كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِينِ
أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِيمَا مَضَى عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيرِينِ؟
وَدَرْسُكَ الْعِلْمَ بِآثَارِهِ [فِي تَرْكِ] أَبْوَابِ السَّلَاطِينِ؟
تَقُولُ: أُكْرِهْتُ فَمَا حِيلَتِي؟ زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطِّينِ!
لَا تَبِعِ الدِّينَ بِدُنْيَا كَمَا يَفْعَلُ ضُلَّالُ الرَّهَابِينِ



(١) صار كَرِيهَ الوَجه.

التقوى

مغبة الذنوب والتحذير منها

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا
وَهَلْ بَدَّلَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا؟!
وَبَاعُوا النُّفُوسَ فَلَمْ يَرْبَحُوا ... وَلَمْ يَغْلُ فِي الْبَيْعِ أَثْمَانُهَا
لَقَدْ رَتَعَ الْقَوْمُ فِي جِيفَةٍ ... يَبِينُ لِذِي الْعَقْلِ إِنْتَانُهَا



إذا كنتَ في نعمةٍ فَارْعَها ... فإنَّ المعاصي تُزيل النِّعَمْ
وحُطْها بطاعةِ ربِّ العبادِ ... فربُّ العبادِ سريعُ النِّقَمْ
وإيّاك والظلمَ مهما استطعتَ ... فظلمُ العبادِ شديدُ الوَخَمْ
وسافِرْ بقلبِك بينَ الوَرى ... لِتُبصِرَ آثارَ مَن قد ظَلَمْ
فتلك مساكنُهُم بعدَهُم ... شهودٌ عليهِم ولا تُتَّهَمْ
وما كان شيءٌ عليهِمْ أضَرَّ ... من الظُّلم، وهْو الذي قد قَصَمْ
فكم تَرَكُوا مِنْ جِنانٍ ومِنْ ... قُصورٍ وأُخرى عليهم أَطَمّ[1]

---

(١) يُقرَأُ بالتشديد مع السكون.

صَلُوا بالجحيمِ[(١)] وفاتَ النعيمُ ... وكان الذي نالَهم كالحُلُمْ



تَصِلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ وتَرْتَجِي ... دَرَكَ الجِنانِ لدى النعيمِ الخالدِ!
ولقد عَلِمْنَا أُخْرِجَ [الأَبَوانِ] مِن ... مَلَكُوتِها الأعلى بذنبٍ واحدِ!



قال صالح بن عبد القدوس:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدُّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
ولا تحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُلُ سَاعَةً ... وَلا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ[(٢)] يَغِيبُ



جسمُك بالحِمْيةِ حصَّنْتَه ... مخافةً مِن أَلَمٍ طارِي
وكان أَولَى [بكَ] أن تَحتَمِي ... مِنَ المعاصي خشيةَ النار



[قال ابن القيم: (متى أَسَرَتِ الشهوةُ والهَوَى القلبَ تمكَّن منه عدوُّه، وسامَه سوءَ العذَاب، وصارَ]:

كعُصفورةٍ في كفِّ طفلٍ يسومُها ... حِياضَ الرَّدى والطفلُ يلهُو ويلعبُ)



(١) قاسَوا حرَّها.
(٢) (عليه) متعلقةٌ بـ (يغيب) لا بـ (يخفى)، أي: ولا أن ما يخفى من الأعمال يغيب عليه سبحانه.

النظر الحرام

كلُّ الحوادث مَبْدَاها من النظرِ ... ومُعظَمُ النارِ مِن مُستصغَرِ الشَّرَرِ
كم نظرةٍ بَلَغَتْ مِن قلبِ صاحِبِها ... كمبلغِ السَّهْمِ بينَ القوسِ والوَتَرِ
والعبدُ ما دام ذا طَرْفٍ يُقلِّبُهُ ... في أعيُنِ العِينِ[1] مَوقُوفٌ على الخَطَرِ
يسُرُّ مُقْلَتَهُ ما ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لا مرحبًا بسرورٍ عادَ بالضَّرَرِ



إن العُيونَ التي في طَرفِها حَوَرٌ[2] ... قتلْنَنَا ثُم لم [يُحْيِينَ] قَتلانا
يصرعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حِراكَ [بِهِ] ... وهُنَّ أضعفُ خَلقِ اللهِ إنسانا



ومَنْ كانتِ الأجفانُ حُجَّابَ قلبِهِ ... أَذِنَّ على أحشائِه بالفَوَاقِرِ[3]



قال المتنبِّي:

وأنا الذي اجْتَلَبَ المَنِيَّةَ طَرْفُهُ ... فمَنِ المُطالَبُ والقَتِيلُ القاتِلُ؟!



تمَتَّعْتُما يا مُقْلَتيَّ بنظرةٍ ... وَأَوْرَدْتُما قلبي أَمَرَّ المَوَارِدِ
[فَعَيْنَيَّ] كُفَّا عن فُؤاديْ فإنَّهُ ... من الظُّلمِ سعيُ اثنينِ في قَتْلِ واحِدِ!



(١) الواسعاتُ العيونِ في جمال.
(٢) هو أن يشتدَّ بياضُ بياضِ العينِ وسوادُ سوادِها.
(٣) المصائب العظائم.

يقولُ طَرْفي لِقَلْبِي: هِجْتَ لي سَقَمًا والعينُ تزعمُ أنَّ القلبَ أَنْكَاهَا
والجِسْمُ يَشْهَدُ أنَّ العَينَ كاذِبةٌ وَهْيَ الَّتي هَيَّجَتْ للقَلْبِ بَلْوَاهَا



وكنتَ متى أرسلتَ طرفَكَ رائدًا لقلبِكَ يومًا أتعبَتْكَ المَناظِرُ
رأيتَ الذي لا كُلُّهُ أنتَ قادرٌ عليه ولا عن بعضِهِ أنتَ صابرُ



يا راميًا بِسِهام اللَّحْظِ مُجتهِدًا أنت القتيلُ بما تَرمِي فلا تُصِبِ
وباعثَ الطرْفِ يرتادُ الشفاءَ لهُ احبِسْ رَسُولَكَ لا يأتِيكَ بالعَطَبِ



يَا نَاظِرًا مَا أَقْلَعَتْ لَحَظَاتُهُ حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلا[(١)]



ما زلتَ تُتبِعُ نظرةً في نظرةٍ في إِثرِ كلِّ مليحةٍ ومليحِ
وتظنُّ ذاك دواءَ جُرحِكَ وَهْو في التـْ ـتَحقيقِ تجريحٌ على تجريحِ
فذبحتَ طرفَكَ باللِّحاظِ[(٢)] وبالبُكا فالقلبُ منك ذبيحٌ ايُّ ذبيحِ!



---

(١) فلانٌ يتشحَّطُ في دمه: يَتَخَبَّطُ فِيهِ ويَضْطَرِبُ ويتمرَّغ.
(٢) الملاحظة.

الغناء

قال ابن القيم لمَّا عدَّدَ أسماء الغناء:

أسـمـاؤُهُ دَلَّـتْ عـلـى أوصـافِـهِ   تـبًّـا لِـذِي الأسـمـاءِ والأوصـافِ



وقال فيه أيضًا:

فَـسَـلْ ذا خِـبْـرةٍ يُـنْـبِـيـكَ عـنـهُ   لـتـعـلـمَ كـم خـبـايَـا فـي الـزَّوايـا
وحـاذِرْ إن شُـعِـفْـتَ بـه سـهـامًـا   مُـرَيَّـشَـةً بـأهـدابِ الـمَـنـايـا[1]
إذا مـا خـالَـطَـتْ قـلـبًـا كَـئِـيـبًـا   تـمـزَّقَ بـيـنَ أطـبـاقِ الـرَّزَايـا
ويُـصـبِـحُ بـعـد أنْ قـد كـان حُـرًّا   عـفـيـفَ الـفـرجِ عـبـدًا لـلـصَّـبـايـا[2]



فضل التقوى والحضُّ عليها

إِذَا كُـنْـتَ قَـدْ أَوْحَـشَـتْـكَ الـذُّنُـوبُ   فَـدَعْـهَـا إِذَا شِـئْـتَ وَاسْـتَـأْنِـسِ!



[يـا نـفـسُ ويـحَـكِ قـد أتـاكِ هُـداكِ   هــذا نــداءُ الــحــقِّ قــد نــاداكِ]
كَـم قد دُعِيتِ إِلَى الرَّشادِ فتُعْرِضِي   [وأَجَبْتِ] داعِيْ الغَـيِّ حينَ دَعَـاكِ



ويْـحَـكِ يـا نـفـسُ أَلَا تـيـقُّـظٌ   يـنـفـعُ قـبـلَ أَنْ تَـزِلَّ قَـدَمِـي

(١) الأهدابُ أشفار العينين، وتَرييشُ السَّهم إلزاقُ الرِّيشِ به.
(٢) جمعُ (صَبِيَّة).

مضى الزمانُ في تَوَانٍ وَهَوىً　　فاستَدرِكي ما قد بَقِيْ واغتَنِمِي



تَرْكُ الأُمُوْرِ الَّتِي أَخْشَى عَوَاقِبَهَا　　فِي اللهِ أَحْسَنُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّيْنِ



فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ المَوْتِ مُجْتَهِدًا　　فَإِنَّمَا الرِّبْحُ وَالخُسْرَانُ فِي العَمَلِ



خلِّ الذنوبَ صغيرَها　　وكبيرَها ذاك التُّقى
واصنع كَمَاشٍ فوق أَرْ　　ضِ الشوكِ يَحذَرُ ما يَرى
لا تحقِرَنَّ صغيرةً　　إن الجبالَ منَ الحَصَى



[قال ابن القيم: (من طلَب الله بصدقٍ وجده، ومن وجده أغناه وجودُه عن كلِّ شيءٍ].

فَأَصْبحَ حُرًّا في غِنىً ومَهَابَةٍ　　على وجهِهِ أنوارُهُ وضياؤُهُ
وإن فاتَهُ مولاه ﷻ　　تباعَدَ ما يَرجُو وطالَ عناؤُهُ)



[قال ابن القيم: (الطاعة تُنوِّر القلب، وتجلُوهُ وتصقُلُه، وتُقوِّيه وتُثبِّتُه، حتّى يصيرَ كالمرآةِ المَجلُوَّةِ في جلائها وصفائها ويمتلئَ نورًا، فإذا دنا الشيطان منه أصابه من نُورِه ما يصيب مُسْتَرِقِي السَّمْعِ من الشُّهُب الثواقب... فيخِرُّ صريعًا، فيجتمع عليه الشياطين، فيقول بعضهم لبعض: ما شأنه؟ فيُقال: أصابه إنسيٌّ، وبه نظرةٌ من الإنس]!

فيا نظرةً من قلبِ حُرٍّ مُنَوَّرٍ يكادُ لها الشَّيطانُ بالنُّور يُحرَقُ)



قال الحُطَيئة:

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ولكن التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذُخرًا وعندَ اللهِ للأتقى مزيدُ



قال عَبدَةُ بن [الطَّبِيب]:

أُوصِيكُمُ بِتُقَى الإلهِ فَإِنَّهُ يُعْطِي الرَّغائِبَ مَنْ يَشَاءُ ويَمْنَعُ



قال أبو العتاهية:

إِذَا المرءُ لم يَلبَسْ ثِيابًا مِنَ التُّقَى تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا



وقال:

وإذا تناسبَتِ الرجالُ فما أَرى نَسَبًا يُقَاسُ بصالحِ الأعمالِ
وإذا بحثْتَ عن التَّقيِّ وجدتَهُ رجلًا يُصدِّقُ قولَهُ بِفِعَالِ



لَعَمْرُكَ ما الإنسانُ إلَّا بِدينِهِ فَلا تَتْرُكِ التَّقوى اتِّكالًا على النَّسَبْ
لَقَدْ رَفَعَ الإسلامُ سَلمَانَ فَارِسٍ وَقَدْ وَضَعَ الشِّركُ الشَّقِيَّ أبا لَهَبْ



التزهيد في الدنيا

فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقَضِي ... ويذهبُ هذا كلُّهُ ويزولُ



أحلامُ ليلٍ أو كَظِلٍّ زائل ... إن اللبيبَ بِمِثلِها لا يُخدَعُ



فاقْرَ السَّلامَ على الحياةِ فإنَّها ... قد آذَنَتْكَ بسُرعةِ التوديعِ



طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تُرِيدُها ... صَفْوًا مِنَ الأقذارِ والأكدارِ
ومُكَلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طِبَاعِها ... مُتَطَلِّبٌ في الماءِ جَذوَةَ نارِ



ولا تَغْتَرَّ بِالدُّنْيا ... فَإنَّ صَحِيحَها يَسْقَمْ
وَإِنَّ جَدِيدَها يَبْلى ... وإنَّ شَبابَها يَهْرَمْ
ومَنْ هذا الَّذي يَبْقى ... على الْحَدَثانِ[1] أو يَسْلَمْ؟!
وَما لِلْمَرْءِ إِلَّا ما ... نَوى في الْخَيرِ أو قَدَّمْ



وما هي إلَّا جِيفَةٌ مُستحِيلةٌ[2] ... عليها كلابٌ همُّهُنَّ اجتذابُها

---

(١) على حوادث الدهر.
(٢) مُتغيِّرةٌ مُنْتِنة.

فإن تجتَنِبْها كنتَ سِلْمًا لأهلِها   وإن تجتَذِبْها نازعتْكَ كِلابُها



[قال ابن القيم: (السَّيرُ في طلب الدنيا سيرٌ في أرضٍ مَسبَعَةٍ[1]، والسباحةُ فيها سباحةٌ في غدير التمساح، المفروحُ به منها هو عينُ المحزونِ عليه، آلامُها متولِّدةٌ من لَذَّاتِها، وأحزانُها من أفراحِها].

مآربُ كانَت في الشبابِ لأهلِها   عِذَابًا[2] فصارَتْ في المَشيبِ عَذَابَا)



وكأسٍ شَرِبْتُ على لذةٍ   وأُخرَى تداويتُ منها بها



فَكَانَتْ دَوَائِي وَهْيَ دَائِي بِعَيْنِهِ   كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ



قال أبو الطَّيِّب:

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنَيا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ   عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَها كِذْبَا



قال ابن رجب:

أَفِي دارِ الخَرَابِ [تَظَلُّ] تَبنِي   وتعمُرُ؟! ما لِعُمرانٍ خُلقْتَا!

وما تَرَكَتْ لكَ الأيامُ عُذْرًا   لَقَدْ وَعَظَتْكَ لكنْ مَا اتَّعَظْتَا

تُنادِي للرَّحيلِ بِكُلِّ حِينٍ   وتُعلِنُ: إنَّمَا المَقصُودُ أَنْتَا

(١) ذاتُ سِباع.
(٢) جمعُ (عَذْبٍ).

وتُسمِعُكَ النداءَ وأنتَ لاهٍ ... عنِ الدَّاعِي كأنَّكَ ما سَمِعْتا
وتعلمُ أنَّه سَفَرٌ بَعِيدٌ ... وعنْ إعدادِ [زَادٍ] قَد غَفَلْتا
يَضيعُ العمرُ في لَعِبٍ ولَهْوٍ ... ولو أُعطِيتَ عَقلًا مَا لَعِبتَا
فَمَا بعدَ المَمَاتِ سِوَى جحيمٍ ... لِعَاصٍ أو نعيمٍ إن أَطَعْتا
ولا تُمْهِلْ فإنَّ الوقتَ سيفٌ ... فإنْ لم تَغْتَنِمْهُ فقد أَضَعْتَا
تَرَى الأيامَ تُبلِي كُلَّ غُصْنٍ ... وتَطْوِي مِن سُرُورِكَ ما نَشَرْتَا
هي الدُّنيا [إذا] سَرَّتْكَ يومًا ... تسوؤُكَ ضِعفَ ما فيها سُرِرْتا
وتَشْهَدُ كَم أبادَت مِن حبيبٍ ... كأنك آمِنٌ ممَّا شَهِدتا
وتَدْفِنُهم وترجعُ ذا سُرورٍ ... بِمَا قد نِلتَ مِن إرثٍ وحُزْتَا
وتَنسَاهُم وأنتَ غدًا ستَفنَى ... كأنك ما خُلِقْتَ ولا وُجِدتَا
تُحدِّثُ عنهُمُ وتقولُ كانوا ... نعمُ كانوا كما واللهِ كُنْتَا



التذكير بالموت

قال أبو بكر رضي الله عنه:

كلُّ امرئٍ مُصبَّحٌ في أهلِهِ ... والموتُ أدنى من شِراكِ نعلِهِ



قال أبو العتاهية:

عِشْ ما بَدا لكَ سَالِمًا ... في ظِلِّ شاهِقَةِ القُصُورْ
يُسعَى عليكَ بما اشتَهَيْتَ ... لَدَى الرَّوَاحِ وفي البُكُورْ

فـإذا الـنـفـوسُ تـقـعْـقـعـتْ[1] في ضِيقِ حَشْرَجَةِ الصُّدورْ[2]
[فـهُـنـاكَ] تـعـلَـمُ مُـوقِـنًـا مَـا كُـنـتَ إلَّا فـي غُـرُورْ



الناسُ في غفلةٍ والموتُ يُوقِظُهُمْ وما يُفِيقُونَ حتَّى يَنفَدَ العُمُرُ
يُشيِّعُون أهالِيْهِمْ بِجَمْعِهِمُ ويَنظُرُون إلى ما فيه قد قُبِروا
ويَرجِعون إلى أحلامِ غَفْلَتِهِمْ كأنَّهم مَا رَأَوْا شيئًا ولا نَظَروا



أَيَقْظَانُ أَنْتَ الْيَوْمَ أَمْ أَنْتَ نَائِمُ؟ وَكَيْفَ يُطِيقُ النَّوْمَ حَيْرَانُ هَائِمُ؟!
فَلَوْ كُنْتَ يَقْظَانَ الْغَدَاةَ لَحَرَّقَتْ مَدَامِعَ عَيْنَيْكَ الدُّمُوعُ السَّوَاجِمُ[3]
بَلَ اصْبَحْتَ فِي النَّوْمِ الطَّوِيلِ وَقَدْ دَنَتْ إِلَيْكَ أُمُورٌ مُفْظِعَاتٌ عَظَائِمُ
نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمُ
يَغُرُّكَ مَا يَفْنَى وَتُشْغَلُ بِالْمُنَى كَمَا غُرَّ بِاللَّذَّاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمُ
وَتُشْغَلُ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ[4] كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ!



قال الشافعيُّ معزِّيًا عبدَ الرحمنِ [بن مهدي] بموت ولده:

إنِّي أُعَزِّيك لا أَنِّي على طَمَعٍ مِنَ الخلُودِ ولكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ

---

(١) اضطربَتْ.
(٢) هي غرغرتُها عند الموت.
(٣) سَجَمَ الدمعُ: انصبَّ وسال.
(٤) عاقِبَته.

فما المعزَّى بِباقٍ بَعْدَ صاحِبِهِ   ولا المُعَزِّي وَلَوْ عاشَا إلى حينِ



قال طَرَفَة:

فكيف يُرَجِّي المرءُ دهرًا مُخَلَّدًا   وأعمالُهُ عمَّا قليلٍ تُحاسِبُه؟!



يُؤَمِّلُ دُنْيَا لِتَبقَى لهُ   فَوَافَى المَنِيَّةَ قبلَ الأَمَلْ
حَثِيثًا يُرَوِّي أُصُولَ الْفَسِيلِ(١)   فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلْ!



إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالأَيَّامِ نقطعُها   وكلُّ يومٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الأَجَلِ!



تَمُرُّ بِنَا الأيامُ تَتْرَى وإنما   نُسَاقُ إلى الآجالِ والعينُ تَنْظُرُ
فلا عَائِدٌ ذاك الشبابُ الذي مَضَى   ولا زَائلٌ هذا المَشِيبُ المُكَدَّرُ



وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاحِلٌ   يَحُثُّ بِهَا دَاعٍ إِلَى الْمَوْتِ قَاصِدُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ لَوْ تَأَمَّلْتَ أَنَّهَا   مَنَازِلُ تُطْوَى وَالْمُسَافِرُ قَاعِدُ



أَيَا وَيْحَ نفسي مِن نهارٍ يقودُها   إلى عسكرِ الموتى ولَيلٍ يذودُها(٢)



---

(١) النخل الصغير.
(٢) أي: يسوقها، والقَوْدُ من أمامٍ والسَّوْقُ من خَلْفٍ.

نَسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ ... وأيّامُنا تُطوى وهُنَّ مَراحِلُ
ولم أرَ مِثلَ الموتِ حقًّا كأنَّهُ ... إذا ما تخطَّتْهُ الأمانيُّ باطِلُ
وما أقبحَ التَّفريطَ في زَمَنِ الصِّبا ... فكيف به والشَّيبُ للرَّأسِ شامِلُ؟!
ترحَّلْ من الدُّنيا بزادٍ من التُّقى ... فعُمْرُكَ أيامٌ وهُنَّ قلائِلُ



التذكير بالآخرة والحض على الهجرة بالقلب إليها

يَا مَنْ تَمَتَّعَ بِالدُّنْيَا وزِينَتِها ... وَلَا تَنَامُ عَنِ اللَّذَّاتِ عَيْنَاهُ
أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِيمَا لَسْتَ تُدْرِكُهُ ... تَقُولُ للهِ مَاذَا حِينَ تَلْقَاهُ؟!



وكيفَ تنامُ العينُ وهْيَ قَريرَةٌ ... ولم تَدْرِ في أيِّ المَحَلَّيْنِ تَنزِلُ؟!



[قال ابن القيم]:

[وَصُمْ] يَوْمَكَ الْأَدْنَى لَعَلَّكَ فِي غَدٍ ... تفوزُ بعيدِ الْفِطرِ وَالنَّاسُ صُوَّمُ
وأَقدِمْ وَلَا تَقنَعْ بِعَيشٍ مُنَغَّصٍ ... فَمَا فَازَ باللذاتِ مَن لَيْسَ يُقْدِمُ
[وإنْ ضاقتِ الدُّنيا عليكَ بِأَسْرِها ... ولم يَكُ فيها مَنْزِلٌ لكَ يُعْلَمُ]
فحَيَّ على جنَّاتِ عَدْنٍ فإنَّها ... منازِلُك الأُولى وفيها المُخَيَّمُ
ولكنَّنا سَبْيُ العدوِّ[1] فهل تُرى ... نَعُودُ إلى أوطانِنَا ونُسَلَّمُ؟
[وحيَّ على السُّوقِ الَّذي فيه يلتقي الـ ... مُحِبُّونَ ذاك السُّوقُ للقَومِ مَعْلَمُ

(١) سبيُ إبليس إذ أخرجَنا من الجنة إلى الأرض.

فـمـا شـئـتَ خُـذْ مـنـهُ بـلا ثَـمَـنٍ لـهُ   فقد أسلَفَ التُّجارُ فيه وأَسلَمُوا[١]
وحيَّ عـلـى يـومِ الـمـزيـدِ الَّـذي بـه   زيـارةُ ربِّ الـعـرشِ فـالـيـومُ مَـوسِـمُ
وحـيَّ عـلـى وادٍ هـنـالـكَ أَفْـيَـحٍ[٢]   وتُـرْبَـتُـهُ مِـنْ أَذْفَـرِ الـمِـسْـكِ أَعْـظَـمُ][٣]
فـيـا بَـائِـعًـا هَـذَا [بِـبَـخْـسٍ] مُـعَـجَّـلٍ   كَـأَنَّـكَ لَا تَـدْرِي بـلَـى سَـوفَ تَـعـلَـمُ
فَـإِنْ كُـنـتَ لَا تَـدْرِي فَـتِـلـكَ مُـصِـيـبَـةٌ   وَإِنْ كنتَ تَدْرِي فالـمُـصِيبةُ أَعظَمُ!



[وقال]:

فـيـا عـجَـبًـا مـا عـذرُ مَـن هُـو مـؤمـنٌ   بـهـذا ولا يـسـعـى لـه ويُـقَـدِّمُ؟!
فـبـادِرْ إِذًا مـا دام فـي الـعُـمـرِ فُـسـحـةٌ   وعـدلُـكَ مـقـبـولٌ وصـرفُـكَ قَـيِّـمُ
فـمـا فَـرِحَـتْ بـالـوصـلِ نـفـسٌ مَـهِـيـنـةٌ   ولا فـازَ قـلـبٌ بـالـبَـطـالـةِ يَـنْـعَـمُ
فـجِـدَّ وسـارِعْ واغـتـنِـمْ سـاعـةَ الـسُّـرَى   فـفـي زمـنِ الإِمـكـانِ يُـسـعَـى ويُـغـنَـمُ
وسِـرْ مُـسـرِعًـا فـالـسـيـلُ خـلـفَـكَ مُـسـرِعٌ   وهـيـهـاتَ مـا مِـنـهُ مَـفَـرٌّ ومَـهـزَمُ[٤]
فَـهُـنَّ الـمـنـايـا أيُّ وادٍ نَـزَلْـتَـهُ   عـلـيـهـا الـقُـدومُ أو عـلـيـك سَـتَـقـدَمُ



أُثَـامِـنُ بِـالـنَّـفْـسِ الـنَّـفِـيـسَـةِ رَبَّـهَـا   وَلَـيْـسَ لَـهَـا فِـي الْـخَـلْـقِ كُـلِّـهِـمُ ثَـمَـنْ
بِـهَـا تَـمْـلِـكُ الأُخْـرَى فَـإِنْ أَنَـا بِـعْـتُـهَـا   بِـشَـيْءٍ مِـنَ الـدُّنْـيَـا فَـذَلِـكُـمُ الْـغَـبَـنْ

---

(١) أَسلَفَ وأَسلَمَ بمعنىً واحد.
(٢) واسع، أو يفوحُ بالطِّيب.
(٣) أي: تربتُهُ أعظم من المسك الأذفر، وهو الشديدُ الذَّكاء.
(٤) أي: ما منه مفرٌّ ولا عليه هزيمة.

لَئِنْ ذَهَبَتْ نَفْسِي بِدُنْيَا أَصَبْتُهَا ... لَقَدْ ذَهَبَتْ نَفْسِي وَقَدْ ذَهَبَ الثَّمَنْ



قال ابن القيم:

وخُذْ لنفسِك نورًا تَستَضِيءُ به ... يومَ اقتسامِ الوَرَى الأنوارَ بالرُّتَبِ



سيَعْلَمُ يومَ العرضِ أيَّ بضاعةٍ ... أضاعَ وعند الوزنِ ما كان حَصَّلَا



[قال ابن القيم: (متى أراد العبد أن يعلم هل هو مع الرفيق الأعلى أو الأسفل، فلينظر أين رُوحُه في هذا العالم، فإنها إذا فارقَتِ البَدَنَ تكونُ في الرفيق الذي كانت مُنجَذِبةً إليه في الدنيا، فهو أولى بها، فالمرء مع من أحب طبعًا وعقلًا وجزاءً، وكلُّ مهتمٍّ بشيء فهو مُنجَذِبٌ إليه وإلى أهله بالطبع].

وكلُّ امرئٍ يَهْفو إلى [مَنْ] يحِبُّه[(١)] ... وكلُّ امرئٍ يَصْبُو[(٢)] إلى ما يناسِبه)



محبة الله جل جلاله

[قالت رابعة العدوية]:

فَلَيتَكَ تَحلُو والحياةُ مريرةٌ ... ولَيتَكَ تَرضى والأنامُ غِضَابُ

وليتَ الذي بيني وبينك عامِرٌ ... وبيني وبين العالَمِينَ خَرَابُ

---

(١) يذهب فؤادُهُ في أَثَره.

(٢) يميل.

إذا صحَّ منك الوُدُّ فَالكُلُّ هَيِّنٌ   وكلُّ الذي فوقَ التُّرابِ تُرابُ



[وقالت أيضًا]:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدِّثِي   وَأَبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي

فَالْجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ [مُؤَانِسٌ]   وَحَبِيبُ قَلْبِي في الْفُؤَادِ أَنِيسِي



سَاكِنٌ فِي الْقَلْبِ يَعْمُرُهُ   لَسْتُ أَنْسَاهُ فَأَذْكُرَهُ!

غَابَ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي   فَسُوَيْدَا الْقَلْبِ تُبْصِرُهُ



على بُعْدِكَ لا يَصْبِـ   ـرُ مَن عادتُهُ القُرْبُ

ولا يَقوَى على هَجْرِ   كَ مَن تَيَّمَهُ الحُبُّ[1]

فإنْ لَمْ تَرَكَ العَيْنُ   فقد أبصَرَكَ القَلْبُ



إذا تقطَّعَ حبلُ الوَصْلِ بينهُمُ   فلِلمُحِبِّينَ حبلٌ غيرُ مُنقَطِعِ

وإن تَصَدَّع شمْلُ الوصْل [يومَئذٍ][2]   فلِلمُحِبِّينَ شَمْلٌ غيرُ مُنْصَدِعِ



مِن كلِّ شيءٍ إذا ضيعتَه عِوضُ   وما مِن اللهِ إن ضيعتَه عِوضُ



---

(١) استعبَدَه.

(٢) أي: يومَ القيامة.

نَـزِّهْ فـؤادَكَ مِـن سِـوانـا والْـقَـنَـا　　فَـجَـنـابُـنـا حِـلٌّ لـكُـلِّ مُـنَـزَّهِ



(اللهُ) يـا أعـذبَ الألـفـاظِ فـي لُـغَـتـي　　ويـا أجـلَّ حـروفٍ فـي مـعـانِـيـهـا
(اللهُ) يـا أمـتعَ الأسـماءِ كـم سعِدَتْ　　نفسي [وفاضَ] سروري حين أَروِيها



الصلاة والبكاء

يَمْشُونَ نَحْوَ بُيُوتِ اللهِ إذ سَمِعُوا:　　(اللهُ أَكْبَرُ) في شَوْقٍ وفي جَذَلِ[(١)]
أَرْوَاحُـهُـم خَـشَـعَـتْ للهِ فـي أَدَبٍ　　قُـلُـوبُـهُـم مِـن جَـلَالِ اللهِ فـي وَجَـلِ
نَـجْـوَاهُـمُ: رَبَّـنَـا جِـئْـنَـاكَ طَـائِـعَـةً　　نُـفُـوسُـنَـا وعَـصَـيْـنَـا خـادِعَ الأَمَـلِ
إذا سَـجَـى الـلَّـيْـلُ قَـامُـوُهُ وأعْـيُـنُـهُـمْ　　مِن خَشْيَةِ اللهِ مِثْلُ الجَائِدِ الهَطِلِ[(٢)]
هُـمُ الـرِجَـالُ فـلا يُـلْـهِـيـهِـمُ لَـعِـبٌ　　عَـن الـصـلاةِ ولا أُكْـذُوبَـةُ الـكَـسَـلِ



قال ذو النُّون:

مَـنَـعَ الـقُـرَانُ بِـوَعـدِهِ ووعـيـدِهِ　　مُـقَـلَ الـعـيـونِ بـلَـيـلِـهـا لا تَـهْـجَـعُ



قال ابن القيم:

واجْعَلْ [لوجْهِكَ] مُقْلَتَينِ كِلاهُما　　مِـنْ خَـشْـيَـةِ الـرحـمـنِ بَـاكـيـتـانِ

(١) الجذل: الفرح.
(٢) الغيث المتدفق المتتابع.

لَوْ شاء رَبُّكَ كُنتَ أيْضًا مِثلَهمْ(١) فالقلبُ بينَ أَصابعِ الرَحمنِ



[اِبكِي](٢) لذنبِكَ طولَ اللَّيل مجتهدًا إن البكاءَ مُعوَّلُ الأحزانِ
لا تنسَ ذنبَكَ في النَّهارِ وطُولِهِ إن الذنوبَ تُحِيطُ بالإنسانِ



الدعاء والرجاء

أَسَأْتُ وَلَمْ أُحْسِنْ وَجِئْتُكَ تَائِبًا وَأَنَّى لِعَبْدٍ عَنْ [مَوَالِيهِ] مَهْرَبُ؟!
يُؤَمِّلُ غُفْرَانًا فَإِنْ خَابَ ظَنُّهُ فَمَا أَحَدٌ مِنْهُ عَلَى الْأَرْضِ أَخْيَبُ(٣)



كَمْ قَدْ زَلَلْتُ فَلَمْ أَذْكُرْكَ فِي زَلَلِي وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي فَي الْغَيْبِ تَذْكُرُنِي
كم أَكشِفُ السِّترَ جَهْلًا عندَ معصِيَتِي وأنتَ تلطُفُ بِي حقًّا وتَستُرُني
لَأَبْكِيَنَّ بِدَمْعِ الْعَيْنِ مِنْ أَسَفٍ لَأَبْكِيَنَّ بُكَاءَ [الْوَالِهِ](٤) الْحَزِنِ



ومِمَّا زادني شَرَفًا وتيهًا(٥) وكِدتُ بأخمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا

(١) يعني الذين تنكبوا عن الاعتصام بالكتاب والسنة وتحكيمهما.
(٢) الياء للإشباع لضرورة الوزن، والخطاب للمذكر كما هو ظاهر.
(٣) (منه) متعلقةٌ بـ(أخيب)، أي: فما أحدٌ أشدُّ خيبةً منه.
(٤) هو الذاهبُ العقلِ من شدةِ وَجده.
(٥) فخراً وعزةً.

دُخُولي تحت قولِكَ: (يا عبادِي) وأنْ صيَّرتَ أحمدَ لي نبيَّا



وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ الرَّجا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
وَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ تَجُودُ وتَعفُو مِنَّةً وتَكَرُّمَا



يا ربِّ أعضاءُ السجودِ [عَتَقْتَها] من فضلِكَ الوَافِي وأنتَ [الوَاقِي]
والعِتْقُ يَسرِي [بالغِنَى](١) يا ذا الغِنَى فامنُنْ على الفَانِي بِعتقِ البَاقِي(٢)



لو لم تُرِدْ نَيلَ ما أرجُو وأَطلُبُهُ من جُودِ كَفِّكَ ما عَوَّدتَنِي الطَّلَبا



أَسِيرُ خَلْفَ رِكَابِ النُّجْبِ(٣) ذَا عَرَجِ مُؤَمِّلًا جَبْرَ مَا لاقَيْتُ مِنْ عِوَجِ
فَإِنْ لَحِقْتُ بِهِمْ مِنْ بَعدِ مَا سَبَقُوا فَكَمْ لِرَبِّ السَّمَا فِي النَّاسِ مِنْ فَرَجِ
وَإِنْ ظَلِلْتُ بقَفْرِ الأرضِ مُنْقَطِعًا فَمَا عَلَى [أَعْرَجٍ] فِي ذَاكَ مِنْ حَرَجِ



(١) يشيرُ إلى أنه إذا أعتقَ السَّيِّدُ بعضَ عبدٍ فإنَّه يَسرِي العتقُ إلى جميعِ العبدِ إذا كان السَّيِّدُ مُوسِرًا.
(٢) أي: جُدْ على عبدك الفاني بعتق باقي جسده.
(٣) الإبل العِتاق التي يُسابَقُ عليها.

ومنْ كان في [سُخْطهِ] مُحسِنًا فكيف يكونُ إذا [ما] رَضِي؟!



الجهاد

قال عبد الله بنُ رَوَاحة رضي الله عنه:

لكنَّني أسألُ الرحمنَ مغفرةً وضربةً ذات فرْغٍ[١] تَقذِفُ الزَّبَدا[٢]
أو طعنةً بيدَيْ حَرَّانَ[٣] مُجْهِزَةً بِحَرْبَةٍ تَنْفُذُ الأحشاءَ والكَبِدَا
حتى يُقالَ إذا مَرُّوا على جَدَثِي: أَرْشَدَهُ اللهُ مِن غَازٍ وقد رَشَدَا



وقال:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قد دنا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إذْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا



وقال [وقد قُتِل الأميران قبله على الجيش في مؤتةَ: زيدُ بنُ حارثة وجعفرُ بن أبي طالب رضي الله عنهما، وكانت الإمرةُ له بعدَهما]:

يا نفسُ إلَّا تُقتَلي تَمُوتي هذا حِمَامُ الموتِ[٤] قد صَلِيتِ[٥]

(١) الفَرغُ السَّعة، أي: ضربةً واسعةً عظيمة.
(٢) رغوة الدم.
(٣) شديد العطش.
(٤) قضاؤه وقدرُه.
(٥) أي: قد صَلِيتِهِ، والصِّلِيُّ: مقاساةُ حرِّ النار.

وما تـمـنَّـيْـتِ فـقـد أُعـطِـيـتِ إنْ تَـفـعَـلِـي فِـعْـلَـهُـمـا هُـدِيـتِ



قال خبيبُ بن عديٍّ رضي الله عنه [وهو في الأَسرِ عند المشركينَ وقد أُخرِجَ ليُقتَل]:

لقد [جَمَّعَ] الأحزابُ حولي وألَّبُوا [قبائِلَهم] واستَجمَعُوا كلَّ مَجمَعِ
وقـد قـرَّبُـوا أبـنـاءَهُـم ونـسـاءَهُـم وقُـرِّبْـتُ مِـن جِـذعٍ طـويـلٍ مُـمَـنَّـعِ
إلى الله أشكو غُربتي بعد كُربتي وما أجمعَ الأحزابُ لي عند مضجَعي
وقد خيَّروني الكفرَ والموتُ دونَهُ [وقد] ذرفَتْ عيناايَ مِن غيرِ مَدمَعِ
[وما بِي حِذَارُ الْموتِ إنِّي لَمَيِّتٌ ولكنْ حِذَارِي جَحْمُ نَارٍ مُلَفِّعِ][1]
فذا العرشِ صبِّرْني على ما يُرادُ بي فقدبضَّعُوا لحمي[2] وقد[ياسَ][3] مَطمَعي
ولستُ أُبالي حين أُقتَلُ مسلمًا على أي شِقٍّ كان في الله مضجَعي
وذلـك فـي ذاتِ الإلـهِ وإنْ يَـشَـأْ يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[4]



قال أبو فِرَاس:

وقال أُصَيْحَابي: الفِرارُ أو الرَّدَّى فقُلتُ: هما [أمرانِ أحلاهُما مُرُّ]
ولـكـنَّـني أَمـضـي لِـمَـا لايَـعـيـبُـني وحسبُكَ مِن أمرَينِ خيرُهما الأَسرُ



(١) جَحْمُ النار: توقُّدُها، والمُلَفِّع: الشامل، يقال: لَفَّعَه الشَّيبُ أي: شَمِلَه، كأنه تلفَّع به.
(٢) قطَّعوه.
(٣) يئس.
(٤) جسد مقطَّع.

قال عمرُ أبو رِيشة:

رُبَّ (وا مُعتَصِمَاهُ) انطلَقَتْ ... مِلءَ أفواهِ الصَّبَايا[١] اليُتَّمِ
لامَسَتْ أسماعَهُم لكنَّها ... لم تُلامِسْ نخوةَ المُعتَصِمِ



المواسم

يا ذا الذي ما كفاهُ الذنبُ في رَجَبٍ ... حتى عصى ربَّه في شَهْرِ شعبانِ
لقد أظلَّك شهْرُ الصومِ بعدَهما ... فلا تُصَيِّرْه أيضًا شهرَ عِصيانِ
واتلُ القُرَانَ وسَبِّحْ فيهِ مُجتَهِدًا ... فإنه شهرُ تسبيحٍ وقرْآنِ
واحمِلْ على جَسَدٍ ترجو النجاةَ له[٢] ... فسوف تُضرَمُ [أجسادٌ] بنيرانِ
كم كنتَ تَعرِفُ ممن صامَ في سَلَفٍ ... من بين أهلٍ وجيرانٍ وإخوانِ؟!
أفناهُمُ الموتُ واستبقاك بعدهُمُ ... حيًّا فما أقربَ القاصِيْ من الدَّاني



قالُوا: غدَا العِيدُ ماذا أنت لابِسُهُ؟ ... فقلتُ: خِلْعَةَ ساقٍ حِبَّهُ جُرَعا[٣]
فقرٌ وصبرٌ هما ثوبانِ تحتَهُما ... قلبٌ يَرى إِلْفَهُ الأعيادَ والجُمَعا
الدهرُ لي مَأتمٌ إن غِبْتَ يا أَمَلِي ... والعيدُ ما دمْتَ لي مَرْأًى ومُستَمَعا



(١) جمعُ (صَبِيَّة).
(٢) حَمَلَ على نفسه في السير أي: جَهَدَها فيه.
(٣) الخِلْعةُ المِنحةُ من الثياب، والمقصودُ بالساقي ساقي الخمر، و(حِبَّهُ) مفعولُ (ساقٍ) الأولُ، و(جُرَعا) مفعولُهُ الثاني، والحِبُّ: المحبوب، والمقصود بالجُرَع جُرَعُ الخمر.

الانتكاس

قال ابن القيم: (المحروم كلُّ المحروم من عرف طريقًا إليه ثمَّ أعرضَ عنها، أو وجد بارقةً من حُبِّه ثمَّ سُلِبَها، لم ينفذ إلى ربِّه منها، خصوصًا إذا مالَ بتلك الإرادة إلى شيءٍ من اللذات، أو انصرفَ بجملته إلى تحصيل الأعراض والشهوات.

قد مضت عليه برهةٌ من أوقاته وكان همُّه اللهَ، وبغيتُه قربَه ورضاه، وإيثارَه على كلِّ ما سواه، على ذلك يصبح ويمسي، ويَظَلُّ ويُضحِي، وكان اللهُ في تلك الحال وليَّه، لأنَّه وليُّ من تولاه، وحبيبُ من أحبَّه ووالاه.. فأصبحَ في سجن الهوى ثاويًا، وفي أسر العدو مقيمًا، وفي بئر المعصية ساقطًا، وفي أودية الحيرة والتفرقة هائمًا، معرضًا عن المطالب العالية إلى الأغراض الخسيسة الفانية.

كان قلبه يجُولُ حول العرش، فأصبحَ محبوسًا في أسفلِ الحُشِّ][(١)].

فأصبحَ كالبَازِي المُنَتَّفِ رِيشُهُ   يرى حَسَراتٍ كُلَّما طارَ طائِرُ
وقد كان دهرًا في الرِّياضِ مُنعَّمًا   على كلِّ ما يَهوَى منَ الصَّيدِ قادِرُ
إلى أن أصابَتْهُ منَ الدَّهرِ نَكبةٌ   إذا هُوَ مَقصُوصُ الجَناحَينِ حَاسِرُ)



وقال:

واحذَرْ كَمَائِنَ نَفْسِكَ اللَّاتِي مَتَى   خَرَجَتْ عَليكَ كُسِرتَ كَسْرَ مُهَانِ



(١) هو مَحَلُّ قضاء الحاجة.

الأخلاق

عزةُ النفس وهوانُها

ولا أَقبَلُ الدُّنيا جَمِيعًا بِمِنَّةٍ ... ولا أشتري عِزَّ المَرَاتِبِ بالذُّلِّ



حَسْبي من الدَّهْرِ ما كفاني ... يَصونُ عِرْضي عن الهَوانِ
مخافةً أنْ يقولَ قومٌ ... فَضْلُ فلانٍ على فُلانِ



وتَجَلُّدِي للشَّامِتِينَ أُرِيهُمُ ... أَنِّي لِرَيبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ[1]
وإذا المَنِيَّةُ أَنْشبَتْ أظفارَها ... أَلْفَيْتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنفَعُ



قال عُمر الأمِيرِي:

ونفسُ الحُرِّ شامخةٌ ... تَعافُ البَغيَ والسَّطوةْ
وقد تشتدُّ عِزَّتُها ... فتَبغِي حقَّها عَنْوَةْ



---

(١) لا أذل وأخضع.

مـن يَـهُـنْ يَـسْـهُـلِ الـهـوانُ عـلـيـهِ   مــا لِــجُــرحٍ بــمــيِّــتٍ إيــلامُ



قال رجل لما قال له أبو تمَّام: أما تعرفني؟! فقال: ومن أعرف بك مني؟! ثم أنشد:

أنـتَ بـيـن اثـنَـتَـيْـنِ تـبْـرُزُ لـلـنَّـا   سِ وكِـلـتـاهُـمـا بـوجـهٍ مُـذَالِ(١)

لـسـتَ تـنـفـكُّ طـالـبًـا لـوصـالٍ   مِـن حـبـيـبٍ أو راجـيًـا لـنـوالِ

أيُّ مـاءٍ يَـبـقـى لِـوجـهِـك هـذا   بـيـن ذُلِّ الـهـوى وذُلِّ الـسـؤالِ؟!



علو الهمة

قال المتنبي:

لـولا الـمـشـقـةُ سـادَ الـنـاسُ كـلُّـهُـمُ   الـجـودُ يُـفـقِـرُ والإقـدامُ قـتَّـالُ



[تريدِينَ] لُقْيانَ المعالي رخيصةً!   [ولا بُدَّ دونَ] الشَّهْدِ مِن إِبَرِ النَّحلِ



كذا المَعالِي إذا ما رُمْتَ تُدْرِكُها   فاعبُرْ إليها على جِسرٍ منَ التَّعَبِ



وإذا كـانَـتِ الـنـفـوسُ كِـبـارًا   تَـعِـبَـتْ فـي مُـرادِهـا الأجـسـامُ



(١) مُهان.

لأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ[١] أَوْ أُدْرِكَ الـمُنَى[٢]   فَـمَـا انْـقَـادَتِ الآمَـالُ إِلَّا لِـصَـابِـرِ



سأُتعِبُ نفسي أو أُصادِفَ راحةً[٣]   فإن هـوانَ النَّفْسِ في كَرَمِ النَّفسِ



قال أبو الطَّيِّب:

ولَـمْ أَرَ فـي عـيـوبِ الـنـاسِ عـيـبًـا   كـنـقـصِ الـقـادِريـنَ عـلـى الـتَّـمـامِ



الجَدُّ[٤] [في الجِدِّ] والحِرمانُ [في الكَسَلِ]   فانصَبْ تُصِبْ عَنْ قَريبٍ غَايةَ الأَمَلِ



قال أبو يعلى المَوصِلي[٥]:

إنِّـي رأيـتُ وفـي الأيـامِ تـجـرِبـةٌ   لـلـصـبـرِ عـاقـبـةً مـحـمـودةَ الأثـرِ

---

(١) لأعُدَّنَّهُ سهلًا.
(٢) أي: حتى أُدركَها.
(٣) أي: حتى أصادفَ راحةً.
(٤) الغِنى.
(٥) في روضة العقلاء (١٦١) والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٨٠) أن أبا يعلى الموصلي أنشدهما، وليس في ذلك نسبتهما إليه.
وهما منسوبان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في الفرج بعد الشدة للتنوخي (٥/ ٦٠) والشعب للبيهقي (١٢/ ٣٩٦) وتاريخ دمشق (٤٢/ ٥٢٩) وغيرها.
ونسبهما ابنُ قتيبة في الشعر والشعراء (٢/ ٨٦٨) لمحمد بن يسير، والزمخشريُّ في ربيع الأبرار (٣/ ٩٧) وابنُ حمدون في التذكرة (٤/ ٣٢٢) لأبي حية النميري.

وقَـلَّ مَـن جَـدَّ فـي أمـرٍ تَـطَـلَّـبَـهُ   واستصْحَبَ الصَّبْرَ إلَّا فازَ بالظَّفَرِ

❋ ❋ ❋

قال البَارُودي:

وَمَـنْ تَـكُـنِ الـعَـلْـيَـاءُ هِـمَّـةَ نَـفْـسِـهِ   فَكُـلُّ الَّـذِي يَـلْـقَـاهُ فِـيـهَـا مُـحَـبَّـبُ

إِذَا أَنَـا لَـمْ أُعْـطِ الـمَـكَـارِمَ حَـقَّـهـا   فـلا عَـزَّنِـي خـالٌ[1] ولا ضَـمَّـنِـي أَبُ

خُلِقْتُ عَيُوفًا[2] لا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ   لَدَيَّ يَدًا أُغْضِي [لها] حِينَ يَغْضَبُ

❋ ❋ ❋

إذا غــامَــرْتَ فــي شــرفٍ مَــرُومِ   فـلا [تـقـنـعْ] بـمـا دونَ الـنُّـجـومِ

فـطَـعـمُ الـمـوتِ فـي أمـرٍ حـقـيـرٍ   كـطـعـمِ الـمـوتِ فـي أمـرٍ عـظـيـمِ

❋ ❋ ❋

لَـحَـا اللهُ صُـعْـلُـوكًـا[3] مُـنـاهُ وهَـمُّـه   من العَيشِ أن يلقى لَبُوسًا ومَطْعَمًا

❋ ❋ ❋

ولا تَـكُ ذَا بَـطْـنٍ رَغِـيـبٍ وشَـهْـوةٍ   فتُصبِحَ فِي الدُّنيا وقلبُك هائمُ

❋ ❋ ❋

قال الشريف الرَّضِيُّ:

ورَكْبٍ سَرَوا والليلُ مُلْقٍ رِواقَهُ[4]   عـلـى كُـلِّ مُـغْـبَـرِّ الـمَـطـالِـعِ قَـاتِـمِ

---

(١) عزَّ فلانٌ فلانًا: قوَّاه وأعانه.

(٢) أعافُ الدنايا.

(٣) أي: أهلكه، والصعلوك: الفقير.

(٤) ظلامَه.

حَدَوْا عَزَماتٍ ضاعَتِ الأرضُ بينَها ... فصارَ سُرَاهُم في ظُهورِ العَزائِمِ
تُرِيهِمْ نجومُ الليلِ ما يَبتَغُونَه ... على عاتِقِ الشِّعْرى وهامِ النَّعائِمِ[١]
إذا اطّرَدَتْ في مَعرَكِ الجِدِّ قَصَّفُوا ... رِماحَ العَطَايا في صُدورِ المَكارِمِ



فَخُضْ غمراتِ الموتِ واسْمُ إلى العُلا ... لكي تُدْرِكَ العِزَّ الرفيعَ الدعَائِمِ
فلا خيرَ في نَفْسٍ تخافُ من الرَّدَى ... ولا هِمَّةٍ تَصْبُو[٢] إلى لَوْمِ لَائِمِ



قال سعدُ بن ناشِبٍ في كتاب الحماسة:

إذا هَمَّ أَلقَى بينَ عَينَيهِ عَزْمَهُ ... ونكَّبَ[٣] عن ذكرِ العَواقِبِ جَانِبا
ولَمْ يستَشِرْ في أمرِهِ غيرَ نفسِهِ ... ولم يرضَ إلا قائِمَ السيفِ[٤] صاحِبا



تألَّقَ البرقُ نجدِيًّا فقلتُ له ... [يا أيُّها البرقُ] إنِّي عنكَ مشغولُ



[أَلَا] اغتَنِمْ سِنَّ الشبابِ يا فتى ... عند المَشِيبِ يَحمَدُ القومُ السُّرَى



(١) الهام: الرؤوس، والنعائم: ثمانيةُ كواكب من منازل القمر.
(٢) تميل.
(٣) عَدَل ومال.
(٤) مَقبِضُه.

قال الشوكاني في أدب الطلب:

سَدَدْتُ الأُذْنَ عن دَاعِي التَّصَابِي ... فـلا داعٍ لـديَّ ولا مُجيبُ
وأنفقْتُ الشَّبيبَةَ غيرَ وانٍ ... لِمَجْدِ الشيبِ فَلْيَهْنِ المَشيبُ(١)



[إذا أعجبَتْكَ خِصالُ امرِئٍ ... فكُنْهُ يكُنْ منكَ ما يُعجِبُكَ]!
فليس على الجُودِ والمَكرُماتِ ... إذا جئتَها حاجِبٌ يحجُبُكْ



الصمت وحفظ اللسان

قال اللؤلؤي:

وَالْأَدَبُ النَّافِعُ حُسْنُ السَّمْتِ ... وَفِي كَثِيرِ الْقَوْلِ بَعْضُ الْمَقْتِ



وقال:

وَلَوْ يَكُونُ الْقَوْلُ فِي الْقِيَاسِ ... مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءَ عِنْدَ النَّاسِ
إِذًا لَكَانَ الصَّمْتُ [عَيْنًا مِنْ ذَهَبْ] ... فَافْهَمْ هَدَاكَ اللهُ آدَابَ الطَّلَبْ



قَالُوا نَرَاكَ طَوِيلَ الصَّمْتِ [قُلْتُ] لَهُمْ ... مَا طُولُ صَمْتِيَ مِنْ عِيٍّ وَلَا خَرَسِ
لَكِنَّهُ أَحْمَدُ الْأَشْيَاءِ عَاقِبَةً ... عِنْدِي وَأَيْسَرُهُ مِنْ مَنْطِقٍ شَكِسِ(٢)

(١) أي: فَلْيَهْنِنِي ويَسْرُرْني المشيب.
(٢) سيِّء.

أَأَنْشُرُ الْبَزَّ(١) فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ؟! أَمْ أَنْثُرُ الدُّرَّ بَيْنَ الْعُمْيِ فِي الْغَلَسِ(٢)؟!



أَأَنْثُرُ دُرًّا بَيْنَ سَائِمَةِ النَّعَمْ؟! أَمَ انْظِمُهُ نَظْمًا لِمُهْمَلَةِ الْغَنَمْ؟!



كم فِي المَقابِرِ مِن قَتيلِ لسانِهِ كانَتْ تَهابُ لقاءَهُ الشُّجْعانُ



القناعة

إنَّ القناعةَ مَنْ يَحْلِلْ بِساحَتِها لم [يَلْقَ] في ظلِّها همًّا يُؤَرِّقُهُ



قال أبو الصَّلتِ أُميةُ بن عبد العزيز:

تَفَكَّرُ في نُقصانِ مالِكَ دائمًا وتَغْفُلُ عن نُقصانِ جِسْمِكَ والعُمْرِ
ويَثْنيكَ خوفُ الفقرِ عن كلِّ بُغيةٍ [وخوفُكَ] حالَ الفقرِ شرٌّ مِنَ الفقرِ



ولو قَنِعْتُ أتاني الرِّزقُ في دَعَةٍ إن القُنُوعَ الغِنَى لا كثرةُ المالِ



(١) ضربٌ من الثياب.
(٢) ظلمة آخر الليل.

الحياء والعفة

قال نِفْطَوَيْهِ:

وَخَبَّرَهَا الوَاشُونَ أنَّ خَيالَها   إذا نِمتُ يَغْشى مَضْجَعِي وَوِسادِي
فَخَفَّرَهَا[1] فَرْطُ الحياءِ فأَرسَلَتْ   تُعيِّرُنِي غَضْبَى بِطُولِ رُقَادِي



قال عنترة:

وأغضُّ طَرْفي إن بَدَتْ ليَ جارَتي   حتى يوارِيَ جارَتي مَثواهَا



قال بعضُ العُشَّاقِ أولو العِفَّة:

أخلُو به فأعِفُّ عنهُ [كأنَّني]   خوفَ الدِّيانةِ لستُ من عُشَّاقِهِ
كالماءِ في يدِ [صائمٍ] يلتذُّهُ   ظمَأً فيصبِرُ عن لذيذِ مذاقِهِ



تخيُّر المُعاشِر

قال الشاعر:

إذا ما صحِبتَ القومَ فاصحَبْ خيارَهم   ولا تصحبِ الأردى فترَدَى مع الرَّدِي



لَا تَصْحَبِ الْكَسْلَانَ فِي حَالَاتِهِ   كَمْ صَالِحٍ بِفَسَادِ آخَرَ يَفْسُدُ

---

(١) أي: أَخجَلَها.

عَدْوَى الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةٌ ... كَالْجَمْرِ يُوضَعُ فِي الرَّمادِ فَيَخْمُدُ



قال شيخنا العُصيمي:

كَـم طـالـبٍ تَـراهُ لـلـعـلـومِ ... مُـهَـيَّـأً لـجـودةِ الـفُـهـومِ
مُـضَـيِّـعًـا لـنـفـسِـهِ لـمَّـا صَـحِـبْ ... أُولِـي بـطـالـةٍ إلـيـهِـمُ انـسَـحَـبْ
فـلـم يُـفِـقْ مـن سَـكـرةِ الـمُـقـارَنَـةْ ... حـتـى رأى مُـقَـدَّمًـا مَـن قـارَنَـه
فـيـشـتُـمُ الـشُّـيـوخَ والأحـوالا ... وهْـو الـذي بـالاخـتـيـارِ مـالا
يـا ضَـيـعـةَ الأعـمـارِ فـي سَـفَـاهـةْ ... مِـن صُـحـبـةٍ تَـجـني عـلـى الـنَّـبـاهـةْ
فـلْـتَـحـفَـظُـوا نـصـيـحـةَ الـعُـصَـيـمِـي ... فـإنَّـهـا الـسَّـبـيـلُ نـحـوَ الـرَّيـمِ[(١)]
سـتُـشْـرِقُ الأيـامُ بـالـحـقـائـقِ ... ويَـحْـمَـدُ الـخَـذُولُ عَـزْمَ الـسَّـابِـقِ[(٢)]



أنشد بعضهم:

وليس خَلِيلِي بالمَلُولِ [ولا] الذي ... إذا غِبْتُ عنهُ باعَنِي بِخَليلِ
ولكن خَلِيلِي من يَدُومُ وِصالُه ... ويحفظُ سِرِّي عند كلِّ دَخيلِ



حُسْن العشرة

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتِبًا ... صديقَكَ لم تلقَ الذي لا تُعاتِبُهْ
فَعِش واحدًا أو صِلْ أخاكَ فإنهُ ... مُقارِفُ ذنبٍ مرةً ومُجانِبُهْ

(١) أي: الفضل.
(٢) الخذول: المتخلف عن الركب.

إذا أنت لم تشرب مِرارًا على القَذى ظَمِئتَ وأيُّ الناسِ تصفُو مشارِبُه؟!
ومن ذا الذي تُرْضى سجاياهُ كلُّها؟ كفى المرءَ نُبلًا أن تُعَدَّ معايِبُه



وإذا الحَبيبُ أَتَى بِذَنبٍ وَاحدٍ جَاءَتْ مَحاسِنُهُ بألفِ شَفِيعِ



قال أبو تمَّام:

ليس الغبيُّ بسيدٍ في قومِهِ لكنَّ سيدَ قومِهِ المُتَغابِي



فجامِلِ الناسَ [طُرًّا] ما استطعتَ وكُنْ وكن أصمَّ أبكمَ أعمى ذا تَقِيَّاتِ



وكنتُ إذا صحِبتُ رِجالَ قومٍ صحبتُهُمُ وشِيمتِيَ الوَفاءُ
فأُحْسِنُ حينَ يُحسِنُ مُحسِنُوهُم وأَجتنبُ الإساءَةَ إنْ أساؤُوا



قال يحيى بن أَكثَم:

[أَرَى جَفْوَةً أو قَسْوَةً مِن أَخِي نَدَىً إلى اللهِ منها المُشتَكَى والمُعَوَّلُ
فَأُقسِمُ لولا أنَّ حقَّكَ واجبٌ عليَّ وأنِّي بالوفاءِ مُوَكَّلُ
لكنتُ عَزُوفَ النفسِ عن كُلِّ مُدْبرٍ وبَعضُ عُزُوفِ النفسِ عن ذاك أَجمَلُ
ولكنَّني أَرعَى الحُقوقَ وأَستَحِي وأَحمِلُ مِن ذِي الوُدِّ مَا لَيسَ يَحمِلُ]
فإنَّ مُصَابَ المرءِ في أَهْلِ وُدِّه بَلاءٌ عظيمٌ عندَ مَن كان يَعقِلُ



إِنَّ السـلامَ وإنْ أهـداهُ مُـرسِـلُـهُ   وزادَهُ رَونَـقًـا مـنـهُ وتَـحـسِـيـنـا
لـم يبلُغِ العُشْرَ مِن قَولٍ تُبَلِّغُهُ   أُذْنَ الأحـبَّـةِ أفـواهُ الـمُـحِـبِّـيـنـا



قال ابن المُقَفَّع:

فَـلَا تَـلُـمِ الـمَـرءَ فـي شـأنِـهِ   فَـرُبَّ مَـلُـومٍ ولـم يُـذنِـبِ



قال هَرِمُ بن غَنَّام السَّلُولي:

إِذَا قُلْتَ في شَيْءٍ: (نَعَمْ) فَأَتِمَّهُ   فَإِنَّ (نَعَمْ) دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبُ
وَإِلَّا فَقُلْ: (لا) وَاسْتَرِحْ وَأَرِحْ بِها   لِكَيْلا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ



إِذَا اجْتَمَعَ الآفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا   وَشَرٌّ مِنَ الْبُخْلِ الـمَوَاعِدُ وَالـمَطْلُ
فَلا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا   وَلا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلُ



قال الحُمَيديُّ تلميذُ ابن حزم:

لـقـاءُ الـنَّـاسِ لـيس يُـفـيـدُ شـيـئًـا   سـوى [الـهَـذَيَـانِ] مـن قِـيـلٍ وقَـالِ
فَـأَقْـلِـلْ مـن لـقـاءِ الـنـاسِ إلا   لأخـذِ الـعِـلْـمِ أو إصـلاحِ حـالِ



الكرم والنجدة

قال الشافعي:

وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَا بَيْنَ الْوَرَى رَجُلٌ   تُقْضَى على يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ

لا تَمْنَعَنَّ يَدَ الْمَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ ... مَا دُمْتَ مُقْتَدِرًا فَالسَّعْدُ تَارَاتُ
وَاشْكُرْ فَضَائِلَ صُنْعِ اللهِ إِذْ جُعِلَتْ ... إِلَيْكَ لا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ
قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ مَكَارِمُهُمْ ... وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ



تعوَّدَ بَسطَ الكَفِّ حتى لوَ انَّهُ ... ثَنَاها لقَبضٍ لم تُطِقْهُ أَنَامِلُهْ
تـرَاهُ إذا ما جِئتَهُ مُتَهَلِّلًا ... كأنَّك تُعطِيهِ الذي أنتَ سَائِلُهْ
ولو لم يكن في كفِّه غيرُ رُوحِهِ ... لَجَادَ بها فلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ
هو البحرُ مِن أيِّ النَّواحِي أَتَيتَهُ ... فَلُجَّتُهُ المعروفُ والجُودُ سَاحِلُهْ



قال الشاعر:

لا يَسألون أخاهم حينَ يندُبُهُم ... في النائباتِ على ما قالَ بُرهانا



إهانة اللئام

إذا أنت أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ ... وإن أنت أكرمتَ اللئيمَ تمرَّدا
ووضعُ الندى في موضعِ السيفِ بالعُلا ... مُضِرٌّ[1] كوضعِ السيفِ في موضعِ النَّدى



قال ربيعةُ بنُ مَقرُوم:

وإِنْ تسألينـي فإنِّي امْرُؤٌ ... أُهِينُ اللَّئِيمَ وأَحْبُو الكَرِيمَا

(١) (بالعلا) متعلقٌ بـ (مُضِرٌّ)، أي: هو مُضِرٌّ بالعُلا.

وأَبْـنِـي الـمَـعَـالِـيَ بِـالـمَـكْـرُمـاتِ وأُرْضِـي الـخَـليـلَ وأُرْوِي النَّـدِيـمَـا[١]



إذا لـم يَـكُـنْ إلا الأَسِـنَّـةُ[٢] مَـرْكَـبًـا فـمـا حيلـةُ الـمُـضـطرِّ إلا ركـوبُـهـا؟!



(١) المُنادِمُ على الخمر.

(٢) الرماح.

المحبة

ما جاء في مدح الحب

وما الناسُ إلا العاشِقُون ذَوُو الهَوَى ... ولا خيرَ فيمَن لا يُحِبُّ ويَعشَقُ



وما ذاقَ طعمَ العَيشِ مَن لم يَكُن لَهُ ... حبيبٌ إليهِ يطمئنُّ ويسكُنُ



إذا أنتَ لم تَعشَقْ ولم تَدرِ ما الهوى ... فما لك في طِيبِ الحياةِ نَصيبُ



إذا أنتَ لم تَعشَقْ ولم تَدرِ ما الهوى ... فكن حجرًا من جَانِبِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا(١)



إذا أنتَ لم تَعشَقْ ولم تَدرِ ما الهوى ... فأنت وعِيرٌ في الفَلاةِ سواءُ



إذا أنتَ لم تَعشَقْ ولم تَدرِ ما الهوى ... فقُمْ واعتَلِفْ تِبْنًا فأنتَ حِمَارُ



تشَكَّى المحبُّون الصبابَةَ! ليتني ... تحمَّلتُ ما يلقَونَ مِن بينِهم وحدي

---

(١) هو الصخر.

فكانَتْ لقلبي لذةُ الحُبِّ كلُّها ... فلم يلقَها قبلي مُحِبٌّ ولا بعدي



ما جاء في ذمِّ الحب

فَمَا في الأرْضِ أَشقَى مِن مُحِبٍّ ... وَإِنْ وَجَدَ الهَوَى حُلْوَ المَذَاقِ

تَرَاهُ بَاكِيًا في كُلِّ حَالٍ ... مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لاشتِيَاقِ

فَيَبكِي إنْ نَأَوا شَوْقًا إلَيهِم ... وَيَبكِي إنْ دَنَوا حَذَرَ الفِرَاقِ

فَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ [التَّلاقِي] ... وَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ [الْفِرَاقِ]



طَلِيقٌ بِرَأْيِ الْعَيْنِ وَهْوَ أَسِيرُ ... عَلِيلٌ عَلَى قُطْبِ الْهَلَاكِ يَدُورُ

وَمَيْتٌ يُرَى فِي صُورَةِ الْحَيِّ غَادِيًا ... وَلَيْسَ لَهُ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ

أَخُو غَمَرَاتٍ ضَاعَ فِيهِنَّ قَلْبُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْمَمَاتِ حُضُورُ



الْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لَجَاجَةٌ(١) ... تَأْتِي بِهِ وَتَسُوقُهُ الأَقْدَارُ

حَتَّى إِذَا خَاضَ الْفَتَى لُجَجَ الْهَوَى ... جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ



تولَّعَ بالعِشْقِ حتى عَشِقْ ... فلمَّا استقلَّ به لم يُطِقْ

رأى لُجَّةً ظنَّها موجةً ... فلمَّا تمكَّنَ منها غَرِقْ



(١) عمايةً وغوايةً.

ملَّ السلامةَ فاغتَدَتْ لَحَظاتُهُ[(١)] وَقْفًا على طَلَلٍ[(٢)] يُظَنُّ جَمِيلا
ما زَالَ يُتْبِع إِثرَهُ لَحَظاتِهِ حتى تَشَحَّطَ بينهُنَّ قتيلا[(٣)]



هَوِيتُكَ إذْ عَينِي عليها غِشاوةٌ فلما انجلَتْ قطَّعْتُ نفسِي أَلُومُها



قال [أبو] محمد التميمي[(٤)]:

أَفِقْ يا فُؤادي من غرامِكَ واستمِعْ مقالةَ محزونٍ عليكَ شفيقِ
عَلِقْتَ فتاةً قَلْبُها مُتَعَلِّقٌ بغيرِكَ فاسْتوْثَقْتَ غيرَ وَثِيقِ
وأصْبَحْتَ مَوثُوقًا وراحَتْ طَلِيقةً فكم بين مَوثُوقٍ وبينَ طَلِيقِ!



وعِشْ خاليًا فالحبُّ أولُهُ عَنَا وأوسَطُهُ سُقْمٌ وآخرُهُ قَتْلُ



ما جاء في إعياء داء الحب

الحبُّ داءٌ [عَيَاءٌ][(٥)] لا دواءَ له يَحارُ فيه الأطبَّاءُ النَّحارِيرُ[(٦)]

(١) اللَّحظُ: النظر من جانب العين.
(٢) الطلل: الشاخص من آثار الدار.
(٣) فلانٌ يتشحَّطُ في دمه: يَتَخَبَّطُ فِيهِ ويَضْطَرِبُ ويتمرَّغ.
(٤) وهو رزق الله بن عبد الوهاب.
(٥) أعيا الأطباء.
(٦) النِّحْرِير: الحاذق الخِرِّيت.

قد كنتُ أحْسَبُ أنَّ العاشِقيْنَ غَلَوْا ... في وصفِه فإذا بِالقومِ تقصيرُ!



قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ ... الْعِشْقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْمَجَانِينِ!
الْعِشْقُ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ ... وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي [الْحِينِ]



يقولون لو عاتَبْتَ قلبَكَ لارْعَوى ... فقلْتُ وهل لِلعاشقِينَ قُلوبُ؟!



قال أبو الحَسَن ابنُ زُرَيقٍ البغدادي:

لا تعذُليهِ[1] فإنَّ العذلَ يُولِعُهُ[2] ... قد قلتِ حقًّا ولكنْ ليس يَسمَعُهُ
جاوزتِ في لومِهِ حدَّ المُضِرِّ بِهِ ... مِن حيثُ قدَّرْتِ أنَّ اللَّومَ يَنفعُهُ
فاستعمِلِي الرِّفْقَ في تأنيبِهِ بَدَلًا ... مِن[عُنفِهِ]فهْوَ[مُضْنَى]القَلْبِ[3] مُوجَعُهُ



غربة المحب

أُقلِّبُ طَرْفي لا أرى مَن أُحِبُّهُ ... وفي الحَيِّ مِمَّن لا أُحِبُّ كثيرُ



(١) تلُومِيه.
(٢) يُغريه.
(٣) الضَّنَى: المرضُ المُجهِد المُثقِل المُلازِم، المُشرِفُ بصاحبه على الهلكة.

ما في الخيامِ أخو وَجْدٍ[(١)] يُطارِحُهُ حديثَ ليلى ولا صَبٌّ[(٢)] [يُجارِيهِ]



قال [أبو الوفاء] ابن عَقِيل:

يقولونَ لي: ما بالُ جِسمِكَ ناحِلُ ودمعُكَ مِنْ آمَاقِ [عينَيْكَ] هاطلُ[(٣)]؟
وما بالُ لونِ الجِسْمِ بُدِّلَ صُفرةً وقد كان مُحْمَرًّا فلونُكَ حائلُ[(٤)]؟
فقلتُ: سَقامٌ حَلَّ في بَاطِنِ الحَشَا[(٥)] ولوعةُ قَلْبٍ بَلْبَلَتْهُ البَلابِلُ[(٦)]
فَلَا تَغْتَرِرْ يومًا بِبِشْرِي وظاهِرِي فلِي باطِنٌ قد قطَّعَتْه النَّوازِلُ



نسيمَ صَبَا نَجْدٍ متى جئتَ حامِلًا تحيَّتَهُم فاطوِ الحديثَ عنِ الرَّكْبِ
ولا تُذِعِ السِّرَّ المَصُونَ فإنَّني أغارُ على ذكرِ الأحبَّةِ مِن صَحْبِي



يا عاذِلَ المُشتاقِ[(٧)] دَعْهُ فإنَّهُ [يَطوِي على] الزَّفرَاتِ غيرَ حَشَاكا[(٨)]



(١) الوَجد: الحبُّ الشديد.
(٢) عاشقٌ مشتاقٌ.
(٣) مُؤْقُ العين: مجرى الدمع منها، وهو طرفُها الذي يلي الأنف.
(٤) أي: مُتغيِّر.
(٥) الحشا: ما اشتملت عليه الضلوع.
(٦) البلابل: شدةُ الهمِّ والوسواسِ في الصدور وحديثُ النفس، و(بَلبَلَتْهُ): أزعجَتْهُ وأقلقَتْهُ وحرَّكَتْهُ.
(٧) العَذلُ: اللَّوم.
(٨) (غيرَ) مفعولُ (يطوي)، أي: فلستَ تجد ما يجدُ في حَشَاه، والحشا: ما اشتملت عليه الضلوع.

لا يَعرِفُ الوَجْدَ[١] إلا مَن يُكابِدُهُ   ولا الصَّبابةَ[٢] إلا مَن يُعانِيها



دوام ذكر المحب لحبيبه

كَيْفَ يَنسى المُحِبُّ ذِكرَ [حَبيبٍ]   اسمُهُ في فُؤادِهِ مَكتوبُ؟!



قال بعض المحبين:

خيالُكَ في عيني وذكرُكَ في فمي   ومَثواكَ في قلبي فأين تَغيبُ؟!



قال آخر:

إنْ قُلْتُ: غِبْتَ فَقَلْبِي لَا يُصَدِّقُنِي   إذْ أَنْتَ فِيهِ مَكَانَ السِّرِّ لَمْ تَغِبِ
أَوْ قُلْتُ: مَا غِبْتَ قَالَ الطَّرْفُ: ذَا كَذِبٌ   فَقَدْ تَحَيَّرْتُ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ



ومن عجبٍ أنّي أَحِنُّ إليهِمُ   وأسألُ عنهم مَن لقيتُ وهُم مَعِي!
وتطلبُهُم عيني وهُم في سَوادِها   ويشتاقُهُم قلبِي وهُم بين أضلُعِي



جِسْمِي مَعِي غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمُ   فَالْجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالرُّوحُ فِي وَطَنِ

---

(١) الحبُّ الشديد.
(٢) حرارةُ الشوق.

فَلْيَعْجَبِ النَّاسُ [مِنِّي أَنَّ لِي بَدَنًا   لَا رُوحَ فِيـهِ وَلِـي رُوحٌ بِـلَا بَـدَنِ]!



أَأَقُولُ إِنَّ القَلْبَ مَشْغُولٌ بِكُم؟!   أَوَتَـجْـهَـلُـونَ بـأَنَّـهُ مَـشـغُـولُ؟!



شغف المحب بمحبوبه

قال كُثَيِّرُ عَزَّة:

لو أنَّ عَزَّةَ خاصَمَتْ شمسَ الضُّحى   في الحُسْنِ عند مُوَفَّقٍ لَقَضَى لها



قال النابغة الذِّبْياني:

أَلَمْحَةً مِن سَنَا برْقٍ رأى بصَرِي؟   [أم] وَجْهُ نُعْمٍ بدا لي؟ أم سَنا نارِ[(١)]؟



أَلَمْعُ بَرقٍ سَرَى؟ أمْ ضوءُ مصباحِ؟   أمِ ابتسامَتُها بالمَنظرِ الضَّاحِي؟



تَرَى الثِّيابَ مِنَ الكِتَّانِ يَلمَحُهَا   نُورٌ مِنَ البَدرِ أحيانًا فيُبلِيها

فكيف تُنكِرُ أن تَبلَى مَعاجِرُها[(٢)]   والبدرُ في كُلِّ وقتٍ طالعٌ فيها؟!



(١) السنا: الضوء.

(٢) المِعجَر: ثوبٌ تلفُّه المرأة على استدارةِ رَأسها ثمَّ تتجلبَبُ فَوْقه بجلبابها.

أَلَم تَرَ أَنّي كلَّما جِئْتُ طارِقًا   وجَدْتُ بها طِيبًا وإن لم تَطَيَّبِ؟!



احتمال المحب الشدائد

لها أحاديثُ من ذِكْرَاكَ تشْغَلُهَا   عن الشَّرابِ وتُلْهيها عن الزَّادِ
لها بوجهِكَ نورٌ تستضيءُ به   ومِن حَدِيثكَ في أعْقَابِهَا حادِي
إذا شَكَتْ من كَلالِ السَّيْرِ[(١)] أُوعِدُها   رَوْحَ اللقاءِ[(٢)] فتَقوَى عندَ ميعادِ



يا مَن شكا شَوقَهُ مِن طُولِ فُرْقَتِهِ   اصْبِرْ لعلَّكَ تَلقَى مَنْ تُحِبُّ غَدَا



نَفْسُ المُحِبِّ على الآلامِ صابِرَةٌ   لعلَّ مُسْقِمَها يومًا يُداوِيها



وما أَنتَ بالمُشتاقِ إن قلْتَ بيننا   طِوالُ اللَّيالي أو بَعيدُ المَفاوِزِ



قال جَميلُ بُثَينة:

بعيدٌ على كسلانَ أو ذِي مَلالَةٍ   وأما على المُشتاقِ فهْوَ قريبُ



---

(١) الإعياء والتعب فيه.
(٢) الرَّوح: الفرجُ واستراحةُ القلبِ من غمه.

طاوِلْ [بها] الليلَ مالَ النَّجمُ أم جَنَحَا وماطِل النومَ ضَنَّ الجَفْنُ أم سَمَحَا
فإنْ تشكَّتْ فَعَلِّلْها المَجَرَّةَ مِنْ ضوءِ الصَّباحِ[(١)] وَعِدْهَا بالرَّواحِ ضُحَى



سعي المحب في رضا المحبوب

سَيَهْلِكُ فِي الدُّنْيَا شَفِيقٌ عَلَيْكُمُ إِذَا غَالَهُ[(٢)] مِنْ حَادِثِ [الْحُبِّ] غَائِلُهُ
كَرِيمٌ يُمِيتُ السِّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا اسْتَفْهَمُوهُ عَنْ حَدِيثِكِ جَاهِلُهُ
يَوَدُّ بِأَنْ يُمْسِيَ سَقِيمًا لَعَلَّهَا إِذَا سَمِعَتْ عَنْهُ بِشَكْوَىً تُرَاسِلُهُ
وَيَهْتَزُّ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلَبِ الْعُلَا[(٣)] لِتُحْمَدَ يَوْمًا عِنْدَ لَيْلَى شَمَائِلُهُ



إن كان رِضاكُم في سَهَرِي فسلامُ اللهِ على وَسَنِي



مَنَحْتُكِ الرُّوحَ لا أَبغِي بها ثَمَنًا إلا رِضاكِ وَوَا فَقْرِي إلى الثَّمَنِ



---

(١) المجرةُ: البياضُ المُعترِض في السَّماء بين النَّسْرَين، والمرادُ فيما يظهر: لَهِّها بضوء المجرة عما تريده هي من ضوء الصباح، وعليه تكون (مِن) للبَدَلِيَّة، أو تكون مصحَّفةً من (عن) والله أعلم.

(٢) اغتاله.

(٣) أي: يطرب له ويفرح ويستبشر.



إعراض المحب عن كل ما سوى محبوبه

حـبـيـبٌ لـيـس يَـعْـدِلُـهُ حَـبِـيـبُ وَلَا لِـسِـواهُ فـي قَـلْـبِـي نَـصِـيـبُ



قد صِيغَ قلبِي على مِقدارِ حُبِّهِمُ فـما لِـحُـبِّ سِـواهُـمْ [فـيـهِ] مُـتَّـسَـعُ



يـا ذا الـذي أُنـسُ الـفُـؤادِ بِـذِكْـرِهِ أنـتَ الـذي مـا إِنْ[1] سِـواهُ أُرِيـدُ
تَـفـنَـى الـلَّـيـالـي والـزمـانُ بـأَسـرِهِ وهـواكَ غَـضٌّ فـي الـفـؤادِ جـديـدُ



أعمَيتَ عَينِي عن الدُّنيا وزينتِها فـأنـتَ والـروحُ شـيءٌ غـيـرُ مـفـتَـرِقِ
إذا ذكـرتُـكَ وَافَـى مُـقـلَـتِـي أَرَقٌ من أوَّلِ الليلِ حتى مطلَعِ الفَلَقِ
ومـا تـطـابَـقَـتِ الأجـفـانُ عـن سِـنَـةٍ إلا رأيـتُـكَ بـيـن الـجَـفْـنِ والـحَـدَقِ



فـإن نـطَـقْـتُ فـلـمْ أَنْـطِـق بـغـيـرِكُـمُ وإنْ سـكـتُّ فـأنـتـم عَـقْـدُ إضْـمـارِي



وَقَدْ صُمْتُ عَنْ لَذَّاتِ دَهْرِيَ كُلِّهَا وَيَـوْمُ [لِـقَـاكُـمْ] ذَاكَ فِـطْـرُ صِـيَـامِـي



إِذَا نَـحْـنُ أَدْلَـجْـنَـا وَأَنْـتَ إِمَـامُـنَـا كَـفَـى لِـمَـطَـايَـانَـا بِـذِكْـرِاكَ [حَـادِيًـا]

---

(١) (إنْ) زائدةٌ للتوكيد.

وإن نحنُ أضلَلْنا الطريقَ ولم نَجِدْ دليلًا كفانا نُورُ وجهِكَ هادِيا



ولو قِيلَ للمجنونِ: ليلى ووَصْلَها تريدُ أمِ الدُّنْيا وما في طَوَاياها؟
لقال: ترابٌ من غُبارِ نِعالِها أَلَذُّ إلى نفسي وأَشْفى لِبَلْواها



شوق المحبين

خليليَّ مِن نَجدٍ قِفا بِي على الرُّبا فقد هبَّ من تلك الديارِ نَسيمُ



بكَيْتُ على سِرْبِ القَطا إذْ مَرَرْنَ بِي فقلتُ ومِثلِي بالبُكاءِ جَدِيرُ
أَسِرْبَ القَطَا هَل مَنْ يُعِيرُ جَناحَهُ؟ لعَلِّي إلى [مَنْ] قد هَوِيتُ أَطِيرُ



ولما نَزَلْنا منزِلًا طَلَّه النَّدَى(١) أنيقًا وبُستَانًا منَ النَّوْرِ(٢) حَالِيا
أَجَدَّ(٣) لنا طِيبُ المَكانِ وحُسنُهُ مُنَىً(٤) فَتَمَنَّيْنَا فكنتِ الأَمَانِيَا



وَدَاعٍ دَعَا إذْ نَحْنُ بِالخَيْفِ مِنْ مِنَى فَهَيَّجَ أَشْجَانَ الفُؤَادِ وَمَا يَدْرِي

(١) أصابه المطر الخفيف.
(٢) الزهر الأبيض، أو الزهر كلُّه.
(٣) أي: جدَّد.
(٤) أي: أمانيَّ.

دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا أَطَارَ بلَيْلَى طائِرًا كَانَ في صَدْرِي



قال ابنُ القيم:

إذا طَلَعَتْ شَمْسُ النهارِ فإنَّها أمارةُ تَسلِيمِي عليكُم فَسَلِّمُوا



قال مجنونُ لَيلَى:

وأخرجُ من بينِ البيوتِ لعلَّنِي أُحدِّثُ عنكِ [النفْسَ في السِّرِّ] خاليَا



وإني لَأَهْوَى النومَ في غيرِ حِينِهِ لعلَّ [لقاءً في المنامِ يكونُ]



وأعظمُ ما يَكُونُ الشَّوقُ يَومًا إذا دَنَتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ



قلق المحبين

قال الصَّرْصَرِي [يخاطِبُ رسول الله ﷺ]:

يَا ثاوِيًا بين الجَوانِحِ والحَشَا(١) مِنِّي وإنْ بَعُدَتْ عليَّ دِيارُهُ

عطفًا على قلبٍ [بِحُبِّكَ] هَائمٍ إن لم تَصِلْهُ [تَصَدَّعَتْ](٢) أعشارُهُ(٣)

(١) الجوانح: ضلوع الصدر، والحشا: ما اشتملت عليه.

(٢) تفرَّقَت.

(٣) جمعُ (عُشْر).

وارحم كئيبًا فيكَ يَقضِي نَحْبَهُ   أسَفًا عليك ومَا انقَضَتْ أَوْطارُهُ
لا يستفيقُ من الغرامِ وكلَّما   نَحَّوْكَ عنهُ تَهتَّكَتْ أستارُهُ(١)



الْقَلْبُ مُحْتَرِقٌ وَالدَّمْعُ مُسْتَبِقُ   وَالْكَرْبُ مُجْتَمِعٌ وَالصَّبْرُ مُفْتَرِقُ
كَيْفَ الْقَرَارُ عَلَى مَنْ لَا قَرَارَ لَهُ   مِمَّا جَنَاهُ الْهَوَى وَالشَّوْقُ وَالْقَلَقُ؟!
يَا رَبِّ إِنْ كَانَ شَيْءٌ فِيهِ لِي فَرَجٌ   فَامْنُنْ عَلَيَّ بِهِ مَا دَامَ بِي رَمَقُ



تَطَاوَلَ هذا اللَّيلُ فالعينُ تَدمَعُ   وأرَّقَنِي حُزْنٌ لِقَلْبِيَ مُوجِعُ
فَبِتُّ أُقَاسِي اللَّيْلَ أَرْعَى نُجُومَهُ   وبَاتَ فُؤادِي بالجَوى(٢) يَتَقَطَّعُ
إذا غابَ مِنْهَا كَوكَبٌ في مَغِيبِهِ   لَمَحْتُ بعَينِي كَوكَبًا حِينَ يَطْلُعُ
إذا مَا تذكَّرتُ الذي كَانَ بَينَنَا   وَجَدْتُ فُؤادِي حَسْرةً يَتَصَدَّعُ(٣)
وكلُّ حبيبٍ ذاكِرٌ لِحَبِيبِهِ   يُرَجِّي لِقَاهُ كُلَّ يومٍ ويَطمَعُ



قال ابن المُعتَزِّ:

متيَّمٌ(٤) يَرعى نجومَ الدُّجى   يَبْكي عليهِ رحمةً عاذِلُهْ(٥)

---

(١) ظهرَ وجدُهُ الذي كان يَكتُمُه ويستُرُه.
(٢) شدةُ الوَجدِ من الحُزنِ أو من العِشقِ.
(٣) يتشقَّق.
(٤) المُتيَّم: مَن استعبده الحُبُّ.
(٥) لائِمُه.

عَينِي أَشَاطَتْ بِدَمِي[١] في الهَوى   فابْكُوا قتيلًا بعضُهُ قاتِلُهْ



سَهِرتُ ومَنْ أَهدَى ليَ الشَّوقَ نائمُ   وعذَّبَ قلبِي بالهوى وهْو سَالِمُ
وحتَّى متى أُخفِي الهَوَى وأُسِرُّهُ   وأَدفِنُ شوقي في الحَشَا[٢] وأُكاتِمُ؟!



قال أبو تمَّام:

[أعوامُ وصلٍ كادَ يُنسِي طولَها   ذِكرُ النوَى[٣] فكأنَّها أيامُ][٤]



قال هاشم الرفاعي:

تُرَى هل يَرجِعُ الماضي؟ فإنِّي   أذوبُ لذلك الماضي حَنِينا



إذا وجدتُ أُوَارَ الحُبِّ في كَبِدي[٥]   أقبلتُ نحوَ سِقَاءِ القوْمِ أَبتَرِدُ
هَبْني بَرَدتُ ببَرْدِ المَاءِ ظاهِرَهُ   فمَنْ لِنَارٍ عَلَى الأَحْشاءِ تتَّقدُ؟!



---

(١) أشاط فلان بدم فلان: سعى في هلاكه.
(٢) الحشا: ما اشتملت عليه الضلوع.
(٣) البُعد والفراق.
(٤) ساقه (ريان رحمه الله) بلفظ:
مرَّتْ سِنونٌ بالسُّعودِ وبالهَنا   فكأنها من قِصْرِها أيامُ
وهو لفظٌ ذكره بعض المعاصرين، وليس في شيءٍ من المصادر فيما وقفتُ عليه.
انظر الموازنة (٢/ ١٦٠) والوساطة (٢١) والصناعتين (٤٢٥).
(٥) الأُوَار: لفحُ النار ووَهَجُها.

فَـفِـي فُـؤادِ الـمُـحِـبِّ نـارُ هـوىً   أحـرُّ نـارِ الـجـحـيـمِ أبـردُهـا



وليس الذي يَجرِي منَ العينِ مَاؤُها   ولـكـنَّـهـا رُوحٌ تـذوبُ فَـتَـقْـطُـرُ



صبر المحبين وجزعهم

صَبَرْتُ وكان الصبْرُ خيرًا مَغَبَّةً[1]   وهَلْ جَزَعٌ مُجدٍ عليَّ فأَجزَعُ؟!
ملكْتُ دُموعَ العينِ حتى رَدَدْتُها   إلى ناظِري فالعينُ في القلبِ تدْمَعُ



صَـبَـرْتُ ولا واللهِ مـا بِـي جَـلادَةٌ   على الحُبِّ لَكِنِّي صَبَرْتُ على الرَّغْمِ



قال ابن المُعتَزِّ:

يـا رُبَّ إخـوانٍ صـحـبـتُـهُـمُ   لا يَـمـلِـكـون لـسـلـوةٍ قَـلْـبـا
لـو تـسـتـطـيعُ قـلـوبُـهـم [فَـقـدَتْ]   أجـسـامَـهـم فـتـعـانـقَـتْ حُـبَّـا



فَمَنْ كَانَ فِي طُولِ الْهَوَى ذَاقَ سَلْوَةً   فَـإِنِّـيَ مِـنْ لَـيْـلَـى لَـهَـا غَـيْـرُ ذَائِـقِ
وَأَكْـبَـرُ شَـيْءٍ نِـلْـتُـهُ مِـنْ وِصَـالِـهَـا   أَمَـانِـيُّ لَـمْ تَـصْـدُقْ كَـلَـمْـحَـةِ بَـارِقِ



(١) أحسنَ عاقبةً.

فَدَاوِ سُقْمًا بجِسْمٍ أنتَ مُتْلِفُهُ   وابرُدْ غَرامًا[١] بقلبٍ أنتَ مُضْرِمُهُ
ولا تَكِلْنِي على بُعْدِ الدِّيارِ إلى   صَبرِي الضعيفِ فصبري أنت تعلمُهُ
تلقَّ قلبِي فقد أرسلتُهُ عَجِلًا   إلى لقائِكَ والأشواقُ تَقْدُمُهُ



حال المحبين عند اللقاء

ما يَرجِعُ الطَّرْفُ عَنْهُ عند رؤيتِهِ   حتَّى يعودَ إليه الطَّرْفُ مُشتاقا



قال العبَّاسُ بن الأَحنَف[٢]:

تُشِيرُ فأَدرِي ما تقولُ بطَرْفِها   وأُطْرِقُ طَرْفِي عندَ ذاكَ فتَعلَمُ
تَكَلَّمُ مِنَّا في الوُجوهِ عُيُونُنا   فنحنُ سكوتٌ والهَوى يَتكلَّمُ



قال ابن الرُّومِي:

أعانِقُها والنَّفسُ بَعدُ مَشُوقَةٌ   إليها وهل بعد العِناقِ تَدانِي؟!
وألثَمُ فَاهَا كي تزولَ صَبابَتِي[٣]   فيشتَدُّ ما ألقى مِنَ الهَيَمَانِ[٤]!
ولَمْ يَكُ مِقْدَارُ الذي بِي مِنَ الجَوَى[٥]   لِيَشْفِيَهُ ما ترشُفُ الشَّفَتَانِ

---

(١) أي: أبرِده.
(٢) البيت الثاني له في ديوانه (٢٧٣) في أبيات، أما الأول فلم أجده منسوبًا، والبيتان بلا نسبة في محاسن المجالس لابن العريف (٩١) والدر الفريد (٥/ ٤١٤).
(٣) حرارةُ شوقي.
(٤) ذهاب العقل من العِشقِ.
(٥) شدةُ الوَجدِ من العِشقِ.

كـأنَّ فُـؤادِي لـيـسَ يَـشْـفِـي غَـلِـيـلَـهُ   سوى أَنْ يَرَى الرُّوحَينِ يَـمْتَزِجَانِ!



[قد] جئتُ [في] قَلبِي مَشاعِرُ عَاشِقٍ   بـل مُـغـرَمٍ ومُـتَـيَّـمٍ[١] مَـفـتُـونِ
(أَهْوَاكُمُ) إن قلتُها [فَجَفَوْتُكُمْ]   أُسْكِنْتُمُ في مُهجَتِي وعُيُونِي
والعينُ إن رأتِ الحبيبَ تَرَقْرَقَتْ   بـالـدَّمـعِ مِـن فَـرَحٍ [بِـهِ] وشُـجُـونِ
لا تَعْذُلُونِي[٢] فالفُؤادُ إذا اكْتَوَى   بِلَظَى المَحَبَّةِ صَارَ كَالمَجنُونِ
يـا عَـاذِلِيَّ عـلى الـمَـحَـبَّةِ أَقْصِرُوا   مـا ذُقْـتُـمُ مـا ذُقْـتُـهُ فَـدَعُـونِـي
[إن بِـنْـتُـمُ عَـنَّـا][٣] فَـنَـسْـأَلُ رَبَّـنـا   أَنْ نَـلـتَـقِـي فـي جَـنَّـةٍ وعُـيُـونِ[٤]



حال المحبين عند الوداع

ولـمـا وقَـفْـنـا بِـالـصَّـرَاةِ[٥] عـشـيـةً   حَـيـارَى لـتـوديـعٍ وردِّ سـلامِ
وقفْنا على رَغْمِ [الحَسُودِ] وكُلُّنا   يَـفُـضُّ مـنَ الأشـواقِ كُـلَّ خِـتـامِ
وسـوَّغَـنِـي[٦] عـنـد الـوداعِ عِـنـاقُـهُ   فـلـمَّـا رأى وَجْـدِي[٧] بـه وغَـرامِـي

(١) المُتيَّم: مَن استعبده الحُبُّ.
(٢) لا تلوموني.
(٣) البَيْنُ: الفراق.
(٤) لم أقف على الأبيات، وما فيها من إصلاحٍ فلإقامةِ وزنٍ منكسر أو تصحيح لِحنٍ ظاهر.
(٥) موضع.
(٦) أي: هَنَّأَني.
(٧) الوَجد: الحبُّ الشديد.

تَـلـثَّـمَ مُـرْتـابًـا بِـفَـضـلِ رِدائِـهِ ... فـقـلْـتُ: هـلالٌ بـعـد بَـدْرِ تَـمـامِ



وكَـمْ تَـشَـفّـع [بِـي] أن لا أُفـارقَـهُ ... ولـلـضـروراتِ حـالٌ لا تُـشَـفِّـعُـهُ
وكم تشَبَّثَ بي خَوفَ الفِراقِ ضُحىً ... وأدمُـعِـي مُـسـتَـهِـلَّاتٌ وأَدمُـعُـهُ



قال الشريفُ الرَّضي:

وإنِّي إذا اصطَكَّتْ رقابُ مَطِيِّهِم ... وثـوَّرَ حـادٍ بـالـرِّفـاقِ عَـجُـولُ
أُخالِفُ بينَ الرَّاحتَينِ على الحَشَا[1] ... وأنـظُـرُ [أنَّـى مِـلْـتُـمُ] فَـأَمِـيـلُ



حال المحبين في ديار الأحبة

أَمُـرُّ عـلـى الـديـارِ ديـارِ لـيـلـى ... أُقَـبِّـلُ ذا الـجـدارَ وذا الـجِـدارَا
ومـا حـبُّ الـدِّيـارِ شـغَـفْـنَ قـلـبـي ... ولـكـنْ حُـبُّ مَـنْ سَـكَـنَ الـديـارا



قال الشريف الرضي:

ولـقـد مـرَرْتُ عـلـى ديـارِهِـمُ ... وطلولُها[2] بِيَدِ البِلى نَهْبُ[3]
فـبـكـيْـتُ حتى ضَـجَّ مِـن لَـغَـبٍ ... نِضْوِي[4] وَلَجَّ بِعَذلِيَ الرَّكْبُ[5]

(١) الحشا: ما اشتملت عليه الضلوع.
(٢) الطلل: الشاخص من آثار الدار.
(٣) منهوبة.
(٤) ضجَّ: صاح مستغيثًا وجَزِع، واللغب: الإعياء والتعب، والنضو: البعير المهزول.
(٥) تمادَوا في ملامتي.

وتَلَفَّتَتْ عَينِي فمُذْ خَفِيَتْ عنِّي الطُّلُولُ تَلَفَّتَ القَلْبُ



دواء الحب

سألتُ فقيهَ الحُبِّ عن عِلَّةِ الهَوى وقلتُ [له]: أشكُو إلى الشَّيْخِ حَالِيا
فقالَ: دواءُ الحبِّ أن تُلْصِقَ الحَشَا بأحشاءِ مَنْ تَهْوَى إذا كُنتَ خَالِيا
وتَتَّحِدَا مِن بعدِ ذاك تَعانُقًا وتَلْثِمَهُ حتَّى يُرى لكَ ناهِيا
فتَقضيَ حاجاتِ الفُؤادِ بأسرِها على الأَمنِ ما دامَ الحبيبُ مُواتِيَا(١)
إذا كانَ هذا في حلالٍ فحبَّذا وصالٌ بِهِ الرَّحمنُ تلقاهُ راضِيَا
وإن كان هذا في حرامٍ فإنَّهُ عذابٌ [بِهِ] تَلْقَى العَنا والمَكَاوِيَا



كتب رجلٌ إلى الشافعي:

سَلِ المُفتِيَ المَكِّيَّ هل في تَزَاوُرٍ ونظرةِ مُشتاقِ الفُؤادِ جُنَاحُ؟

فأجابه:

معاذَ إلهِ العرشِ أن يُذْهِبَ التُّقى تَلاصُقُ أكبادٍ بِهِنَّ جِرَاحُ

[قال الرَّبيع: فأنكرتُ على الشافعي أن يفتي لحَدَثٍ بمثل هذا، فقلت: يا أبا عبد الله، تفتي بمثل هذا شابًّا؟! فقال لي: يا أبا محمد، هذا رجلٌ هاشميٌّ، قد عرَّسَ في هذا الشهر - يعني شهرَ رمضان -، وهو حَدَثُ السِّنِّ، فسأل: هل عليه جُناحٌ أن يُقبِّلَ أو يَضُمَّ من غير وطء؟ فأفتيتُه بهذه الفُتيا.

(١) مُطاوِعًا.

قال الرَّبِيع: فتَبعتُ الشابَّ، فسألتُه عن حالِهِ، فذكرَ لي أنه مثلُ ما قال الشافعي، فما رأيتُ فِراسةً أحسنَ منها!][(١)].



كتب رجل إلى ابن الجوزي يسأله عن حكم العشق فأجاب:

يـا ذا الـذي ذَابَ مِـنَ الـوَجْـدِ[(٢)] ... وَظَـلَّ فـي ضُـرٍّ وفـي جَـهْـدِ
اسمعْ فَدَتْكَ النَّفْسُ مِنْ ناصحٍ ... بِنُصحِهِ يَهْدِي إلى الرُّشْدِ
لو صَحَّ منك العِشْقُ ما جِئتَني ... تسألُني عنهُ وتَسْتَعْدِي[(٣)]
وكلُّ ما تَذْكُرُ مُستَفْتِيًا ... حَرَّمَهُ اللهُ على العَبْدِ
إلَّا لِمَا حَلَّلَهُ ربُّنا ... في الشَّرعِ بالإبرامِ والعَقْدِ
فَعَدِّ عن طُرْقِ الهَوى مُعْرِضًا ... وقِفْ ببابِ الواحدِ الفَرْدِ
وسَلْه يَشْفيْكَ ولا يَبتَلِي ... قَلبَكَ بالتَّعذيبِ والصَّدِّ
وعِفَّ في العِشْقِ ولا تُبْدِهِ ... واصْبِرْ وَكاتِمْ غايَةَ الجُهْدِ
فإن تَمُتْ مُحتسِبًا صابِرًا ... تفُزْ غدًا في جَنَّةِ الخُلْدِ



منتهى المحبة

وحُرمةِ الوُدِّ ما لي مِنْكُمُ عِوَضُ ... وليس لي في سِواكُمْ سادَتِي غَرَضُ
وقَدْ شرطْتُ على قومٍ صَحِبتُهُمُ ... بأنَّ قلبي لكُمْ مِنْ دونِهمْ فَرَضُوا

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ١٥٠).
(٢) الحب الشديد.
(٣) الاستعداءُ: شكوى المُعتَدَى عليهِ المُعتَدِي وطلبُهُ الإعانةَ والنُّصرةَ عليه.

ومِنْ حديثي بكُمْ قالوا بِهِ مَرَضٌ   فقلتُ لا زالَ عنِّي ذلكَ المرضُ (١)



وإنْ ساءَني [أن نِلْتِنِي] بِمَسَاءَةٍ   فقد سَرَّني أنِّي خَطَرْتُ بِبالِكِ



وقفَ الهوَى بِي حيثُ أنتِ فليسَ لِي   مُتأخَّرٌ عنهُ ولا مُتقدَّمُ
وأَهنتِنِي فأهنتُ نفسِي جاهدًا   ما مَنْ يَهُونُ عليكِ ممَّنْ يُكرَمُ
أشبهتِ أعدائِي فصرتُ أُحِبُّهمْ   إذ كانَ حظِّي منكِ حظِّي منهُمُ
أَجِدُ المَلامةَ في هواكِ لذيذةً   حُبًّا لذكركِ فلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ



(١) دعاءٌ بعدم زواله.

الحكمة

ظهور الحق وخفاؤه

والـحـقُّ أبْـلَـجُ لا تَـزِيـغُ سَـبِـيـلُـهُ　　والـحـقُّ يَـعـرِفُـه ذَوُو الأَلْـبَـابِ

قال ابن حزم:

أَبِنْ وجهَ قولِ الحقِّ في نفسِ سامعٍ　　ودعْهُ فنُورُ الحقِّ يَسْري ويُشْرِقُ

سَيُؤْنِسُه رِفْقًا فيَنسَى نِفَارَهُ　　كما نَسِيَ القَيْدَ المُوَثَّقَ مُطْلَقُ



يُقضَى على المرءِ في أيامِ مِحنَتِهِ　　حتى يَرى حسنًا ما ليس بالحَسَنِ



قد سُمِّيَ القَلْبُ قلبًا مِن تَقلُّبِهِ　　فاحذرْ على القَلْبِ من قَلْبٍ وتحويلِ



المحبة

قال محمد بن داود الظاهري:

وما الحُبُّ مِن حُسْنٍ ولا مِن مَلاحةٍ　　ولـكـنَّهُ شـيءٌ بِـهِ الـروحُ تَـكْـلَـفُ(١)



---

(١) تُولَع.

أتاني هواها قبل أن أعرِفَ الهوى فصادَفَ قلبًا خاليًا فتمكَّنا

❁ ❁ ❁

قال عبد الله بن معاوية:

وَلَسْتَ بِرَاءٍ[1] عَيْبَ ذِي الوُدِّ كُلَّهُ وَلَا بَعْضَ مَا فِيْهِ إِذَا كُنْتَ رَاضِيَا
فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ [عَيْبٍ] كَلِيْلَةٌ[2] وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا

❁ ❁ ❁

أنتَ القتيلُ بِكُلِّ مَن أَحببتَهُ فاخترْ لنفسِكَ في الهَوَى مَنْ تَصْطَفِي

❁ ❁ ❁

البيان

قال جَرْدٌ الحضرميُّ:

كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ تَرَاهُ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانُ

❁ ❁ ❁

وَلَا خيرَ في حُسْنِ الجُسُومِ وطُولِها إذا لم تَزِنْ حُسنَ الجُسومِ عُقُولُ

❁ ❁ ❁

في زُخرُفِ القولِ تحسينٌ لباطِلِهِ والحقُّ قد يعتريهِ سوءُ تعبيرِ
تقولُ: (هذا مُجاجُ النَّحلِ) تمدحُهُ وإن [تشأْ] قلتَ: ([ذا] قيءُ الزَّنابِيرِ)

❁ ❁ ❁

(١) اسمُ فاعلٍ مِن (رأى).
(٢) تضعُفُ عن إبصاره.

قال زُهير:

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

وَإِنَّ سَفاهَ الشَّيْخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ، ... وإنَّ الفَتى بَعْدَ السَّفاهَةِ يَحْلُمِ



وإنَّ أحسنَ بيتٍ أنتَ قائلُهُ ... بيتٌ يُقالُ إذا أنشدتَهُ صَدَقَا



العجز والكَيّس

ما مَضَى فاتَ والمُؤَمَّلُ غيبٌ ... ولك الساعةُ التي أنتَ فيها



وعاجزُ الرأيِ مِضْياعٌ لفُرصتِهِ ... حتى إذا فَاتَ أمرٌ عاتَبَ القَدَرَا



وَلَا تُرْجِ فِعْلَ الْخَيْرِ يَوْمًا إِلَى غَدٍ ... لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ



عِبَر القَدَر وتقلُّب الدهر

ما كلُّ ما يتمنَّى المرءُ يُدرِكُهُ ... تجري الرياحُ بما لا تشتهي السُّفُنُ



قال أبو تمَّام:

ينالُ الفتى من عَيشِهِ وهْو جاهلٌ ... ويُكدِي(١) الفتى في دهرِهِ وهو عالمُ

(١) يقل ماله.

ولو كانتِ الأرزاقُ تَجري على الحِجَى[(١)] هلكْنَ إذًا من جهلهِنَّ البهائمُ!
ولم يجتمع شرقٌ وغربٌ لقاصدٍ ولا المجدُ في كفِّ امرئٍ والدراهمُ



تموتُ الأُسْدُ في الغاباتِ جُوعًا ولَحْمُ الضأنِ تأكلُهُ الكِلابُ
وعبدٌ قد ينامُ على حَرِيرٍ وذو نَسَبٍ مَفَارِشُهُ الترابُ



قال قيسُ بن الخَطِيم:

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَن يُعطَى مُناهُ وَيَأْبى اللهُ إلا [ما] يَشَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزلَتْ بِحَيٍّ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ



وما يَدرِي الفقيرُ متى غِناهُ وما يَدرِي الغنيُّ متى يُعِيلُ[(٢)]
وما تَدري وإنْ أجمعتَ أمرًا[(٣)] بأيِّ الأرضِ يُدرِكُكَ المَقِيلُ



قال أبو العتاهية:

هي الأيامُ والعِبَرُ وأمرُ اللهِ يُنتَظَرُ
أَتيأسُ أَنْ تَرى فرجًا؟ فأينَ اللهُ والقَدَرُ؟!



(١) على مقدار العقول.
(٢) يفتقر.
(٣) عزمتَ عليه.

عَسَى مَا تَرَى أَنْ لَا يَدُومَ وَأَنْ تَرَى ... لَهُ فَرَجًا مِمَّا أَلَحَّ بِهِ الدَّهْرُ
عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ إِنَّهُ ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرُ
إِذَا لَاحَ عُسْرٌ فَارْجُ يُسْرًا فَإِنَّهُ ... قَضَى اللهُ أَنَّ الْعُسْرَ يَتْبَعُهُ الْيُسْرُ



[مَا] يطلبِ الدَّهرُ تُدرِكْهُ مخالبُهُ ... والدَّهرُ بالوَترِ[1] ناجٍ غيرُ مطلوبِ



قال البارودي:

فَدَعْ مَا مَضَى واصبِرْ على حِكمةِ القَضَا ... فليس يَنَالُ [المَرءُ] ما فَاتَ [بالجَهْدِ]
ولا تَلْتَمِسْ مِن غيرِ مَولاكَ هَادِيًا ... إذا اللهُ لَم يَهدِ العِبادَ فمَنْ يَهدِي؟!



بِمَ يُعرَفُ المرء؟

قد عَرَفْنَاكَ باختيارِكَ إذْ كَا ... نَ دَليلًا على اللَّبيبِ اختيارُهْ



عن المرءِ لا تَسَلْ وسَلْ عن قرينِهِ ... فكلُّ [قرينٍ] بالمُقارِنِ يَقتدِي



[جزى] اللهُ الشدائدَ كلَّ خيرٍ ... عرفتُ بها عدُوِّي مِن صديقي



(١) الوَتْر: الجِناية، أي: والدهرُ ناجٍ مع جِنايتِه.

الغُربة وفساد الزمان

قال أبو العلاء المَعَرِّي:

تُـعّـدُّ ذنـوبـي عـنـد قـومٍ كـثـيـرةً ... ولا ذنبَ لي إلا العُلا والفَوَاضِلُ
فوا عجبًا! كم يدَّعي الفَضْلَ ناقصٌ ... ووا أسفًا كم يُظْهرُ النقصَ فاضلُ
إذا وَصَفَ الطائيَّ بالبُخلِ مادِرٌ ... وعيَّرَ قُسًّا بالفَهاهةِ باقِلُ[1]
وقال السُّهَا[2] للشمسِ: أنتِ خَفِيَّةٌ ... وقال الدُّجَى: يا صبحُ لونُكَ حائلُ[3]
وطاولَتِ الأرضُ السماءَ سفاهةً ... وفاخَرَتِ الشُّهْبَ الحَصَى والجَنَادِلُ[4]
فيا موتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذميمةٌ ... ويا نفسُ جِدِّي إنَّ دهرَكِ هازِلُ



قال أبو الحسن المَقدِسي[5]:

تصدَّرَ للتدريسِ كلُّ مُهَوَّسِ[6] ... جَهولٍ تَسَمَّى بالفقيهِ المُدَرِّسِ

---

(١) الطائي هو حاتم، وقس هو بن ساعدة، مضرب المثل في الجود والخَطَابة، ومادرٌ وباقلٌ مضرب المثل في البخل والعي.
(٢) نجم صغير.
(٣) متغيِّر.
(٤) الصخور.
(٥) في الإفادات والإنشادات لأبي إسحاق الشاطبي (١) أن أبا الحسن ابن المفضل المقدسي أنشدها.
وليست له، وأكثر من نسبها نسبها لأبي الحسن الفالي علي بن أحمد بن علي كما تراه في المنتظم (١٦/ ١٠) والكامل (٨/ ١٤٥) وغيرهما.
ونسبها ياقوت في معجم الأدباء (٣/ ١٠٦٣) والصفدي في الوافي بالوفيات (١٢/ ٢٢٨) وغيرهما لأبي علي الآمدي الحسين بن سعد بن الحسين.
(٦) به هَوَس.

فَحُقَّ لأهلِ العلمِ أن يَتَمَثَّلُوا ببيتٍ قديمٍ شاعَ في كلِّ مَجلسِ
(لقد هُزِلَتْ حتى بَدَا مِن هُزَالِها كُلاها وحتى اسْتَامَهَا كلُّ مُفْلِسِ)



لم يَبْقَ في العالَمينَ مِنْ ذَهَبٍ وإنَّما جُلُّ مَنْ تَرَى شَبَهُ
دَعْهُم فكَمْ قُطِّعَتْ رِقابُهُمُ جَدْعًا ولم يشعُرُوا ولا أَبَهُوا
قد مُزِجُوا بالنِّفاقِ فامتَزَجُوا والتَبَسُوا في العِيانِ واشتَبَهُوا
وما لِأَقْوَالِهِمْ إذا كُشِفَتْ حقائقٌ بل جميعُها شُبَهُ



قال المَعَرِّي:

يسُوسُونَ الأمورَ بغيرِ عَقْلٍ فينفُذُ أمرُهُم ويُقالُ سَاسَةْ
فأُفَّ منَ الحياةِ وأُفَّ منِّي ومِن زَمَنٍ رِئَاسَتُهُ خَسَاسَةْ



خَلَتِ الدِّيارُ فَسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ[(١)] ومِنَ الشَّقاءِ تَفَرُّدِي بالسُّؤْدَدِ



رمَتْني صروفُ الدهرِ بين مَعَاشرٍ أصحُّهُمُ وُدًّا عَدُوٌّ مُقَاتِلُ
وما غُربَةُ الإنسانِ في غيرِ دارِهِ ولكنَّها في قُربِ مَن لا يُشَاكِلُ[(٢)]



(١) لم يسوِّدني الذين هم أهلُ التَّسويد.
(٢) يشابه ويلائم.

مُـصـابِـي جـلـيـلٌ والـعـزاءُ جـمـيـلُ ... وظـنِّـي بـأن اللهَ سـوف يُـدِيـلُ(١)
جـراحٌ تَـحـامـاهـا الأُسـاةُ(٢) مـخـوفـةٌ ... وسُـقْـمـانِ بـادٍ مـنـهـمـا ودخـيـلُ(٣)
وأسـرٌ أُقـاسِـيـهِ ولـيـلٌ نُـجـومُـه ... أرى كـلَّ شـيءٍ غـيـرَهُـنَّ يـزولُ
تـطـولُ بـيَ الـسـاعـاتُ وهْـيَ قـصـيـرةٌ ... وفـي كـل دهـرٍ لا يـسـرُّكَ طـولُ
تـنـاسـانـيَ الأصـحـابُ إلا عُـصَـيْـبَـةً(٤) ... سـتـلـحـقُ بـالأخـرى غـدًا وتَـحُـولُ(٥)
ومن ذا الذي يبقى على العهد؟! إنهم ... وإن كـثـرت دعـواهُـمُ لـقـلـيـلُ
أُقلِّبُ طرفي لا أرى غيْرَ صاحبٍ ... يـمـيـلُ مع الـنَّـعـمـاءِ حيـثُ تـمـيـلُ
وصِرنا نرى أن الـمُـتَـارِكَ مُـحـسِـنٌ ... وأنَّ صـديـقًـا لا يـضُـرُّ خـلـيـلُ
أكُـلُّ خـلـيـل هـكـذا غـيـرُ مـنـصـفٍ ... وكـلُّ زمـانٍ بـالـكـرامِ بـخـيـلُ؟!
فـيـا حـسْـرتـا مَـن لـي بِـخـلٍّ مُـوافِـقٍ ... أقـولُ بِـشَـجْـوِي سـاعـةً ويـقـولُ؟!



انقلاب الحقائق

قال أبو الطَّيِّب:

ومـن يـكُ ذا فـمٍ مُـرٍّ مـريـضٍ ... يـجِـدْ مُـرًّا بِـهِ الـمـاءَ الـزُّلالا(٦)



(١) أدالَ اللهُ فلانًا على فلان: نصره عليه وجَعَلَ له عليه الدولةَ والغلبة.
(٢) توقَّاها الأطباء.
(٣) مَرَضَان، ظاهرٌ وباطنٌ.
(٤) تصغير (عُصْبة).
(٥) تتحوَّلُ عن العهد.
(٦) أي: يجد به الماء الزُّلالَ مُرًّا.

[والنجمُ] تستَصغِرُ الأبصارُ طَلعَتَهُ ... والذنبُ للطرفِ لا للنجمِ في الصِّغَرِ



وكَمْ مِن [عائبٍ] قولًا صحيحًا ... وآفتُهُ من الفهمِ السقيمِ



قال أبو الطَّيِّب:

وإذا [أتتْكَ] مذمَّتي من ناقصٍ ... فهيَ الشهادةُ لي بأنِّي كاملُ



فيا مُنْكِرًا هذا تأخَّرْ فإنَّهُ ... حرامٌ على الخُفَّاشِ أن يُبْصِرَ الشَّمْسَا



من أشتات الحكمة

إن الكريمَ الذي لا مالَ في يَدِهِ ... مثلُ الشُّجاعِ الذي في [كَفِّهِ] شَلَلُ



النَّملُ تَبنِي قُرَاها في تَمَاسُكِها ... والنَّحلُ [تجنِي] رحيقَ الشَّهدِ أَعْوَانا



إنّ العفيفَ إذا استعانَ بِخائنٍ ... كان العفيفُ شَرِيكَهُ في المَأثَمِ



وَلَسْتَ بِنَاجٍ مِنْ مَقَالَةِ طَاعِنٍ ... وَلَوْ كُنْتَ فِي غَارٍ عَلَى جَبَلٍ وَعْرِ

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّاسِ سَالِمًا؟! وَلَوْ غَابَ [عَنْهُمْ] بَيْنَ خَافِيَتَيْ نَسْرِ[١]



فَلَا تَلُمْهُمْ عَلَى إِنْكَارِ مَا نَكِرُوا فَإِنَّمَا خُلِقُوا أَعْدَاءَ مَا جَهِلُوا



فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوِ الشَّرَابِ



ألا إنَّ نوماتِ الضُّحى تورِثُ الفتى خَبَالًا ونَوْماتِ [العُصَيرِ][٢] جُنُونُ
أَلَا إنَّ بَيْنَ الظُّهرِ والعَصرِ نَوْمَةً تُحاكِي لِأَصحابِ العُقُولِ فُنُونُ[٣]



يا رُبَّ حَيٍّ ترابُ الأرضِ مَسكَنُهُ ورُبَّ مَيْتٍ على أقدامِهِ انتَصَبَا



أبيات الاستشهاد

قال أبو تمَّام:

كانت هي الوَسَطَ المَحْمِيَّ فاكتَنَفَتْ بها الحوادثُ حتى أصبحَتْ طَرَفا



(١) خافية الجناح: ما يَخفى منه عند ضَمِّه.
(٢) تصغير (العَصْر).
(٣) لم أقف على البيت الثاني إلا في غذاء الألباب للسفاريني (٥/ ٢٧٢) وكذا هو مُثبَتٌ في جميع ما وقفت عليه من مطبوعاته ومخطوطاته، ولم يستَبِن لي نظمُ الكلام في شطره الثاني، والظاهر أن فيه تصحيفًا والله أعلم.

قال النابغة الذبياني:

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ... وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ(١) وَاسِعُ



إذا لم يُغَبِّرْ حائطٌ في وُقوعِهِ ... فليس له بعدَ الوُقوعِ غُبَارُ



رامَ نفعًا فضَرَّ مِن غيرِ قصدٍ ... ومِن البِرِّ مَا يكونُ [عُقُوقا]



يا ابنَ الكرامِ أَلَا تدْنُو فتبْصرَ ما ... قد حدَّثُوكَ فما راءٍ كَمَن سَمِعا



وَمَنْ لَمْ يُجَرِّبْ لَيْسَ يَعْرِفُ قَدْرَهُ ... فَجَرّبْ تَجِدْ [تَصْدِيقَ] مَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ



قال المُعَلِّمي:

وقد نَطَقتُ بحقٍّ سوف يُنكِرُه ... قومٌ يقولون هذا المُعتدِي شَطَحَا



ما يَضُرُّ البَحْرَ أمْسَى زاخِرًا(٢) ... أنْ رَمَى فيه غلامٌ بِحَجَرْ؟!



(١) المكانُ الذي أَنأَى فيه عنك.

(٢) طامِيًا جائشًا بأمواجه.

فَمِنْ شيمَةِ العَضْبِ المُهَنَّدِ[١] أنه   يُخاف ويُرجَى مُغْمَدًا ومُجَرَّدا



قال عُبَيْدُ الله بنُ أسعدَ المَوصِلي:

واستيقَظُوا وأرادَ اللهُ غَفْلَتَهُم   لِيَنْفُذَ القدَرُ المحتومُ في الأَزَلِ



قال عُروةُ بن الوَرد:

تقولُ سُلَيْمى: لو أقَمْتَ بأرضِنَا   ولم تدْرِ أنِّي للمُقامِ أُطَوِّفُ



قال الأخطل:

تَنِقُّ بلا شيءٍ شُيُوخُ مُحارِبٍ[٢]   وما خِلْتُها كانَت تَرِيشُ ولا تَبْرِي[٣]

ضفادعُ في ظَلْماءِ ليلٍ تَجاوَبَتْ   فدَلَّ عليها صوتُها حَيَّةَ البَحْرِ



[فَدَع عنكَ] الكتابةَ [لَسْتَ] منها   ولوْ لَطَّخْتَ ثوبَكَ بِالمِدادِ



ألقابُ مَمْلكةٍ في غيرِ موضعِها   كالهِرِّ يَحكِي انتفاخًا صَولَةَ الأسدِ



---

(١) السيف الهندي.

(٢) النقيق: صوت الضفدع.

(٣) أي: وما أظنها كانت تنفع ولا تضر، وأصل الرَّيشِ والبري للسهم ثم استُعِير، ورَيشُ السهم: إلزاقُ الرِّيش به، والبَرْيُ معروف.

لَا [تَعْرِضَنَّ] بِذِكْرِنَا مَعْ ذِكْرِهِمْ   لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَى كَالْمُقْعَدِ



الأمثال

ذو العقل يَشْقى في النعيم بعقلِهِ   وأخو الجهالةِ في الشَّقَاوةِ ينعَمُ



لَقَد أَسْمعْتَ لو نادَيتَ حَيًّا   ولكنْ لا حياةَ لِمَن تُنادِي



سارَت مُشَرِّقَةً وسِرْتُ مُغَرِّبًا   شتانَ بينَ مُشَرِّقٍ وَمُغَرِّبِ



[سوف تَرَى] إذا انجلى الغُبارُ   [أَفَرَسٌ تحتَك أم حِمارُ؟]



وكلٌّ يَدَّعِي وصلًا بِلَيلَى   ولَيلَى لا تُقِرُّ لهم بِذاكا



قال أبو الطَّيِّب:

خُذْ ما تراهُ ودَعْ شيئًا سمعتَ بِهِ   في طَلعةِ الشمسِ ما يُغنيكَ عن زُحَلِ



قال صالح بن عبد القدوس:

وَإِنَّ عَنَاءً أنْ تُفَهِّمَ جَاهِلًا   فيَحسَبَ جَهْلًا أنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ

مَتَى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ؟!



قال أبو تمَّام:

وإذا أرادَ [اللهُ] نشرَ فضيلةٍ طُوِيَتْ أتاحَ لها لسانَ حَسُودِ

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورَتْ ما كان يُعرَفُ طيبُ عَرفِ العُودِ(١)



قال أبو الطَّيِّب:

ومِن نَكَدِ الدنيا على الحُرِّ أن يَرى عدُوًّا [له] ما مِن صداقتِهِ بُدُّ



قال عَنتَرة بنُ شدَّاد:

إنَّ الأفاعِيْ وإن لانَتْ مَلامِسُها عند التقلُّبِ في أنيابِها العَطَبُ(٢)



(١) طِيبُ رائحتِه.
(٢) الهلاك.

المديح

قال حسان في مدح النبي ﷺ :

أغـرُّ عـلـيـهِ لـلـنُّـبُـوَّةِ خـاتَـمٌ   مِـنَ اللهِ مـيـمـونٌ يـلـوحُ ويـشْـهَـدُ
وضـمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ إلى اسمِهِ   إذا قال في الخَمْسِ المُؤَذِّنُ: أَشهَدُ
وشـقَّ لـه مِـنِ اسـمِـهِ لِـيُـجِـلَّـهُ   فذو العرش محمودٌ وهذا مُحمَّدُ



قال أبو دَهبَلٍ الجُمَحي [يمدح رسول الله ﷺ]:

عُـقِـم الـنساءُ فـمـا يَـلِـدْنَ شبيهَهُ   إنَّ الـنـسـاءَ بـمـثـلِـهِ عُـقْـمُ
نَـزْرُ الـكـلامِ مـن الـحـيـاءِ تَـخَـالُـهُ   ضَـمِـنًـا[1] ولـيـس بـجسمِهِ سُـقْـمُ



قال النابغة:

فـإنَّـكَ شـمـسٌ والـمـلـوكُ كـواكـبٌ   إذا طَـلَـعَـتْ لـم يَـبْـدُ مِـنْـهُـنَّ كـوكـبُ

قيل إن هذا البيت مأخوذ من بيتٍ [لرجلٍ من] كِنْدَة:

هُوَ الشَّمْسُ وَافَتْ يومَ دَجْنٍ[2] فَأَفْضَلَتْ   عَـلَـى كُـلِّ ضَـوْءٍ والـمُـلُـوْكُ كَـوَاكِـبُ



(١) زَمِنًا مريضًا.
(٢) غيمٍ مُطبِق.

قال الفَرَزدق:

فمن يأمنُ الحَجَّاجَ والطيرُ تتَّقي ... عقوبتَهُ إلا [ضَعيفُ] العَزائمِ

وقال جرير:

فمَن يأمنُ الحَجَّاجَ؟ أَمَّا عِقابُهُ ... فَمُرٌّ وأمَّا عَقْدُهُ فَوَثيقُ



مدح بعضُ الشعراءِ ملكًا جوادًا فأعطاه جائزةً فخرج بها من عنده وفرَّقَها على الناس وأنشدَ:

لَمَسْتُ بكفِّي كفَّه أَبتَغِي الغِنى ... ولم أدْرِ أنَّ الجُودَ مِن كَفِّه يُعْدِي



قال عبد الملك بن إدريس:

أرى بَدْرَ السماءِ [يَلُوحُ] حِينًا ... فَيبدو ثم يَلتَحِفُ السَّحابا

وذلك أَنَّهُ لمَّا تبدَّى ... وأَبصَرَ وجهَكَ استَحْيَا فَغَابا



[قال شمسُ الدين الياسوفيُّ في شيخ الإسلام ابن تيمية]:

الله أكبر هل تُنْكِرْ فضائلَ مَنْ ... سارَتْ فضائلُهُ كالشمسِ لم تَغِبِ؟!



[وقال زين الدين ابن الوردي فيه أيضًا]:

وحبسُ الدُّرِّ في الأصدافِ فخرٌ ... وعند الشيخِ بالسَّجنِ اغتباطُ



ليت الكواكبَ تدنُو لي فأنظمَها ... عقودَ مدحٍ فما أَرضَى لكُمْ كَلِمِي



الفخر

قال حسان:

وإنَّـا لَـقـومٌ مـا نُـسَـوِّدُ غَـادِرًا[١] ولا نَـاكِلًا[٢] عندَ الحَمَالَةِ زُمَّلا[٣]
ولا مـانِـعًـا لـلـمـالِ فـيـمـا يَـنُـوبُـه ولا عَاجِزًا في الحرب جِبْسًا[٤] مُغَفَّلا
[نـسـوِّدُ مـنـا كـلَّ أشـيَـبَ بـارعٍ أَغَـرَّ تـراهُ بـالـجـلالِ مُـكَـلَّـلا
إذا ما انتدَى[٥] أجْنَى النَّدَى[٦] وابْتَنَى العُلَى وأُلـفِـيَ ذا طَـوْلٍ عـلـى مَـنْ تَـطَـوَّلا[٧]
بـنـى الـعـزُّ بيـتًـا فـاسـتـقـرَّتْ عِـمـادُهُ عـلـيـنـا فـأعـيَـا الـنـاسَ أنْ يَـتَـحَـوَّلا
وإنـكَ لَـنْ تـلـقَـى مِـنَ الـنـاسِ مَـعْـشَـرًا أعـزَّ مـنَ الأنـصـارِ عِـزًّا وأفـضَـلا
وأكـثـرَ أنْ تَـلْـقَـى إذا مـا أَتَـيـتَـهُـمْ لهمْ سيِّدًا ضَخْمَ الدَّسِيعَةِ[٨] جَحْفَلا[٩]
وأشـيَـبَ مَـيـمُـونَ الـنَّـقِـيـبَـةِ[١٠] يُـبْـتَـغَـى بهِ الخَطَرُ[١١] الأعلَى وطِفْلًا مُؤَمَّلا

---

(١) لا نُصَيِّرُه فينا سيِّدًا.
(٢) ناكصًا.
(٣) هو الضعيف الجبان الرَّذْل.
(٤) الجِبس: الثقيل الذي لا يجيب إلى الخير.
(٥) حلَّ بالنادي.
(٦) أنالَ العطاء.
(٧) وُجِد ذا فضلٍ فوقَ فضلِ المتفضِّلين.
(٨) العطية، أو المائدة العظيمة.
(٩) سيدًا عظيمَ القدر.
(١٠) مباركَ النفسِ مُظفَّرًا فيما يُحاوِلُه.
(١١) المنزلة والقَدر.

وأَمْـرَدَ مُـرْتَـاحًـا(١) إذا مـا نَـدَبْـتَـهُ تَـحَـمَّـلَ مـا حَـمَّـلْـتَـهُ فـتَـرَبَّـلا(٢)
وعِـدًّا(٣) خـطـيـبًـا لا يُـطـاقُ جـوابُـهُ وذا أُرْبَـةٍ فـي شِـعْـرِهِ(٤) مُـتَـنَـخَّـلا](٥)
وأَصْيَدَ(٦) نَهَّاضًا إلى السيفِ صَارِمًا إذا ما دَعا داعٍ إلى الموتِ أَرْقَلا(٧)



[قال السَّمَوأَلُ بن عادِياء:

سَلِي إن جَهِلْتِ الناسَ عنَّا وعنهُمُ ولـيـسَ سـواءً عـالـمٌ وجَـهـولُ]
فـإنَّ بَـنِـي الـدَّيَّـانِ قُـطْـبٌ لـقَـومِـهـم تـدورُ رَحـاهُـم حـولَـهـم وتَـجـولُ



قال أبو الطَّيِّب:

ومـا الـدهـرُ إلا مـن رُواة قـصـائـدي إذا قلتُ شعرًا أصبحَ الدهرُ مُنشِدا
أَجِزْني(٨) إذا أُنْشدتَ شعرًا فإنما بـشـعـري أتـاك الـمـادحـون مُـرَدَّدا
ودَعْ كلَّ صوتٍ غيرَ صوتي فإنني أنا الطائرُ المحكيُّ والآخرُ الصدى



(١) يرتاح للمعروف، يفرح به ويهتز له.
(٢) أي: فعظُم شأنُه وكبُر.
(٣) العِدُّ: الماءُ الذي له مادةٌ لا تنقطع، أراد أن مادة هذا الخطيب في بيانه مُوَاتِيةٌ له أبدًا لا تنقطع.
(٤) ذا إحكامٍ له.
(٥) مُتَخَيَّرًا.
(٦) ذا أَنَفةٍ وإباءٍ.
(٧) أسرع.
(٨) مُرْ لي بجائزة.

الشوق إلى الديار

قال بلال بن رباح رضي الله عنه:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ[(١)]؟
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ[(٢)]؟ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[(٣)]؟



قال مصعب الزُّبَيْري [وهو بالعراق يذكر شوقه إلى المدينة]:

أقولُ لثابتٍ والعينُ تهمِي ... دُموعًا ما أُنَهْنِهُهَا[(٤)] انْحِدارا
أَعِرْنِي نظرةً بِقُرَى دُجَيْلٍ[(٥)] ... [تَخَايَلْها][(٦)] ظلامًا أو نَهَارا
[فقال: أرى بِرُومةَ أو بِسَلْعٍ[(٧)] ... منازلَنا مُعطَّلةً نهارا]



(١) نبتان يكونان بمكة.
(٢) سوقٌ قربَ مكة.
(٣) جبلان بمكة أو عينان.
(٤) أكُفُّها.
(٥) نهرٌ مخرجُهُ من بغداد.
(٦) في المطبوع من معجم البلدان (١/ ٣٠٠): (يحايلها)، ومِن وفاء الوفا للسمهودي (٣/ ٢١٩): (نخائلها) وفي الأصل: (تحايلها)، ولعل الصواب ما أُثبت، والتَّخايُل: التَّخيُّل، والضميرُ لِرُومةَ والخطابُ لثابت، والله أعلم.
(٧) رومةُ بئرٌ بالمدينة، وهي التي تصدَّق بها عثمانُ بن عفان رضي الله عنه، وسلعٌ جبلٌ معروفٌ بها.

قال أبو تمَّام:

نَقِّلْ فُؤادَكَ حيثُ شِئْتَ مِن الهَوَى ... ما الحبُّ إلّا للحبيبِ الأَولِ

كم مَنْزِلٍ في الأرضِ يألَفُهُ الفَتَى ... وحَنينُهُ أبدًا لأوَّلِ مَنْزِلِ



فَبَكِّي رَسُولَ اللهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً ... وَلَا أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
وَمَا لَكِ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي ... عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعْوِلِي ... لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَدُ
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ... وَلَا مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ



[قالت آمنة بنت وهب ترثي زوجها عبد الله بن عبد المطلب]:

عَفَا جَانِبُ الْبَطْحَاءِ(١) مِن [قَرْم] هَاشِمٍ(٢) ... وَجَاوَرَ لَحْدًا خَارِجًا فِي الْغَمَاغِمِ(٣)
دَعَتْهُ الْمَنَايَا دَعْوَةً فَأَجَابَهَا ... وَمَا تَرَكَتْ فِي النَّاسِ مِثْلَ ابْنِ هَاشِمِ
عَشِيَّةَ رَاحُوا يَحْمِلُونَ سَرِيرَهُ ... تَعَاوَرَهُ أَصْحَابُهُ فِي التَّزَاحُمِ
فَإِنْ تَكُ غَالَتْهُ(٤) الْمَنَايَا وَرَيْبُهَا ... فَقَدْ كَانَ مِعْطَاءً كَثِيرَ التَّرَاحُمِ



---

(١) دَرَس وانمحى أثرُه، وهو على التشبيه، وكأنه ضُمِّنَ معنى (خلا) فعُدِّيَ بـ(من).
(٢) سيِّدُها المُعظَّم.
(٣) هي الأصوات المختلطة التي لا تفهم، كالذي يُسمَع من الأصوات عادةً في الأماكن الخالية، تريد أنه بعُد مثواه وصار وحيداً.
(٤) اغتالَتْه.

قال حسان في رثاء خبيب:

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ لَا تَرْقَا مَدَامِعُهَا[١] سَحًّا عَلَى الصَّدْرِ[٢] مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ الْقَلِقِ[٣]
عَلَى خُبَيْبٍ فَتَى الْفِتْيَانِ قَدْ عَلِمُوا لَا فَشِلٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَلَا نَزِقِ[٤]



قال أبو تمَّام في رثاء محمد الطوسي:

كذا فلْيَجِلَّ الخطبُ وليَفْدَحِ الأمرُ فليس لعينٍ لم يفِضْ ماؤُها عُذرُ
تُوُفِّيَتِ الآمالُ بعد محمدٍ وأصبحَ في شُغْلٍ عن السَّفَرِ السَّفْرُ[٥]
وما كان [إلا مالَ] مَن قلَّ مالُهُ وذخرًا لمن أمسى وليس له ذُخرُ
وما كان يَدري مُجتدِي جُودِ كَفِّه إذا ما استهلَّتْ أنه خُلِقَ العُسْرُ
ألا في سبيلِ اللهِ مَن عُطِّلَتْ له فجاجُ سبيلِ الله وانثَغَرَ الثغرُ[٦]
فتىً كلما فاضَت عيونُ قبيلةٍ دمًا ضحكَتْ عنه الأحاديثُ والذِّكرُ
فتىً مات بين الضربِ والطعنِ مِيتةً تقومُ مقامَ النصر إذ فاتَهُ النصرُ
وما ماتَ حتى ماتَ مَضْرِبُ سيفِهِ من الضربِ واعتلَّت عليه القَنَا[٧] السُّمْرُ
وقد كان فوتُ الموتِ سهلًا فردَّهُ إليه الحِفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
ونفسٌ تعافُ العارَ حتى كأنَّهُ هو الكفرُ يوم الرَّوعِ أو دونَهُ الكفرُ

---

(١) لا تسكُن وتنقطع.
(٢) صبًّا شديدًا.
(٣) الذي يضطرب في سلكه ولا يثبت.
(٤) الفَشِل: الضعيف الجبان، والنَّزِق: الخفيفُ الطائش.
(٥) المسافرون.
(٦) أي: انثلم.
(٧) الرماح.

فأثبتَ في مستنقعِ الموتِ رجلَه ... وقال لها: مِن تحتِ أَخمَصِكِ الحشرُ
غدا غَدوةً والحمدُ نسجُ ردائِهِ ... فلم ينصرفْ إلا وأكفانُهُ الأجرُ
تردَّى ثيابَ الموتِ حُمْرًا فما أتى ... لها الليلُ إلا وهْي من سُندُسٍ خُضْرُ
كأنَّ بني نَبْهانَ يومَ وفاتِهِ ... نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينِها البدرُ
يُعَزَّونَ عن ثاوٍ تُعزَّى به العُلا ... ويَبكي عليه [الجُودُ] والبأسُ والشِّعرُ
وأنَّى لهم صبرٌ عليه وقد مضى ... إلى الموت حتى [استُشهِدَا] هو والصبر
فتىً كان عذبَ الرُّوحِ لا من غَضاضةٍ[(١)] ... ولكنَّ كِبرًا أن يقال به كِبْرُ[(٢)]
فتىً سَلَبَتْه الخيلُ وهو حِمىً لها ... وبزَّتْه[(٣)] نارُ الحربِ وهْو لها جَمرُ
وقد كانتِ البِيضُ المآثيرُ في الوَغَى ... بواتِرَ فهْيَ الآنَ مِن بعدِهِ بُتْرُ[(٤)]
أَمِنْ بعدِ طيِّ الحادثاتِ محمدًا ... يكونُ [لأثوابِ] النَّدى أبدًا نَشرُ؟!
إذا شجراتُ العُرفِ جُذَّت أصولُها ... ففي أيِّ فرعٍ يُوجَدُ الوَرَقُ النَّضرُ؟!
لئن أُبْغِضَ الدهرُ الخؤونُ لفقدِهِ ... لَعَهدِي به مِمَّن يُحَبُّ له الدَّهرُ
لئن غدرَتْ في الرَّوعِ أيامُهُ به ... لَمَا زالَتِ الأيامُ شيمتُها الغدرُ
لئن أُلْبِسَت فيه المصيبةَ طيِّئٌ ... لَمَا عُرِّيَتْ منها تميمٌ ولا بكرُ
كذلك ما ننفكُّ نفقِدُ هالكًا ... يُشارِكُنا في فقدِهِ البدوُ والحَضْرُ
سقى الغيثُ غيثًا وارتِ الأرضُ شخصَهُ ... وإن لم يكنْ فيه سحابٌ ولا قَطْرُ
وكيف احتمالي للسحابِ صنيعةً ... بإِسقائِها [قبرًا] وفي لحدِهِ البحرُ؟!

---

(١) ضعفٍ وذُلٍّ.
(٢) ترفُّعًا عن أن يقال: متكبر.
(٣) سلبَتْه.
(٤) البِيضُ: السيوف، والسيف المأثور: هو الذي يعمله الجن فيما يزعمون، وقيل فيه غيرُ ذلك، والبواتر: القواطع، والبُتْرُ: المقطوعة.

مضى طاهرَ الأثوابِ[١] لم تبقَ روضةٌ غداةَ ثَوَى إلا اشتهَتْ أنها قبرُ
ثوى في الثَّرى مَن كان يحيا به الثَّرى ويَغْمُرُ صَرفَ الدهرِ نائِلُهُ الغَمْرُ[٢]
عليك سلامُ الله وقفًا فإنَّني رأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليس له عُمْرُ



[قالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا]:

فلولا كثرةُ الباكِينَ حَولِي على إخوانِهِم لَقتلتُ نفسي
وما يَبكُون مثلَ أخي ولكن أُعَزِّي النفسَ عَنْهُ بالتَّأَسِّي



وَلَمَّا دعوْتُ الصبْرَ بعدك والبُكا أجابَ البُكا [طَوعًا] ولم يُجِبِ الصبرُ



تَطَاوَلَ لَيلُكَ بالأَثمُدِ[٣] [ونَامَ] الخَلِيُّ[٤] ولم تَرقُدِ
وباتَ وباتَتْ لَهُ ليلةٌ كَلَيلَةِ ذي العائِرِ[٥] الأَرْمَدِ
[وَذلِكَ مِن نَبَأٍ جاءَني وَخُبِّرتُهُ عَن أبي الأسوَدِ][٦]



(١) نقيَّ النفسِ طاهِرَها.
(٢) عطاؤه الكثير.
(٣) موضع.
(٤) الخالي عن الهموم.
(٥) العائر: قذى العين.
(٦) ذكر نفسه في البيت الأول بصيغة الخطاب ثم عدل في الثاني إلى الغَيبة ثم عدل في الثالث إلى التكلُّم.

فوائد وشوارد

فوائد علمية

إنَّ مـبـادِيْ كـلِّ عـلـمٍ عـشـرَةْ ... الـحـدُّ والـمـوضـوعُ ثُـم الـثـمـرةْ
ونـسـبـةٌ وفـضـلُـه والـواضـعْ ... والاسمُ الاستمدادُ حكمُ الشارعْ



مسائلٌ والبعضُ بالبعضِ اكتفى ... ومَن دَرَى الجميعَ حازَ الشرفا



[قال بعضهم جامِعًا] شروط لا إله الا الله:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقُكَ معْ ... محبةٍ وانقيادٍ والقبولِ لها
تَشَاجَرَ قَوْمٌ فِي الْبُخَارِيْ وَمُسْلِمٍ ... لَدَيَّ وَقَالُوا: أَيَّ ذَيْنِ تُقَدِّمُ؟



فَقُلْتُ: لَقَدْ فَاقَ الْبُخَارِيُّ صِحَّةً ... كَمَا فَاقَ فِي حُسْنِ الصِّنَاعَةِ مُسْلِمُ
آلُ النبيِّ هُمُ أتباعُ مِلَّتِهِ ... مَن كان مِن عَجَمٍ مِنْهُم ومِن عَرَبِ



لو لم يَكُنْ آلُهُ إلا قرابَتَهُ ... صلَّى المُصَلِّي على الطَّاغِي أبي لَهَبِ



[نظم بعضهم الكواكب السبعة السيَّارة فقال]:

زُحَلٌ شَرَى مِرِّيخَهُ مِن شَمسِهِ فتزاهرَتْ [لِعُطارِدَ] الأقمارُ



شواهد لغوية

قال الأعشى:

تَقُولُ بِنتِي وَقَدْ قَرَّبتُ [مُرْتَحلًا][1] يَا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الأوصابَ والوَجَعَا

عليكِ مثلُ [الَّذِي] صلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي نَوْمًا فَإِنَّ لِجَنبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعا[2]



قال جُبَيرُ بن الأضبط:

تَبَاعَدَ [مِنِّي] فَطْحَلٌ[3] [إِذْ] رأيتُهُ أَمِينَ فَزَادَ اللهُ مَا بَيْنَنَا بُعْدَا[4]



قال مجنون ليلى:

يا ربِّ لا تسلُبَنِّي حبَّها أبدًا ويرحمُ اللهُ عبدًا قال آمينا[5]



(١) أي: قرَّبتُ راحلتي.

(٢) شاهد في اللغة لاستعمال الصلاة بمعنى الدعاء.

(٣) اسم رجل.

(٤) شاهد في اللغة لاستعمال (آمين) بالقصر، والتأمين هو على ما يليه من الدعاء.

(٥) شاهد في اللغة لاستعمال (آمين) بالمدِّ.



أطاعت بنو عوف أميرًا نهاهُمُ عن السِّلْمِ حتى كان أولَ واجِبِ[(١)]



قال الأعشى [يصف راهبًا]:

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيـ ـكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارَا[(٢)]



قال النابغة:

فمَن [أطاعَ فأَعْقِبْهُ] بطاعتِهِ كما أطاعَكَ وادلُلْهُ على الرَّشَدِ[(٣)]



وَلَيْلٍ يَقُولُ الْمَرْءُ مِنْ ظُلُمَاتِه سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ العُيُونِ وَعُورُهَا[(٤)]



وما أدري إذا يَمَّمْتُ أرضًا[(٥)] أُريدُ الخيرَ أيُّهما يَلِيني[(٦)]



---

(١) شاهد في اللغة لاستعمال الوجوب بمعنى السقوط.

(٢) شاهد في اللغة لاستعمال السجود بمعنى مطلق الانحناء، ولاستعمالِ الجؤار بمعنى الاستغاثة والتضرع.

(٣) شاهد في اللغة لاستعمال الإعقاب بمعنى المجازاة.

(٤) شاهد في اللغة لاستعمال (سواء) بمعنى التساوي والاعتدال.

(٥) قصدتُها.

(٦) يريد: الخير والشر، وهو شاهد في اللغة للاستغناء بذكر الشيء عن ذكر ضده لظهور ذلك، إذ تقدير السياق هنا: أريد الخير وأجتنب الشر ليصحَّ الإضمارُ عن الخير والشر بعدُ في قوله: (أيهما يليني).

يَـنـامُ بـإِحـدى مُـقـلَـتَـيـهِ ويَـتَّـقـي بأُخرى الأعادي فهْوَ يَقظانُ هَاجِعُ[(١)]



قَضَى كلُّ ذي دَينٍ عَلِمْتُ غَرِيمَهُ[(٢)] وعَـزّةُ مَـمْـطُـولٌ مُـعَـنَّـىً غَـرِيـمُـهـا[(٣)]



قال المَعَرِّي:

يُـذِيـبُ الـرُّعـبُ مـنـه كُـلَّ عَـضْـبٍ[(٤)] فـلَـولَا الـغِـمـدُ يُـمْـسِـكُـهُ لَـسَـالا[(٥)]



قال الفرزدق:

وَمَـا مِـثـلُـهُ فـي الـنـاسِ إلَّا مُـمَـلَّـكًـا أبــو أُمِّــهِ حَــيٌّ أبــوهُ يُــقَــارِبُــه[(٦)]



(١) شاهد في النحو لتعدد الخبر من غير تعاطف.

(٢) أي: قضى كلُّ ذي دينٍ عرفتُهُ غريمَهُ، والغريم هنا: الذي له الدين لا المُطالِبُ به، وهو من الأضداد.

(٣) شاهد في النحو لتعدد الخبر من غير تعاطف على رأيٍ، وللتنازع في العمل على رأيٍ.

(٤) العضب: السيف القاطع.

(٥) شاهد في النحو لمجيء خبر المبتدأ الواقع بعد (لولا) كَونًا مُقيَّدًا ظاهرًا، ومنهم من يُلحِّنُه.

(٦) شاهد في البلاغة للتعقيد اللفظي، فإن أصل نظم الكلام: (وما مِثلُه في الناس حيٌّ يُقارِبُه، إلا مُمَلَّكًا أبو أُمِّهِ أبوه) ثم قدَّم وأخَّر!
وفيه قبحٌ آخر في الإبانة عن المعنى، فإن الممدوح هو إبراهيم بن هشام المخزومي خالُ هشام بن عبد الملك، وهشام هو الملك المستثنى، فلما أراد أن يذكر نَسَبَه منه وأنَّه ابنُ أختِهِ قال: (أبو أمِّه أبوه) أي: أبو أم ذلك الملكِ هو أبو هذا الممدوح، فأبعدَ المعنى القريب.

شوارد أدبية

قال الشريفُ الرَّضِيُّ:

عَـطـفًـا أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ فـإنَّـنـا ... فـي دَوحـةِ الـعَـلـيـاءِ لا نَـتَـفـرَّقُ
مـا بَـيـنَـنَـا يـومَ الـفَـخـارِ تـفـاوُتٌ ... أبـدًا كِـلانـا فـي الـمَـعـالِـي مُـعْـرِقُ(١)
إلا الـخِـلافـةَ مـيَّـزَتْـكَ فـإنَّـنـي ... أنـا عـاطِـلٌ مـنـهـا وأنـت مُـطَـوَّقُ



قال البُحتُري:

ومِـنَ الـعـجـائـبِ أعـيُـنٌ مـفـتُـوحَـةٌ ... وعـقـولُـهُـنَّ تـجـولُ فـي الأحـلامِ



قال أبو عمر الزاهد:

وأعـجـبُ شـيءٍ سَـمِـعْـنـا بـه ... عـلـيـلٌ يُـعـادُ فَـلا يُـوجَـدُ(٢)



(١) أصيلٌ فيها، له فيها عِرق.

(٢) للبيت قصة في نشوار المحاضرة (٥/ ١٩٥).

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله رب الأرض والسماوات، والحمد لله الذي يسر وَضْع هذا المجموع.. فاللهم كما يسرتَ إتمام هذا العمل، اللهم فاجعله عملًا متقبلًا مباركًا يجري أجره وثوابه وبِرُّه لريان بن عبد الله الموسى ولوالديه وأهله ولكل مَن سعى في إنجاحه ولو بدعوة صالحة..

ولعلي أَهمِس في أُذُن كل شاب وشابة ـ قبل أن أضع القلم ـ فأقول له:

إني أحسب ريان رحمه الله واللهُ حسيبه ـ ولا أزكيه على الله ـ قد تميز بِخَصلتين: صِدقه مع ربه، وجِدُّه وحَزْمه مع نفسه.

فلذا يسر الله تعالى ـ بفضله وإحسانه ـ مَن ينشر بعض عمله، ويذكر شيئًا من فضله، والله المستعان، وعليه التكلان.. والـمُتَّعِظُ هو السعيد.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

